2258
.67165

2258.67165
al-Mubarak
Thawrat 1920 fi al-shi'r
al-Iraqi

DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE

DUE MAR 4 1983

XXXXXXXXXXXX

DUE: JUL 15 1983

MAR 25 1984

DUE OCT 29 '97

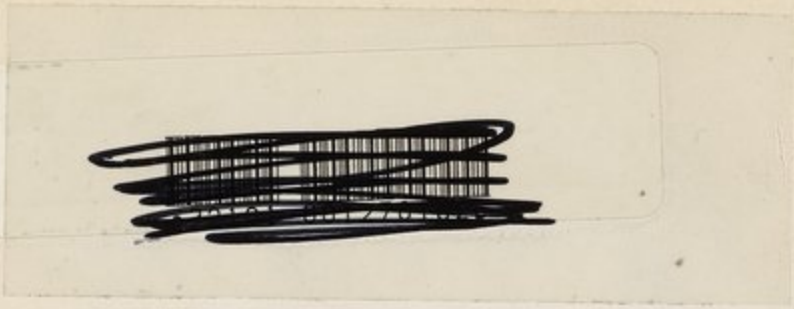

ثورة ١٩٢٠ في الشعر العراقي

عبد الحسين المبارك

جامعة البصرة

ساعدت وزارة التربية والتعليم على نشره

الطبعة الأولى

بغداد ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م

طبع الغلاف بمطبعة الأمة - بغداد

al-Mubārak, ʿAbd al-Ḥusayn

ثورة ١٩٢٠ في الشعر العراقي

Thawrat 1920 fī al-shiʿr al-ʿIrāqī

رسالة ماجستير نالت تقدير جيد
جداً من كلية الآداب بجامعة
عين شمس في ٢١ / ٩ / ١٩٦٨

عبد الحسين المبارك
جامعة البصرة

ساعدت وزارة التربية والتعليم على نشره

الطبعة الاولى
بغداد ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

مطبعة دار البصري - بغداد تلفون ٨٩٢٧٩

2258
.67165

الاهداء

الى من زرعا محبة الآخرين في نفسي وجاعا من اجل ان اشبع طموحي في الدرس والتتبع ، الى والدي الكريمين اهدي اول الثمر ؟

8-18-71 1945

شكر وتقدير

أرى لزاماً علي وأنا اقدم هذا الجهد المتواضع ان أتقدم بشكري العميق الى استاذي الدكتور عبدالقادر القط اعترافاً مني بما بذله من مجهود في الاشراف على البحث وتقديمه النصح والارشاد لي طيلة فترة اعداده ، كما أقدم شكري الخالص الى الاستاذ الدكتور مصطفى ناصف لتكرمه بابداء الملاحظات النافعة حول الفصلين الأخيرين من الرسالة . كما لا أنسى من تكرم علي من موظفي المكتبات العامة التي كنت أرتادها خلال فترة اعداد البحث والاساتذة الكرام من أمثال الاستاذ ابراهيم الوائلي والدكتور محمد مهدي البصير وبحر العلوم وبعض شعراء الثورة ومؤرخيها اذ أحاطوني علماً بما لم يقع بين يدي من معلومات عن الثورة . فلهم مني جميعاً جميل الشكر . وأدعو المولى القدير ان يشملهم برعايته ليكونوا عوناً لمن يعنيه تاريخ أمتنا وآدابها .

المقدمة

ليس الحديث عن ثورة العراق الكبرى عام ١٩٢٠ جديداً في عالم البحث، فقد تناولتها أقلام المؤرخين والكتاب من عرب وأجانب، وقالوا فيها الشيء الكثير، فدونوا أحداثها، وذكروا قادتها وتشعبوا في تعليل أسبابها ومهداتها، واختلفوا في ذلك كثيراً، وشاء لكل منهم أن يبين رأيه فيها مقترباً من الحقيقة أو جائراً عليها وان خرجوا بنتيجة واحدة هي أن الثورة حققت هدفها الأول وهو استقلال العراق.

كان هذا ما حدث في دراسة تاريخ الثورة، اما أدبها، اما شعرها فلم يفرد له بحث مستقل يستقصي الفكر الذي رافقها وأثر فيها، والفكر الذي انتجته وبعثت فيه القوة والتجدد

وفي ذات يوم وأنا استعرض احداث الأمة العربية في الفترة المتأخرة من حياتها وجدت نفسي في اندفاع الى القيام بجزء من الواجب القومي علي، ففكرت في تناول موضوع لصيق الصلة بحاضرها وفي الجانب الشرقي من أقاليمها. فعنت لي التفاتة الى هذا التراث الشعري الضخم في العراق والذي اختزنته مكاتب الشعراء أو ضمته أوراقهم وبعض مؤلفاتهم وعزمت على ان تكون «ثورة (العشرين) كما نسميها - نحن العراقيين - » موضوع رسالتي للماجستير في آداب عين شمس،

فتقدمت بهذه الفكرة الى استاذي الدكتور عبدالقادر القط ولمست لديه استحساناً وتشجيعاً أعانني على القيام بأعباء البحث .

ومنذ عام ١٩٦٥ كنت انحرى المصادر والمراجع التاريخية والأدبية ، وما كتب أو نظم حول الثورة في الصحف والمجلات التي وجدت طريقي اليها بصعوبة ، غير أن لذة البحث وظرافته أمدتني بشوق متزايد للاطلاع على الكثير من الشعر الذي انتجته قرائح الشعراء سواء في أيامها العصيبة أم في ذكراها كل عام .

وقد كانت بعض مصادري حية تنطق ، فبعض الشعراء من أمثال البصير ، وعيسى عبدالقادر ، وعبدالكريم العلاف[1] ، ومحمد صالح بحر العلوم مازالوا يحيون بيننا ، وبعض مؤرخي الثورة هم الآخرون عاشوا في احداثها وسجلوا ما دار بين العراقيين والانكليز من معارك ووجدت في الاتصال الشخصي فائدة تزيد على الاتصال الفكري ، وفعلت ، ولمست ترحاباً وتشجيعاً من الجميع اضافة الى الفوائد التي جنيتها من مقابلاتي لهؤلاء الاشخاص في تتبع ما كتبوه أو نظموه عنها .

وبعد توفري على الكثير من الشعر اتضحت لي خطوط البحث ومعالمه ، ومن ثم بدأت العمل في توزيعه على الفصول الاربعة التي ضمتها الرسالة بعد أن دققت فيه مرات عديدة لكي أضع في كل فصل ما يناسبه من الشعر ، ولكنه ليس كل الشعر الذي عثرت عليه لعدم الحاجة الى الاستشهاد به وبخاصة أن بعضه يمكن الاستغناء عنه في البحث للتشابه والتكرار لدى بعض الشعراء . نظراً لما تتطلبه ظروف الثورة أولا ، ولجهل بعض الشعراء بالقيم الفنية للشعر ثانياً .

وقد قسمت البحث الى أربعة فصول : اختص الفصل الأول بالحديث الموجز عن أحوال العراق قبيل الثورة ، وقد بينت فيه ما كان عليه العراق من تأخر اجتماعي

---

(١) توفي في ١٠-١١-١٩٦٩ .

وثقافي واقتصادي وتقلقل سياسي ، وأوضحت الخطوط العامة للشعر في تلك الفترة وأثره في تهيئة اذهان الجمهور العراقي وخلق الوعي المتزايد خاصة بعد اعلان الدستور العثماني فقد أشرت الى أثره في تنوير الأفكار للمطالبة بالحقوق والمساواة مع شعوب الدولة العثمانية . وبينت دور الشعر في العراق في تلك الحركة الاصلاحية، وجعلته المنطلق الأول في اليقظه الفكرية في القرن العشرين ، ومنه انتهيت الى الحديث عن الوضع العام في العراق خلال الحرب العالمية الأولى لأنها حركت وحفزت شعوب العالم أجمع وأثرت في يقظتها .

أما الفصل الثاني فقد خصصته بدراسة دور الشعر في الاعداد للثورة وقد أتيت فيه على مواكبة الشعر لاحداث العراق خلال الحرب العامة مبتدئاً باحتلال البصرة عام ١٩١٤ ، وبينت دور الشعراء في دفع الحماسة الى النفوس ، وأشرت الى أثر العامل الديني في وقفة العراقيين بوجه الاحتلال واستبسالهم في جميع جبهات القتال من (الشعيبة) حتى فتح بغداد عام ١٩١٧ ، وأوضحت من خلال الاستشهاد بالشعر النزعة الدينية التي سبقت الشعور القومي لدى العراقيين بل لدى العرب جميعاً . اذ لم تكن الفكرة القومية متبلورة في تلك الفترة ، ولعل النزعة الشرقية في الشعر أسبق من الروح القومية أيضاً ، وهي تعود الى نزوع الشرقيين الى التمسك بحقوقهم ازاء مطامع الغرب الاستعمارية في بلدانهم .

وفي هذا الفصل أتيت على بعض الشعر الذي قوبل به الاحتلال سلباً وايجاباً، وأشرت الى موقف قسم من الشعراء منه ، اذ وجدت بعض الصحف كالعراق والعرب ومجلة دار السلام وهي تحمل لواء الدعوة الى تأييد الانكليز . كما بينت دور الاحزاب والجمعيات في الوقوف بوجه الانكليز وتجمع الشعراء لنصرتها والدفاع عن مبادئها الوطنية ، بعد أن تعرضت للادارة العسكرية التي فرضها المستعمر

وأثر ذلك في تأجج الشعور الوطني ، وخروج ابناء الشعب الى التظاهر والمطالبة بالاستقلال . وخلال الحديث عن ثورة النجف عام ١٩١٨ والثورة العربية في الحجاز عام ١٩١٦ وجدت لها أثراً كبيراً في الاعداد للثورة والتمهيد لاحداثها .

وقد اختص الفصل الثالث بالثورة في الشعر وأثرها في تطور الفكر العراقي فأوضحت موقف الشعراء منها وهي في أولى مراحلها ، ومسايرتهم لها في كافة الميادين ، كما بينت التناقضات التي وقعت في دراسة شعر الشعراء الذين لم يسيروا في ركابها ، أو الذين كثر الهمس حول موقفهم منها ، ووجدت في هذا الشعر اتساع الفكرة القومية والوطنية حيث امتد مع لهيب الثورة ، وقد أوردت فيه شواهد كثيرة من الشعراء الذين عد شعرهم جزءاً من الثورة واداة لها ، كالبصير والبناء والعلاف وأبي المحاسن . ورأيت في شعر الثورة مظهرين بارزين هما :

١ — تطور المفهوم القومي ووضوحه بعد أن كانت النزعة الدينية والشرقية هي المسيطرة عليه .

٢ — البطولة في شعر الثورة ، وفيه الوان من أدب الحرب تمثل شجاعة المحاربين ولا سيما الفلاحون ، واقدامهم في الهجوم ، وحماستهم جماعات وأفراداً .

وقد وجدت اختفاء النزعة الفردية أو تضاؤلها في هذا اللون من الشعر ، وقد أوضحت بالصور الشعرية عملية خلق البطل ، ووجوده في القرية والمدينة ، وفي الميدان ، وفي السجن ، وأحياناً وهو صريع ، كما مثلت للصفات التي يتحلى بها البطل ، كالتقوى والصلاح والشجاعة . وأنهيت الحديث بسرد بعض مظاهر البطولة .

وفي الفصل الرابع : تكلمت عن ذكريات الثورة وامتدادها في الشعر ، وكان الحديث في بداية هذا الفصل عن نتائج الثورة ، واعلان الملكية وترشيح

فيصل بن الحسين لها . وبعد ان أنهيت سرد بعض شواهد الشعر الذي قيل في الترحيب بفيصل ، اتيت على ما قيل في ذكريات الثورة ، وحاولت ان أولي اهتمامي الى الوجهة السياسية التي تركزت في مفهوم الشعراء ، اذ وجدتهم كثيراً ما يعقدون المقارنات بين أحوال العراق قبيل الثورة ، وكيف هب الشعب لنيل الاستقلال وأحوال العراق بعيد الثورة وموقف الحكومة التي تمخضت عنها من الشعب ، إذ كانت بعيدة عن ادراك مطالبه التي ضحى من أجلها بالدماء والاموال .

ووقفت عند بعض القصائد التي قيلت في الذكرى لكونها تحمل طابعاً فنياً متطوراً يختلف عما قيل قبل أو خلال الثورة من قصائد خصوصاً شعر الجواهري وبحر العلوم .

ومن ثم وجدت في الثورة انها قامت على أكتاف الفلاحين ، وهي حقيقة أثبتها تاريخ العراق الحديث ، غير اني لم أتوسع فيه كثيراً لعلاقة انتاج الفلاح بالشعر الشعبي وهو ما لم يتفق وخطتنا في البحث ، وقد أتيت على الشعر الذي قدم لنا صورة واضحة لنضال الفلاح ودوره الفعال في الثورة وأثر العامل الديني في توحيد جهود الفلاحين تحت راية الجهاد المقدس ، وفي هذا الشعر سنجد تفصيلا لأنواع السلاح وبساطته مع ارتفاع معنوية الفلاح دينياً وقبلياً .

وكان آخر ما تناولته في هذا الفصل دراستي لنتائج الثورة وما خلفته من مآسي وآلام وهي ظاهرة لا تفارق أدب الحرب لما تتركه من مشاهد حزينة في الميادين والنفوس . وهي خير باعث على الشاعرية لا سيما أن القلق الذي ولده عنف الاحداث قد ارتسم في صور الشعراء فجاءت وهي تحمل أعباء ستة شهور من القتال . . فيها الحسرة والشكوى ، وفيها الامل والانتظار ، وفيها الرمز المعبر لآثار الحرب .

واخيراً القيت نظرة عجلى على الشعر الذي قيل في الفصول السابقة فدرسته من الناحية الفنية ، وبينت مبلغ ما وصل اليه الشعراء من النضج الفكري ، مستشهداً للشعراء الكبار والمكثرين فى الثورة ، أو الذين شاركوا فيها فكرياً وعسكرياً ، وحلقوا في سماء الجبهتين . وحاولت جهد الامكان ان أضع الامثلة موزعة على مناطق العراق الثائرة ، فلم أجد الا قلة من الشعراء برزوا في غير النجف وكربلاء وبغداد ، وحديثي الموجز عن الشعراء لا يعدو تلك المناطق .

وبعد فان البحث لا يخلو من فائدة وان طالب العلم يطلب المزيد .

وختاماً يجدر بي ان أقول أن ما ذكرته في صلب الرسالة لم يكن جل ما قيل من الشعر في الثورة لانه لم ينقطع بعد ، وان ذكراها تتجدد ، ولعل الحديث عنها يطول . ونأمل ان يكون ما ذكرناه بداية لبحث أشمل وجهد اوفر لمن يتولاه بعدنا ليستجلي غوامضه ويستكمل نواقصه ، والكمال لله وحده ، ومنه العون والتوفيق .

عبد الحسين عاك المبارك

القاهرة في ١٦-٩-١٩٦٨

الفصل الاول

أحوال العراق قبيل الثورة

١ — فى العهد العثمانى .

٢ — بعد الاحتلال البريطانى .

الفصل الاول

أحوال العراق قبيل الثورة

١ — في العهد العثماني :

تؤرخ عهود الظلام في العراق ابتداء من سقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ الموافق ١٢٥٨ م على أثر الهجوم التتري المغولي عليها بوحشية متناهية ، حيث انتهكت الحرمات ، ودمرت معالم الحضارة العباسية التي ازدهرت زهاء خمسة قرون ، فصبغ ماء دجلة بمداد الكتب التي القيت فيه بعد ان أزيلت وسائل العلم وهدمت دور المعرفة ، وقضي على صوت الاسلام في دياره ، وانتهكت قدسية اللغة العربية في مرابض حماتها .

وبزوال ملك بني العباس حلت في العراق أحلك فترة عرفها في تاريخه الطويل ، فلم تبق فيه ادارة مستقرة ، ولا سياسة رشيدة ، ولا حكومة عادلة ، بل حكم المشايخ ، والرؤساء ، وتجار السلطنة ، فتناوبت الحكم في العراق ايادٍ اجنبية ، منها : المغولي ، والايراني الصفوي ، والمماليك والاتراك العثمانيون . وتباينت السياسة المسيرة لامور الناس تبعاً لعقلية الحاكم ، وقوة شكيمته ، وصلابة رأيه ، أو العكس من ذلك ففي ضعف الوالي ضعف للسياسة العامة ، واضطراب لحبل الامن ، وقوة للصوص وقطاع الطرق .

ونحن إذ نمر مراً سريعاً بالحالة السياسية التي كان عليها العراق آنذاك لا بد لنا ان نذكر ما لهذه الاحداث التى رافقت عهود التخلف من اثر بين في الفكر العراقي ، والادب خاصة اذ عرفناه سجلا للوقائع ، وتاريخاً للهزات العنيفة ، والتحولات التى مرت على العراق في عصوره المختلفة من سقوط بغداد حتى ثورته الكبرى سنة ١٩٢٠ م ، وسنلاحظ من خلال البحث ـ التأثيرات والروافد التى أفادت الفكر العراقي ، وغيرت معالمه ، وصبغته بالشكوى تارة ، وبالعنف والثورة تارة اخرى .

ومن هنا يتضح لنا تأريخ الاسر ، والجماعات ، والافراد الذين حكموا بغداد ، والعراق بصورة عامة ، وسياستهم التى انتهجوها ، وكيف أشاعوا الفوضى والفساد ، لان المغول لم يكونوا من الاجناس المتحضرة حتى ينقلوا معالم حضارتهم الى العراق ، ولا غير المغول من الجلائريين والصفويين والمماليك ، والعثمانيين ، فلم يكونوا بالامراء المتحضرين حتى يعملوا على الاخذ بيد العراق نحو التقدم .

ومن يتصفح كتب التأريخ ومذكرات الرحالة والمستشرقين وما كتبه الاجانب عن العراق فى سبعة قرون متوالية ، يتضح له حقيقة المرأق ، وواقعه المفجع .

وحتى لو وجدنا بذرة للاصلاح عند بعض الولاة أو الحكام ، فاننا لا نأخذها كطابع مميز لفترة من الفترات برمتها ، لان الاصلاح — كما هو مفهوم في عرف السياسات التي خبرناها في العراق — لا يقترن بعصر من هذه العصور بل يقترن بوال او أمير فقط لا يلبث ان يزول عهده وتزول معه معالمه .

« لان هذه الاصلاحات التي قام بها نفر من الولاة ، كانت ذات طابع فردي ، قام بها أشخاص معينون ، تزول أو تنتفي فائدتها بمجرد انتهاء حكم صاحبها

أو زواله ، لانها لم تقم على سياسة مدروسة مخططة يستطيع ان يسير بموجبها الخلف إثر السلف ، لذلك كانت اصلاحات جزئية ضيقة ولم تكتست طابع الجدية او العمق او الشمول »[1] .

هذا وقد اصبح امر الاصلاح في العراق بعد نكباته المدمرة عسيراً وبخاصة بعد ان فقدت بغداد عزتها ، وآلة نهضتها الكبرى ، فكانت مدعاة للرثاء ومجلساً للمناحة على العلم والثقافة المضاعة في بلد الرشيد ، ومنبر المأمون الادبي .

وبتعاقب الفاتحين من فرس وأتراك اصبحت بغداد خالية من دور العلم ، ومظاهر الحضارة ، ورياض الادب . وقد كان العهد العثماني عهد ظلام واستبداد ، وانحطاط شمل جميع مرافق الحياة منذ احتلال سليمان القانوني - عاشر السلاطين - بغداد بعد الانتصار على الصفويين الذين كانوا يحكمون العراق[2] حتى الاحتلال البريطاني لبغداد عام ١٩١٧ م .

وقد كان نصيب العراق من التخلف وسوء الادارة لا يقل عن غيره من مقاطعات الدولة العثمانية وولاياتها المختلفة . كما نلحظ تغلب الروح العسكرية في الدولة العثمانية بما فى ذلك الولايات التابعة لها . ففي العراق ثلاث ولايات هي : الموصل ، وبغداد ، والبصرة . وكان الولاة يعينون بأوامر سلطانية وممن يرجى منهم المال الوافر للباب العالي ، ويحفظون تبعية ولاياتهم للسلطة المركزية بأية وسيلة كانت فكانوا غلاظاً ، شديدي البطش بأعدائهم (ولم يكن من الهين على العراق

---

(١) معروف الرصافي - حياته وأدبه السياسي - رؤوف الواعظ ص ٢٩ .

(٢) في (البلاد العربية والدولة العثمانية) لساطع الحصري ص ٤٢ .
يشير الى فترة احتلال الصفويين بغداد عام ١٦٠٢ م ثم اعادتها منهم من قبل السلطان مراد الرابع مرة ثانية عام ١٦٣٨ م .

ان يغفر للزمن خطأه في فرضهم وتسليطهم اذ لم تكن لهؤلاء الولاة صفة الحاكم الذي ينسجم مع المحكومين وطباعهم وعاداتهم ، ولم تكن لهؤلاء الولاة حسنات ذات شأن في العد والحساب الى جانب السيئات التي ضاق بها التاريخ)[1] .

وقد كان لهذه السياسة الفاسدة ، الاثر السيء في نفوس الشعوب المغلوبة على أمرها ليس في العراق فحسب بل في جميع الأقطار التي خضعت للعثمانيين . وقد بلغ من فساد الادارة وضعف الارتباط بالشعب ان فشت روح النقمة بين مختلف طبقات الشعب . فكان التمرد والعصيان من قبل بعض القبائل العراقية يحمل طابع العنف وعدم الخضوع للسلطة المتمثلة في الولاة العثمانيين المعروفين بميلهم الى الاستبداد والبطش من جهة ، والرشوة وشراء الضمائر من جهة اخرى ، وان اختلفوا في بعض الفترات مع سلطات الاستانة ، ومالوا الى الانفصال والاستقلال عنها بفضل ما لديهم من قوة عسكرية ونفوذ في ولاياتهم[2] .

اما الوظائف فكانت غنيمة توزع بين من لا يستحقونها ، وكان القانون يتضاءل امام رغائب المتنفذين ، وكانت المحسوبية والوساطة امضى سلاح للتقديم ، وبالرشوة كان الأمي يعين في المناصب الكبرى والشرير في دوائر الشرطة ، والجاهل في الوظائف القضائية والثقافية[3] .

---

(١) الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر . . . ابراهيم الوائلي ص ٣٧ مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٦١ .

وعن مفاسد لادارة ورشاوى الولاة أنظر (رحلة نيبور في القرن التاسع عشر ـ ترجمة محمود الامين ، القسم الاول ص ٧ وما بعدها وكذلك (في غمرة النضال ـ سليمان فيضي ص ٥٥) ـ بغداد ١٩٥٢ .

(٢) يراجع بشأن النزعات الانفصالية (بغداد كما وصفها السواح الأجانب) ترجمة سعاد العمري ص ٤٢ بغداد ١٩٥٤ .

(٣) انظر : في غمرة النضال . . . سليمان فيضي ص ٥٥ .

وربما كان عهد المماليك اشـــد حزماً وضبطاً ، وأحسن تدبيراً من العهود السابقة لاستقلالهم فى ولاية بغداد بفعل قوتهم وقدرتهم على الوقوف بمفردهم فى العراق . ولعل من ابرز شخصيات هذا الدور شخصية الوالى داود باشا (١٨١٦-١٨٣١) م ، الرجل الشجاع والشاب الطموح المحب للعلم والعلماء ، ذي النزعة الميالة الى الاصلاح وبناء المساجد والمكاتب وتدريب الجيش[١] . ثم عهد الاتراك من جديد بعد سقوط حكم المماليك عام ١٨٣١ الذي امتاز بظهور الوالى المصلح مدحت باشا منشىء جريدة الزوراء ، وصاحب الاصلاحات الادارية والاجتماعـــة والاقتصادية خلال مدة حكمه الواقعة بين (١٨٦٩-١٨٧٢ م) ثم عزل مدحت باشا لعداء الباب العالى للاصلاح ، ومعنى العزل المجيء بوال جديد ينهي ما امتدت اليه يد سلفه من اصلاح ، ليرضى سادته في الاستانة . غير ان الذي حدث لم يمح من اذهان العراقيين لأن اصلاحات مدحت باشا وتشجيعه للحركة العلمية حررهم - ولو جزئياً - من معارفهم واوهامهم القديمة بعد أن دخلوا طوراً جديداً متصلا بحضارة الانسان .

وقد قدمت لنا (الزوراء) صورة للوضع الشاذ الذي كان يعانيه العراق ابان العهد العثماني ، اذ كثيراً ما نشاهد على صفحاتها اخباراً تذيعها الحكومة عن الامن الداخلي وما كان يتهدده من اخطار قطاع الطرق او افراد القبائل التي كثيراً ما كانت تغير على القوافل المتنقلة بين المدن[٢] .

ويظهر من سير الحوادث والوقائع التى مرت على العراق آنذاك ان الحالة

---

(١) انظر : تاريخ العراق بين احتلالين عباس العزاوي ٦-٣٣٠ .

(٢) في الاعداد الصادرة عام (١٢٨٨هـ) من (الزوراء) نجـــد كثيراً من حوادث الطرق كالسلب والاغتصاب في الحدود العراقية - الايرانية خاصة - .

السيئة لم تكن خاصة بولاية دون اخرى ، انما كانت شاملة للحواضر والبوادي من الشمال الى الجنوب ، سواء كان ذلك في بغداد وما يتبعها او الموصل والبصرة وتوابعهما . الا ما وجدناه في اخبار البصرة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من ميل للانفصال من جسم الامبراطورية العثمانية بفضل احد مشايخها (السيد طالب النقيب) الذي اقلق العثمانيين طويلا وشجع على اذكاء الروح الوطنية في البصرة ، فحينما لا تروق له الاوضاع العامة في الدولة يسرع برجاله المسلحين ويحتل دائرة البرق ، ويمطر الاستانة بوابل من البرقيات والمضابط يشكو فيها الوالي ويطلب تغييره باسم جماهير البصرة[1] .

وكثيراً ما كان يجاب الى مطالبه على مضض . وظل على هذه الحال حتى الاحتلال البريطاني للبصرة ، حيث ابعد عنها منفياً .

ورغم استبداد العثمانيين وبطشهم بالعرب ، نجد الشعراء مضطرين بدافع من الدين الى مدح السلاطين ، والوقوف الى جانبهم في نزاعهم مع الدول (الكافرة) .

فاسمع السيد جعفر الحلي يقول في مدح السلطان عبدالحميد في فتحه لليونان :

لك طأطأت دول الضلال رقابها ... قدها فسيفك قد اذل صعابها
فاليوم صار الدين فيك مؤيدا ... ولدولة الاسلام كل هابها
فمن المطاول دولة نبوية ... وقفت ملائكة السما حجابها
فبكم بنى عثمان دولة أحمد ... سحبت بفرع الفرقدين ثيابها[2]

---

(١) شخصيات عراقية ... خيري العمري ١/٢٤ ـ دار المعرفة ـ بغداد ١٩٥٥

(٢) سحر بابل ... جعفر الحلي ص ٥٢ ـ العرفان ـ صيدا ١٣٣٢

وقل مثله عن اليعقوبي، والزهاوي، وأبي المحاسن، والرصافي[1] ففي دواوينهم وآثارهم الشيء الكثير مما قيل في تأييد الدولة العثمانية ومناصرتها في الحرب

ولا حاجة لذكر شواهد لهؤلاء الشعراء وغيرهم للتشابه الكبير في قصائدهم التي تمثل العاطفة الدينية لديهم، وهي ضروب من أدب الحرب في الشعر الاسلامي في العهد العثماني، وليس هذا بغريب، فالقائد مسلم، والجيش مسلم والدولة مسلمة والشعراء ينطقون باسمها.

غير أن الذي حدث من موقف الشعراء تجاه الدولة لم يمنع من ذم سياستها التي انتهجتها مع العرب من حيث التنكيل بهم واهمال شؤونهم.

فقد ذكر الزهاوي جور العثمانيين وامتهانهم لكرامة الشعوب المغلوبة بقصيدة جاء فيها:

وكم وعدوا ان يصلحوا قبل هذه ... فما بالهم زادوا فسادا وأوغلوا
لهم أثر للجور في كل بلدة ... يمثل من أفعالهم ما يمثل
اذا نزلوا أرضاً تفاقم خطبها ... كأنهم فيها البلاء الموكل
فمدت الى سورية يد عسفهم ... تحملهم من ظلمهم ما تحمل
وبغداد دار العلم قد أصبحت بهم ... يهددها داء من الجهل معضل
وسل عنهم القطر اليماني أنه ... يبث بما يجري عليه وينزل (٢)

---

(١) نظر الشعر العراقي الحديث - الدكتور يوسف عز الدين ص ٢٥، والكلم المنظوم للزهاوي ص ٣ و (أبو المحاسن الشاعر الوطني الخالد) ص ٧. وديوان الرصافي ص ٤٨٤، ٤٩٠ وغيرها.

(٢) انظر: الكلم المنظوم ص ١٠٦.

كما قدم وصفاً دقيقاً للحالة السيئة التي كانت عليها الدولة العثمانية بقوله :

وما هي الا دولة مستبـدة تسوس بما يقضي هواها وتعمل
فترفع بالأعزاز من كان جاهلا وتخفض بالاذلال من كان يعقل
وقد عبثت بالشعب أطماع ظالم يحمله من جوره ما يحمل [1]

وغير الزهاوي من شعراء تلك الفترة الذين وجدنا في شعرهم حساً بالشكوى من ظلم العثمانيين هم : الرصافي وعبدالمحسن الكاظمي والبناء وآخرون وان كان الزهاوي والرصافي قد نبها الى ذلك بأسلوب أكثر عنفاً وتحدياً من شعراء العراق رغم ما وجدنا في شعرهما من ثناء للسلاطين ومدح للولاة .

أما من حيث الثقافة والمعرفة في العراق فانها لا تختلف عن بقيـة أقطـار العرب الذين خضعوا للعثمانيين ، فقد أوحشت درو العلم ، ومعاهد الثقافة في بغداد بعد وقوعها تحت رحمة العثمانيين ، وظلت تعيش في ظلام من الجهل والتخلف الذي فرضه عليها حكامها من غير الناطقين بالضاد لسيادة اللغة التركية في جميع دواوين الدولة ووظائفها وفي جميع الولايات التي اتبعت معها سياسة التتريك ، ولم يمد في عمر اللغة العربية سوى القرآن الكريم ، حيث كان له الفضل الكبير في الحفاظ عليها . كما كان المدارس الدينية في النجف والكاظمية وبغداد ، والدراسة المسجدية في مناطق أخرى من العراق ، كالبصرة والموصل ، أثر لا ينكر في سلامة اللغة العربية ، وقد أفادت الحركة الفكرية في العراق رغم ضيق أفقها .

يضاف الى ذلك جهود بعض الوزراء أو الولاة في أحياء الحركة الأدبية ،

---

(١) انظر : اللباب ص ١٢ .

ولو بجهد يسير ، كما فعل داود باشا [1] .

وفي ثقافة العصر نقف أمام حركة الشعر ، فنجد ما نظمه أغلب الشعراء قد حاد عن مهاجمة الوضع القائم - في أغلب صوره - خوفاً من سطوة السلطان والوالي وجورهما ، وأنغمروا في موضوعات تعقد مجالسها للتسلية وقضاء الوقت والانصراف عن مآسي السياسة ، وما تجره على الناس من ويلات ، ومصائب . فيكفيك أن تقرأ واحداً من دواوين شعرائنا في النجف أو الحلة أو الموصل أو بغداد وغيرها من مدن العراق لتجد تأييد ما نقول ، ويقف الغزل والخمريات في مقدمة الأغراض ، وربما الغزل بالغلمان تشبهاً بشعراء العصر العباسي .

وحتى هذا الغزل الغلامي والخمريات كانت مجرد سوانح من وحي التقليد يحلو للشاعر أن يذكر فيها محاسن (الرشأ الأغن) و (خد النار) و (صدغ الآس) وغيرها من الألفاظ التي استعارها شعراء العصر من أسلافهم ، فلم يجددوا ولم يبتكروا في الخيال . كقول الحبوبي في احدى موشحاته :

ان صدغ الآس خد الجلنار ... فيك يا مصبي عيون النرجس
أي لونين أخضرار واحمرار ... وشما فيك وثغر العسس
فرياحين فورد فعقار ... جمعت أنوارها في نرجس (٢)

أو قول السيد حيدر الحلي :

وما العمر عندي كله غير ليلة ... يبيت رهيف الخصر فيها معانقي

---

(١) انظر تذكرة الشعراء . . عبدالقادر الخطيبي الشربتلي ص ٦ وما بعدها ، وبغداد القديمة . . عبدالكريم العلاف ص ٢٢ ، وتاريخ العراق بين احتلالين - عباس العزاوي ٦/٣٣٣ .

(٢) انظر : ديوان محمد سعيد الحبوبي ص ٥٦ .

ترف على صدري خوافق فرعه رفيف حشى مني على الشوق خافق
كأن الثريا طوقته هلالها ومن حسد مدت له كف سارق[1]

ومثل ذلك نجده لدى جواد الشبيبي والسيد جعفر الحلي وغيرهما (٢).

كما كان الشعراء يكثرون من ايراد الحوادث الاجتماعية والعائلية التي تدور في المحلات الصغيرة، والقرى، وتجري بين الاصدقاء، وربما زادوا على ذلك في ذكر تأريخ كل حادثة في نهاية القصيدة. فالشاعر مدون تاريخ ومسجل أرقام في أغلب الاحيان ـ وقد لا ينسى قدوم شخصية سامية الى بغداد، أو خروج الوالي وحاشيته الى الصيد، أو ذكر الناعورة التي أنشأها حضرة الوزير علي رضا باشا في نينوي كما فعل عبدالباقي العمري حين قال:

بدر الوزارة في الخضراء متقد له على ابن كمال في الكمال يد
محافظ البلدة الزورا على رضا بعدله زاغ عنها الزيغ والأود
وقد أدارت على قطب العلا يده ناعورة ينقضي في دورها الأمد
وفي ذراع العلا أومت مؤرخة لصاحب الحوت بئر أقعر الأسد[3]

وهم يستعملون الفاظ الأقدمين كذكر (الحيا) و (الأطلال) و (رامة) و (الشيح) و (القيصوم) وغيرها من الالفاظ التي شاع تداولها في الشعر الجاهلي. وهذا ما يؤكد لنا أن الشعر العربي في عهود التخلف كان يسترجع ماضيه، ويعيش عليه بلفظه ومعناه.

---

(١) انظر: العراقيات ١ـ١٠١.
(٢) المصدر نفسه ١ـ١٢٣، ١ـ ١٦٢.
(٣) الترياق الفاروقي ص ٢٥٠ ويقصد بصاحب الحوت نبي الله يونس لأن الناعورة المذكورة انشئت قرب مرقده في الموصل، وقد صادف تاريخها سنة ١٢٥٥ هـ.

وان دل هذا على شيء فانما يدل على انقطاع أغلب الشعراء الى تتبع أدب الفترات السابقة عن كثب ، وقراءتهم للشعر العربي في عصوره الذهبية . والغوص وراء شوارد اللغة ليضمنوها شعرهم ، ويعتنوا بالتراكيب وترصيع قصائدهم بالفاظ دخلها من الصنعة البديعية الشيء الكثير . وقد اضطرتهم الظروف القاسية بطبيعة الحال أن ينهجوا هذا السبيل لعدم تعارضه والسلطة الحاكمة . كما راح بعض الشعراء يصبون نقمتهم على الدهر ونوازله ، فكثر شعر الشكوى ولكن دون التنويه الى ظلم العثمانيين . ففي النجف الاشرف ومراكز الشيعة الاخرى في كربلاء والكاظمية ، بل وحتى بعض مراكز السنة نرى الشعراء يتوجون شعرهم بذكر آل البيت وفاجعة كربلاء ، وما أصاب الحسين بن علي من ظلم بني أمية ، وقصة استشهاده . فكانت قصائد تزخر بالعاطفة وتفيض بنبض الوجدان ، وكانت خير منبه على استشراء الظلم ، داعية الى ضرورة تحدي الطغيان كما فعل الحسين الشهيد وأنصاره . ولهذا نجد معظم دواوين شعراء النجف بصورة خاصة تجسد ثورة الحسين وتربط أحداث حاضرنا بتلك الثورة لانها تمثل البطولة بأجلى مظاهرها في الشعر العراقي الحديث .

نقرأ ذلك الشعر في ديوان الكعبي ، وابن كونة ، وحسين العشاري ، والسيد حيدر الحلي ، وعبدالباقي العمري ، ومحمد علي اليعقوبي ، وآخرين غيرهم ، فنجد بيادر من هذا اللون من الشعر لا يمكن حصرها أو الالمام بها لوفرتها مبنى ومعنى .

ثم يعلن الدستور العثماني عام ١٩٠٨ فينطلق الشعراء والكتاب وهم يلهجون بذكره الحسن ، مشيدين بالعهد الجديد ، ويقف في العراق شعراؤه العظام ليعلنوا

فرحتهم بهذا الحدث الكبير . يقول الرصافي :

سقتنا المعالي من سلافتها صرفا ... وغنت لنا الدنيا تهنئنا عزفا
وزفت لنا الدستور احرار جيشنا ... فأهلا بما زفت وشكراً لمن زفا
فأصبح هذا الشعب للسيف شاكرا ... وقد كان قبل اليوم لا يشكر السيفا
ورحنا نشاوى العز يهتف بعضنا ... ببعض هتافا يصعق الظلم والحيفا
ولاحت لنا حرية العيش بعدما ... أماطت لنا الاحرار عن وجهها السجفا[1]

وقد سار بقية الشعراء على هذا النهج ، وسلكوا نفس الاتجاه في ذكر الدستور والآمال التي عقدوها عليه ، مستبشرين بنهاية الاستبداد الحميدي .

وكانت قصيدة الرصافي الاخرى أكثر شهرة من غيرها . وفيها يؤرخ عهد الدستور في شهر تموز (يوليو) :

اذا انقضى مارت فأكسر خلفه الكوزا
واحفل بتموز ان ادركت تموزا
أكرم بتموز شهرا أن عاشره
قد كان للشرق تكريما وتعزيزا
فى شهر تموز صادفنا لما وعدت
بيض الصوارم بالدستور تنجيزا
هي المساواة عمتنا فما تركت
فضلا لبعض على بعض وتميزا (٢)

اما الزهاوي فقد كان في مقدمة المرحبين بهذه الانطلاقة الدستورية ، ومن

(١) أنظر : ديوان الرصافي ص ٢١٣ .
(٢) المصدر نفسه ص ٣٩٠ .

المسارعين للانضمام الى « جمعية الاتحاد والترقي » في بغداد ، وبخاصة ان رجالها هم السادة الحاكمون فى دار السلطنة ، فلا عجب اذا ما وقف خطيباً في مهرجان الجمعية الذي نظمته فى بغداد وفي مناسبة اعلان الدستور ليلقي قصيدته التي أسماها(التعاون) وفيها يقول :

حزب التعاون في الدنيا هو الناجي نمشي على ضوئه فى ليلنا الداجي[1]

ولم يقتصر القول فى الدستور على الرصافي والزهاوي ، بل كان معظم شعراء العراق يتغنون به ، لما تضمنه من أفكار في الحرية والعدالة والمساواة . فهو الوليد الذي ارتقبه العرب في مختلف ديارهم حالمين بمبادئه ، متوسمين فيه غسل جراح الشعوب المغلوبة على أمرها ، ليضعهم على قدر المساواة مع اخوانهم في الدين ـ الاتراك ـ ويكفل لهم حرية الفكر ، والعيش بكرامة ، فكانت ترانيم تنبعث من هنا وهناك فرحة باستقبال عهد مشرق واندثار عهد مظلم(٢) .

ويمكن ان نعد عام ١٩٠٨ حداً فاصلا في موضوعات الشعر العراقي بين التقليد والتجديد ، نظراً للتغير في الاتجاه العقلي ، ووقوف الشعراء على مثل جديدة لم يألفوا لها مثيلا في عهد الاستبداد ، كالذي نلمسه فى شعر الزهاوي والرصافى والكاظمي ، يقابلهم جمهور آخر من الشعراء تمسكوا بالقديم من حيث المبالغة ورصف الالفاظ والمطالع الغزلية ، والابتعاد عن الاغراض الاساسية فى قصائدهم ،

---

(١) الزهاوي بين الثورة والسكوت ـ عبدالرزاق الهلالي ص ٣٩ .

(٢) بشأن بعض الشعراء الذين أشادوا بالدستور ، أنظر : ديوان الكاظمي ـ نشر حكمت الجادرجي ٢ـ١٢٥ ، وديوان أبي المحاسن ـ نشر اليعقوبي ص ٩٣ وشعراء الغري ٥ـ٤٥٥ ، والعراقيات ١ـ١٨٥ ، والأدب العصري ٢ـ١٦٦ وغيرها من الدواوين والمجاميع الشعرية .

كالذي نجده في شعر صالح الحلي وحسن العذاري وعبدالمطلب الحلي[1].

ثم يحدث الانقلاب على الدستور عام ١٩٠٩ ، ويهب الشعراء ضد سياسة التتريك التي انتهجتها « جمعية الاتحاد والترقي » كأسلوب سياسي في حكم رعايا الدولة العثمانية ، فنجد صرخات العراقيين متمثلة في شعر الشرقي وعبدالرحمن البناء وعبدالعزيز الجواهري وابراهيم الباججي وغيرهم ممن وقفوا في وجه اعضاء جمعية الاتحاد والترقي .

وبهذا الصدد يقول الشرقي مخاطباً نواب الامة في (مجلس المبعوثان) :

نطقت بحاجتها الشعوب وأفصحت ... وأرى عراقي واجما لا ينطق
فكان هذا الشرق سفر غرائب ... أضفى عليه الدارجون وعلقوا
ختمت صحائفه وجئنا بعدها ... حتى كأنا فيه فصل ملحق
ماذا تغير والبلاد بأهلها ... بغداد بغداد وجلق جلق(٢)

غير أن الذي قاله الشعراء أثر ردة الاتحاديين لم يمنعهم من الوقوف مع الدولة العثمانية في وجه أعدائها ، والاشادة بانتصارات الجيش الاسلامي عليهم ، فقد كان الشعراء والخطباء ـ قبيل الحرب العالمية الاولى ـ يقفون على المنابر في المساجد والمعاهد يحثون الناس الى التطوع والتوجه الى جبهات القتال ، كالرصافي والزهاوي والكاظمي والشبيبي والشرقي ومحمد حسين آل كاشف الغطاء ، وعبدالمطلب الحلي ، وخيري الهنداوي ، وعبدالرحمن البناء ، وغيرهم من الشعراء الذين لا حصر لهم ، فالزهاوي يقول في وصف الفتح الحميدي لليونان :

هو الفتح القى في قلوب العدى هولا ... واثبت ان الحق يعلو ولا يعلى

---

(١) انظر : شعراء الحلة للخاقاني ٣ـ٣٢٣ ، ٣ـ٦١ ، ٣ـ٢٠٩ .
(٢) عواطف وعواصف ص ١٩٨ .

لبسنا به ثوبا من العز ضافيا وهم لبسوا من اجله العار والذلا
رداءان من عز وذل كلاهما جديد على مر الزمان فلا يبلى
أضاع بنو اليونان فى الحرب رشدهم فضلوا وقد خابت أماني من ضلا[1]

أو قول الرصافى وهو يستنهض الهمم ويدعو الشرق الى خوض الحرب ضد أعداء المسلمين وذلك عام ١٩١١ :

الا أنهض وشمر أيها الشرق للحرب وقبل غرار السيف واسل هوى الكتب
ولا تغترر ان قيل عصر تمدن فان الذي قالوه من أكذب الكذب
الست تراهم بين مصر وتونس أباحوا حمى الاسلام بالقتل والنهب
وما يؤخذ الطليان بالذنب وحدهم ولكن جميع الغرب يؤخذ بالذنب
فلولاهم لم ينقض العهد ناقض ولا ضاع حق في طرابلس الغرب
بلاد غدت في الحرب تندب أهلها فتبكي وتستبكي بني الترك والعرب[2]

وفيها تتضح نظرة الرصافي الى أطماع الغرب في الشرق .

اما اليعقوبي فيصف الجيش الاسلامي أى العثماني بقوله :

حييت في الحرب بنصر الرحمن يا كالىء الدين وحامي الاوطان
شيدت فى بيضك ركن الايمان وأصبح الاسلام عالى الشأن
ومجدنا عاد رفيع البنيان[3]

وهكذا يكون الشعر قد أدى دوره تجاه المحنة التي حلت بالمسلمين في اخريات العصر العثمانى فقد أحس الشاعر انه جزء من هذا الكيان العام ، وان

(١) ديوان الزهاوي - نشر محمد يوسف نجم ١-٥ .
(٢) ديوان الرصافى - ص ٤٨٠ .
(٣) صدى الاسلام ١٧٢-١-١٣٣٤ هـ .

مصالحه الفردية غدت مهددة ، ورأى انه مسؤول عن كل شيء في هذه الدولة [1] .

كما ان ما مر من الشعر يبين لنا مقدار احاطة الشاعر بقضايا امته وتتبعه لسير الاحداث فيها ، وما في ذلك قعود عن همة ، او انزواء عن واجب ، بل نجد بعض الشعراء قد أجاد الصياغة الفنية في نفثاته الحارة فكان كالمتنبي حينما تدور رحى الحرب ، أو ابي تمام في ذكر فضائل الكماة ، وبعضهم من جاء بأساليب مثقلة بالبديع والمجاز . كل ذلك يجري وفق ثقافة الشاعر وتفاعله بالهزات والحوادث والتحولات التي اطلقت العنان لاغلب الشعراء لكي يقولوا الشيء الكثير فيها .

وبرغم كل ذلك فان الشعور الاسلامي الذي لمسناه متجسداً في ارتباط الشاعر بالدولة العثمانية ، ومناصرته لها لم يغير من موقف السلطة الحاكمة تجاه العرب في كافة أقطارهم ، فلم يكن ثمة دستور ينظر اليهم بعين المساواة ، ولا ثمة اصلاح يرونه يطبق في بلادهم . ولهذا لم تكن المأساة تخص العراق وحده ، بل كان هناك وحدة ألم تجمع كل العرب ، فكانت اتصالات تجري بين أحرارهم في الاستانة ، وباريس والشام . وشكلت الجمعيات السرية والعلنية ، كجمعية (الفتاة) في باريس ثم في سورية ، و (الجمعية القحطانية) في الاستانة ، و (جمعية العلم الاخضر) و (المنتدى الادبي) و (جمعية العهد) ، و (جمعية اليد السوداء) وغايتها الفتك بالخائنين من رجال العرب الذين يناوئون الفكرة العربية ، وغيرها من الاحزاب والجمعيات التي شارك فيها العراقيون مشاركة فعالة(٢) .

---

(١) الشعر العراقي الحديث د . يوسف عزالدين ص ٤٤ .

(٢) يراجع بخصوص تلك التنظيمات : العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، الحسني ١-٤٩ وفي ثمرة النضال سليمان فيضي ٨٦ ، ومذكراتي عن الثورة العربية الكبرى د . احمد قدري ص ١٤ وما بعدها ، والثورة العراقية الكبرى الفياض ص ١٦٨ وما بعدها .

وكانت غاية تلك الجمعيات والاحزاب انشاء حكومات عربية تتمتع بالاستقلال التام، يتقلدها رجال مخلصون في كافة ارجاء الوطن العربي، ولهذا وجدنا الشعور بظلم العثمانيين يتحول عند العرب الى نظرة تفاؤل بوعود الحلفاء الذين بدأوا يشددون من ضرباتهم لدولة «الرجل المريض» فلا غرو ان ينحاز العرب خلال الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ — ١٩١٨ الى جانب الحلفاء بعد أن لمسوا منهم عهوداً بالاستقلال، وان اختلف موقف أغلب العراقيين من تلك العهود، لانهم خبروا سياسات كثيرة وعرفوا ما يريده الحلفاء من وراء صفقة المواثيق والعهود. ثم لا ننكر الشعور الديني الذي يربط المواطنين بالاتراك، فهبوا لمواجهة جيوش انكلترا الدوله الكافرة منذ اللحظات الاولى التي دخلت فيها بوارجهم الحربية الخليج العربي.

٢ — بعد الاحتلال البريطاني:

ان النفوذ البريطاني في العراق كاحتلال عسكري ابتـــدأ بحملة الجنرال «دلامين» واحتلاله مدينة «الفاو» في السابع من تشرين الثاني «اكتوبر» عام ١٩١٤ واستيلائه عليها بدون علم القائد التركي [١]. ثم تقدمه نحو البصرة واحتلاله لها في نفس العام. ومن ثم بدأت الجيوش البريطانية بالتقدم في اتجاه بغداد، بعد ان لاقت مقاومات عنيفة من العراقيين كبدتهم خسائر جسيمة في الارواح والمعدات العسكرية.

وفي تلك الفترة التي كانت فيها جيوش الاحتلال الجديد تستجمع قواها

---

(١) انظر: موجز تاريخ العراق الحديث د. زكي صالح ص ١٣٢.

لاحتلال بغداد فالعراق بأكمله ، كانت الحرب العالمية الاولى تدور رحاها في انحاء كثيرة من العالم ، كما كانت المنطقة العربية تتطلع الى عهود الحلفاء بأمل الاستقلال، فانضم الملك حسين شريف مكة اليهم ، وأضحى بعض العرب في موقف عدائي من الدولة العثمانية بعد انضمامها الى جانب الالمان .

اما في العراق فقد تقلبت المشاعر الدينية على المواطنين ، فهبوا لنجدة الدين متطوعين الى جبهات القتال في جنوب العراق يتقدمهم رجال الدين ، بعد أن أفتوا بضرورة الجهاد ورأوا ان تعزيز موقف العثمانيين المسلمين تجاه الانكليز غير المسلمين أمر لا مناص منه حسبما تقتضيه أحكام الشريعة الاسلامية[1] .

ان مثل هذا الشعور يعكس لنا صورة حقيقية للحالة السياسية التي كان عليها العراق أبان الاحتلال ، كما ان هناك دليلا آخر يؤكد لنا تغلغل الروح الوطنية والقومية في نفوس العراقيين الذين وقفوا خلال الحرب موقفاً صلباً ضد سلطات الانكليز منذ عام ١٩١٤ حتى احتلال بغداد عام ١٩١٧ ، وقد ظلوا على ولائهم العربي ومشاعرهم الاسلامية يقارعون الانكليز في مختلف الميادين التي اشتبكوا فيها معهم في حروب طاحنة ، رفعت من مكانة الانسان العربي وكرامة الشرق وذوده عن حماه بعد ان عرف أسلوب الخديعة لدى قوات الحلفاء ، خاصة ان الحرب العالمية الأولى بأحداثها الخطيرة ، قد أثرت في نفسية الفرد العراقي أيما تأثير .

ولقد اتخذ الانكليز من استخباراتهم العسكرية بين افراد العشائر وسكان المدن واسطة لشراء الضمائر ، والتجسس على الأحرار ، كما انهم استخدموا مختلف أساليب القمع لاسكات صوت الشعب ، فالانكليز (لا يهمهم شيء سوى تطبيق

---

(١) الثورة العراقية الكبرى ـ الفياض ص ١٠٧ .

الشدة واستعمال السياسة الارهابية على أهل البلاد ، الأمر الذي سهل اتفاق كلمة الشعب العراقي قاطبة للقيام بالثورة عليهم)[1] .

والانكليز اعتمدوا على كثير من الشخصيات العراقية ، وحاولوا التلطف الى بعضهم الآخر بأساليب المكر والخداع والسياسة الاستعمارية ، واذا كان قد صاحب الحملة البريطانية جو من التهديد والوعيد والتضييق على الحريات ، فاننا لا نعدم شباباً مثقفين تطلعوا الى لغة الأجنبي ، وعرفوا سياسته ، ودرسوا نفسيته واخلاقه وتزودوا بما يحتاجون من معارفه ، غير ان ذلك لا ينفي ان بعضهم ركعوا للحكم الجديد وتذللوا على اعتابه ، وأشادوا بمجد عصره .

كان ذلك يجري في الاطار السياسي الذي وجدنا عليه ادباء العراق ومفكريه ، اما الحالة الثقافية في عهد الاحتلال البريطاني ، فقد كانت وسائلها ودواعيها أيسر سبلا مما كانت عليه أبان الحكم العثماني ، فالعراق بدأ نهضته الفكرية في نفس الوقت الذي بدأت فيه طلائع الاحتلال بالسيطرة عليه ، فقد وعى شعبه ، واطلع على النهضة الأدبية والعلمية التي سبقته اليها مصر والشام ، وشرع طلاب العلم وعشاق الأدب فى استيعاب ما يكتبه مفكرو الاقطار العربية ، وما يترجم الى العربية من نوابغ الفكر الأوربي ، كما أن اهتمام الانكليز بفتح المدارس ـ وان كانت على نطاق ضيق ـ أتاح الفرصة لبعض سكان المدن في التعلم[2] .

وكانت أغلبية الشعب العراقى خارج بغداد والمدن الكبرى تعيش في فقر وجهل ومرض . فقد تردت الحالة الصحية كثيراً لانعدام وسائل العلاج ، بحيث

---

(١) مذكراتي عن الثورة العربية والثورة العراقية الكبرى ـ العسكري ١/٣٠ .

(٢) The Making of Modern Irag Henry A. Foster P. 15-20.

لم يكن في العراق كله عام ١٩١٨ غير مستشفى واحد [١] . كما فشت الأمراض ، وفتكت بالعديد من أبنائه نتيجة الاهمال ، والفقر ، وسيادة الاوهام والخرافات .

وكان السكان في العراق ، في مدنه ، وباديه ، وأريافـــه ، يتباينون في العادات والتقاليد ، وفي المأكل والملبس والزواج والطلاق والتعلم(٢).

ومن حيث الأديان فمتعددة ، وان كانت الغالبية العظمى تعتنق الاسلام . كما شاعت في مناطق من العراق لغات اخرى كالتركية والكردية والفارسية اضافة الى العربية .

ومظاهر الفقر والغنى أوجدت نظام الطبقات ، فقد ظهرت طبقـــة مترفة لاهية ، وأخرى تقاسي الحرمان وشظف العيش ، فازدادت الهجرة من الريف الى المدن بحثاً عن العمل ، وتخلصاً من تحكم الاقطاع ونفوذ اتباعه ، ووطأة المشايخ .

ورغم تلك الاختلافات الطبقية والدينية والقومية ، فقـــد أظهرت اغلب الاحداث اتحاد ابناء العراق ، وشعورهم بالمسؤولية الوطنية ، فقوت من الروابط الاجتماعية بين المسلمين والمسيحيين عرباً وأكراداً وأقليات اخرى ، برزت آثارها واضحة في الاحتفالات الدينية والوطنية .

اما المرأة فقد كانت أقل حظاً في التقدم من أختها في الاقطار العربيـــة الاخرى لأن طبيعة المجتمع العراقي ، وتشدده في الحجاب ، وتشبعه بالروح القبلية جعلته ينظر اليها نظرة امتهان وازدراء . اذ حرمها حقوقها في التعلم أو ابداء رأيها في الزواج ، وخروجها الى ميدان العمل . فالنظرة الرجعيه ترى في المرأة عنصراً

---

(١) انظر : العراق بين امس واليوم ـ فاضل الجمالي ص ١٨ .

(٢) أربعة قرون من تاريخ العراق لونكريك ط٢ ص ٨ .

ثانوياً في المجتمع . وربما كانت في الريف تتمتع بقسط اوفر من الحرية في مجالات العمل الزراعي . وقد تشارك الرجال في المعارك القبلية كعنصر مشجع في القتال .

ولعل نظرة المجتمع الى المرأة قد تغيرت خـــلال مدة الاحتلال ، اذ رأى المستعمر الانكليزي ، وهو يتأبط الفتيات في الشوارع ، ويجعل منهن كواتب ومعتمدات ـ وما حديث مس (بل) ببعيد عن المرأة العراقية ، اذ كانت لها ندوات واجتماعات بالنساء العراقيات من مختلف الطبقات وهي بادرة لفتت الانظار الى ما للمرأة العراقية من قدرة على العمل ان اتيح لها المجال واعطيت حقوقها الاجتماعية والسياسية . فبرزت فكرة مناصرتها الى الوجود واحتدم الجدل حول هذا الموضوع ، وهب الرصافي والزهاوي لمناصرتها[1] .

وهناك الكثير من الأنصار الذين وقفوا مع المرأة ، والاعداء الذين لم يرق لهم ذلك واكثرهم من الادباء والشعراء . ومن يتتبع احداث العراق لا ينكر دور المرأة فيها . فقد ظهرت في عنفوانية رائعة لا تقل عن الرجل في تفهم الاهداف الوطنية التي كان الشعب يتبناها ويؤمن بها أشد الايمان من اجل استكمال حريته واستقلاله ، فلم تتخلف في الريف أو المدينة عن احتمال أعباء الجهاد بكل ما فيه من تضحية وفداء[2] .

وقد أفادها هذا الموقف في تغيير نظرة المجتمع اليها ، وان استمر المتزمتون على مقتها وهي على هذه الصورة ، غير أن التقدم يفرض نفسه ، والزمن كفيل بتغيير

---

(١) أنظر : المرأة في الشعر العراقي الحديث ـ احمد فياض المفرجي ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ .

(٢) أول الطريق ـ صيحة الشيخ داود ص ٢٧ ، وللمزيد من الاطـلاع على دور المرأة العراقية في الاسهام بالحضارة العربية يراجع : المرأة في حضارة العرب ـ محمد جميل بيهم ص ٣١٣ ، بيروت ١٩٦٢ .

الاوضاع . ثم ان ظروف العراق السياسية فى تلك الفترة ، ومشاركة المرأة فيها قد هيأت جواً مناسباً لاظهار مكانتها في المجتمع .

وفى زاوية اخرى من زوايا المجتمع ، وقطاع كبير من قطاعاته نجـد الفلاح العراقي يعيش حياة تدعو الى الأسى والحزن ، بعيداً عن كل مظاهر الحياة الجديدة التي دخلت العراق مع أصوات الحرب العالمية الاولى . فقد كان الفلاح يرزح في قيود الاستغلال والتخلف الذي كان نتيجة من نتائج هذا الاستغلال . فهو كأجير يزرع أرضه ، وكحارس للمشايخ والاقطاع واصحاب النفوذ في الاراضي الشاسعة التي امتلكها بضعة أفراد فى العراق . فلا مدارس ، ولا مستشفيات ولا عنـاية بالحالة الاجتماعية ، غير اننا نقف امام هذا القطاع من الشعب وقفة اجلال واكبار للدور الذي لعبه في حياة العراق الحاضرة ، لكونه أول من تصدى للحكومات الجائرة منذ الاحتلال العثماني ، وأول من رفع راية المناداة باستقلال العراق وشهر سلاحه فى وجه الانكليز ، وتحمل العبء الاكبر فى التضحيات الجسام ، وسنورد فى الفصول اللاحقة أمثلة على وقفـة الفلاح العراقي خـلال الثورة الكبرى عام ١٩٢٠ .

الفصل الثاني

دور الشعر في الاعداد للثورة

١ — اتجاهات الشعر

٢ — الثورة العربية ١٩١٦

٣ — ثورة النجف ١٩١٨

٤ — الاستفتاء ١٩١٩

الفصل الثاني

دور الشعر في الاعداد للثورة

في دراستنا لمختلف احوال العراق السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وجدنا عوامل التخلف والفساد قد بلغت مبلغاً ينذر بالخطر ، ويهيء لتغيير شامل لتلك الاوضاع ، ويحمل مع فجر الثورة المنتظرة تباشير الاصلاح والنهضة .

فلم تكن الثورة العراقية عام ١٩٢٠ وليدة ساعتها ، ولم تحدث محض المصادفة ، بل كانت الأسباب تعمل على قيامها ، والحوادث تعجل بأضرامها يوماً بعد يوم . . وخاصة بعد ان حاول الانكليز بسط نفوذهم بالقوة والبطش منذ أن استولوا على (البصرة) ومدن العراق الجنوبية عام ١٩١٤ ، وكانوا ينوون السيطرة على العراق بأكمله ، اذ تقدمت جيوشهم في اتجاه بغداد .

وقد فشلت الحملة بادىء الامر فاضطرت الى الانسحاب في اتجاه مدينة (الكوت) التي حوصرت فيما بعد من قبل الجيش العثماني الذي كان أغلبه مؤلفاً من المجاهدين العراقيين ، وتمكنوا من تسديد الضربة الى الجيش الانكليزي المحاصر فاضطروه الى التسليم عام ١٩١٦ .

وبعد وصول النجدات الى الحملة الانكليزية تقدمت لاحتلال بغداد ثانية ،

وكان سيرها بطيئاً لاشتداد المقاومة العراقية . حتى تمكنوا من احتلالها في الحادي عشر من آذار ١٩١٧ ـ كما مر في الفصل الاول ـ .

وبعد سقوط بغداد أعلن الجنرال (مود) [١] منشوره الشهير يؤكد فيه تحرير العراق من النير العثماني ، ولذلك طالب العراقيون فيما بعد بتنفيذه ظناً منهم بعدالة الفاتح الجديد .

ومن هنا بدأت مرحلة جديدة من حياة المجتمع العراقي مغايرة في تنظيمها وأسسها لما ألفه في حياته السابقة من سياسة وتنظيم واقتصاد ، وأحدثت في العراق انقلاباً سياسياً واجتماعياً وثقافياً لم تشهد له مثيلا في عهد العثمانيين ، رغم كثرة الحروب والتحولات في ذلك العصر ، لأن القرن العشرين يعد بداية تغيير في الأوضاع العالمية المختلفة تناقلته مختلف شعوب العالم بما تيسر لها من وسائل الاتصال بعضها ببعض ، وكان العراق واحداً من تلك الأقطار .

والذي يعنينا في هذا الباب دور الشعر في ايقاظ الشعور القومي والوطني لدى العراقيين وقيادة الجماهير الثائرة ضد المحتلين ، لأن الشعراء لم يتخلفوا عن الركب .

وفي الحديث عن دور الشعر في المعركة والاحداث السياسية التي صاحبت

---

(١) جاء في هذا المنشور : « يا أهالي ولاية بغداد : الغرض من معاركنا الحربية دحر العدو واخراجه من هذه الاصقاع ، فتماماً لهذه المهمة وجهت الى السلطة العليا المطلقة على جميع الأطراف التي تحارب فيها جنودنا ، الا أن جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بمنزلة قاهرين أو أعداء بل بمنزلة محررين » وأنظر المنشور في (كربلاء في التاريخ) عبدالرزاق آل وهاب ص ١٧ .

الاحتلال يلزمنا أن نقول : ان الشعر العراقي كان يجري في اتجاهات ثلاثة في تصويره لمشاعر الشعب . وهذه الاتجاهات هي :

١ ـ الاتجاه الاسلامي .

٢ ـ الاتجاه الوطني أو القومي .

٣ ـ الاتجاه السلبي والنفعي الذي أظهر ولاءه للانكليز .

فالاتجاه الاسلامي برز كامتداد للمفهوم الديني في الشعر خلال العهد العثماني ، ويبدو ان أصحاب هذا الاتجاه ممن كانوا يدينون بالولاء الى جمعية الاتحاد والترقي او ممن يبثون فكرة الجامعة الاسلامية وقيام دولة اسلامية رائدها الاصلاح الديني والمساواة بين المسلمين من عرب واعاجم . وكان معظم شعراء هذا الاتجاه من المناصرين للدولة العثمانية في حروبها في البلقان او المغرب العربي ومناهضتها للدول الغربية الكافرة .

ولعل الرصافي وابا المحاسن والبناء والشبيبي واليعقوبي ، والهنداوي والبصير من ابرز انصاره ، فقد كان شعرهم صورة معبرة عن شعورهم الديني ، ومفهومهم للاحتلال بأنه قضاء على الاسلام ، ونشر للكفر في الربوع الاسلامية . ولهذا هبوا في وجهه منذ احتلال البصرة حتى قيام الثورة .

فالرصافي يعد من كبار الشعراء الذين كانوا يدينون بالولاء « لجمعية الاتحاد والترقي » ، وظل على هذا الولاء خلال فترة الاحتلال البريطاني اذ كان يقول :

انا باق على الوفاء وان كانت بقلبي ممن احب جراح
فاليهم ومنهم اليوم اشكو بلغيهم شكايتي يا رياح[1]

(١) أنظر : ديوان الرصافي ص ٤١١ .

غير ان هذا الولاء لا يعني ان الشاعر تغاضى عن ظلم الاتراك وجورهم، وتذلل اليهم، بل على العكس من ذلك نجده يطالبهم بحقوق شعبه في الحرية والعدالة الاجتماعية، وقد اظهر مساوئهم بكل جرأة في شعره السياسي خلال فترة اعلان الدستور، وبعد استئثارهم بالحكم وتحريف الدستور. كقوله:

قد استأثروا بالحكم وارتزقوا به ... وسدوا على من حولهم طرق الرزق
كأنا لهم شاء فهم يحلبوننا ... وكم مخضوا اوطاننا مخضة الزق
وهم يأخذون الزبد من بعد مخضها ... ولم يتركوا للساكنين سوى المذق (١)

غير اننا لم نلمح في شعره بعد الدستور ما يدعو الى وقوف الشعب في وجه العثمانيين أو الانفصال عن الدولة. ولهذا وجدناه خلال الفترة التي سبقت الثورة من اشد المؤيدين لجمعية الاتحاد والترقي، والداعين الى نصرتها باعتبارها حامية للدين الاسلامي. وهو صريح في ندبهم والتحسر على ايامهم باسلوب يجمع بين الشكوى والتحسر، وبنم عن وفائه لهم حتى في ايام السيطرة البريطانية.

وهو ينظر اليهم بمنظار الدين ليس غير، والا لما وقف من الاحتلال موقف المعارض وان لم يكن من المساهمين في الاعداد للثورة عام ١٩٢٠.

وطبيعي أن نجد الرصافي وغير الرصافي ينظرون الى الدولة العثمانية وهي ممثلة لآمال المسلمين في فترة لم تكن فكرة القومية متبلورة في الأذهان، وان ظهر في الشعر العراقي حس بالشعور العربي والتغني بمجد العرب فلأنهم حملة الرسالة الاسلامية.

غير ان الذي نلاحظه في شعر الرصافي انه حين دخل الانكليز محتلين

---

(١) انظر: ديوان الرصافي ص ٣٨٩.

للعراق لم يكن داخل العراق بل كان في الاستانة فوقف بهذا الدافع مع بقية الشعراء ذائداً عن الحمى، ولكن بحكمة واتزان، ودون أن ينساق وراء عواطفه لينعتهم بالكفار ولم يكن مندفعاً متهوراً يرسل القول على عواهنه، انما نظم القصيدة بروح المتحمس العاقل الرزين، فلم يقل ان الانكليز كفار يجب أن يحاربوا لكفرهم، ولم يهاجم الصليب أو يتطرق الى الهلال ومكانتهما، فشأنه شأن المسلم المثقف الذي يعرف ما له وما عليه من أمور الدين. هاجم الانكليز لأنهم شعب يريد أن يستعمر أوطانه ويهدم الدولة العثمانية التي يدين لها بالولاء[1].

ومما قاله في الذود عن الوطن والدعوة الى حمل السلاح :

يا قوم ان العدى قد هاجم الوطنا
فانضوا الصوارم واحموا الاهل والسكنا
واستنفروا لعدو الله كل فتى
ممن نأى فى أقاصي أرضكم ودنا
واستنهضوا من بنى الاسلام قاطبة
من يسكن البدو والارياض والمدنا
واستقتلوا في سبيل الذود عن وطن
به تقيمون دين الله والوطنا[2]

أما عبدالرحمن البناء[3] فقد وقف بوجه الانكليز بكل قوة وصلابة مقدماً

(١) الشعر العراقي الحديث د. يوسف عزالدين ص ٨٥.
(٢) ديوان الرصافي ص ٤٨١.
(٣) أنظر ترجمته في المقدمة التي كتبها محمد بهجة الأثري لديوانه الموسوم (ذكرى استقلال العراق) وقد كان عبدالرحمن بناء فعلا، وهو يفتخر بتلك الصنعة بقوله :

انا البناء من غير افتقار قضيت العمر في ماء وطين

لنا صورة مفزعة للحرب الدائرة ، والنتائج المترتبة على الاحتلال ، من افناء المجموعة الاسلامية ، وانتهاك للحرمات ، وتهديم المساجد ، لذا فقد وجه خطابه الى المسلمين ليهبوا مدافعين عن دينهم :

أيها المسلمون لا فخر الا ... نجعل الخصم فى القفار طريدا
فهلموا الى النفير سراعا ... لا تهابوا مدافعا وجنودا
كل نفس مصيرها الموت لكن ... من يمت بالدفاع مات شهيدا [1]

والصورة التي نراها في الشعر خلال الفترة الاولى من المقاومة العراقية تظهر بوضوح ما كان يخامر اذهان العراقيين من شك في السياسة العثمانية تجاه العرب ، وما كانوا يضمرونه لها من عداوة وحقد ، غير انهم من جهة اخرى متمسكون برباط الدين ولهذا قال البصير :

صبرنا على جور أعدائنا ... لحفظ الديانة لا عن رهب
ولكنهم قوضوا صرحها ... لتبنى لهم عاليات الرتب [2]

ففيها اشارة الى ان الاتراك اعداء للعرب غير انهم شر كاؤهم في الدين .

لذا فهم لم يقفوا في هذه الزاوية طويلا وهم مكتوفو الايدي تجاه المحن التي انتابتهم ، وتحول نظرة الغرب الى الشرق وما فيها من طموح وأطماع ليقارنوا بين الاسلام وأعدائه ، وليذكروا فضله على الغرب في مدنيته الحاضرة وما انتاب أقطاره اخيراً من الكوارث . كل ذلك أظهره الشعر العراقي وهو في معرض الدفاع عن حدود الوطن وأرض الاسلام . كقول أبي المحاسن [3] في قصيدة بعنوان

(١) الشعر العراقي الحديث ص ٨٣ .
(٢) انظر : مجلة دار السلام عدد ٤ م٢ ص ١٦٧ .
(٣) ديوان أبي المحاسن ص ٤٧ .

(أيها الاسلام) قالها بعد احتلال الانكليز للبصرة بثلاثة أشهر :

لك الشرف الباقي وان رغم العدى
أبى الله الا أن تدوم مخلدا
تربيت بالمجد الاثيل وما لهم
اذا اجتذبوا ذاك الرداء سوى الردى
وما لنظام الكون غيرك كافل
لك الله فاسلم كي نعيش ونسعدا

وفيها يقول بعد تبيان محاسن الدين وفضله على البشر :

جزى الله عنك الظالمين نكاية ... تقوض من بنيانهم ما تشيدا
يرومون منا أن نعيش أذلة ... وينقاد منا كل صعب معبدا
فما العز الا أن تشام وتنتضى ... وما الذل الا أن تشام وتغمدا
وما هي الا جولة الخيل شزبا ... عوادي يحملن الوشيج المسددا
تطير جنود الانكليز أمامها ... شعاعا كما رعت النعام المشردا[1]

وله قصيدة اخرى حافلة بالنزعة الوطنية والقومية الممزوجة بالروح الاسلامية التي تعبر عن عقيدة الشاعر الدينية وتعكس ما يعتمل في نفسه من هواجس تجاه المحنة التي ستحل بالمسلمين حينما تتقدم جيوشهم لاحتلال العراق ، فتذل المسلمين ، وتعيث في أرضهم فسادا . يقول :

قوموا بواجب دينكم ... ان القيام لكم وجب
أن تنصروا دين الهدى ... فالنصر فيكم والغلب

(١) انظر : ديوان أبي المحاسن ص ٤٧ - ٥٠ .

طلع الهـــلال بسعـده فسينجلي ليل الـكرب [1]

وفي ديوان أبي المحاسن أكثر من عشرين قصيدة تتجلى فيها الروح الاسلامية التي تعبر عن نزوع الشاعر ووجدانه الاسلامي وقد ذكر فيها الاحتلال البريطاني ووحشيته ، وقسوته في ابادة المسلمين المدافعين عن دينهم ووطنهم ، كما صور استبسال المجاهدين ، وشجاعتهم في جميع الحروب التي خاضوها مع الانكليز . وهو لم ينظر من خلال الدين الى الانكليز فحسب بل وجه أنظار الآخرين الى عملاء الاستعمار ممن ربطتهم والاستعمار أواصر الصداقة والمصلحة الشخصية فذكرهم وفضحهم دون أن يرهب من حراب الانكليز والشيوخ الذين تواطئوا معهم حينما أسلموا مدينة البصرة ثغر العراق بدون مقاومة اليهم كدفعة مقايضة لبيع الضمائر في سوق الاتجار بها .

فله في هجاء أحد المشايخ الذين ساعدوا جيوش الاحتلال في الاستيلاء على البصرة قصيدة لم تذكر صراحة اسم الشيخ المقصود بها ، لكنه معروف لدى الاوساط البصرية في حينه :

أبلغ اذا جئت أبا . . . . . وهو الالمعي اللبيب
وقل له أين استقل الحجى منك فأصبحت بأمر عجيب
تخذل دين الله مستنصرا من سفه الرأي لدين الصليب
وتسلم الثغر لاعدائه أسلمك الله ليوم عصيب
انك تبغي خطة ما لها في الدين والدنيا جميعا نصيب
فلا سقاك الله الا القذى بعد ولا أرعاك الا الجديب

---

(١) المصدر نفسه ص ١٧-١٩ .

ما هو الا قلم نافـذ يسلبك الامر فبئس السليب
فتخلع العـز وأبراده وتلبس الذل بها عن قريب[1]

وفى القصيدة سخرية لاذعة وتهكم فاضح لهـذا الشيخ الذي باع الوطن ودين الله .

ولا نود الاطالة في سرد الشواهد الشعرية التي تشير الى صدق المشاعر الدينية وطغيانها في الشعر الثوري خلال اليقظة الفكرية التي نبهت العراقيين الى الاخطار التي كانت تتهددهم جراء الاحتلال .

والمفهوم الديني في الشعر العراقي لم يكن خاصاً بفئة من شعراء بغداد وحدها بل كان يسري في قصائد اغلب الشعراء فى مختلف انحاء العراق ، وبخاصة في المدن المقدسة كالنجف وكربلاء والكاظمية . وربما كان دور النجف وكربلاء اعظم من دور بغداد في اعلان الجهاد ، ولبث الحماسة في نفوس المجاهدين الذين هبوا من ساعتهم الى جنوب العراق لمقابلة الانكليز بدافع من الواجب الديني كما يتمثل ذلك حتى في الشعر الشعبي ، كقولهم في الاهزوجة المشهورة (حل فرض الخامس گومو اله) (٢) حيث وقفت عشائر القسم الجنوبي من العراق بعد الافتاء الذي صدر من النجف باعلان الجهاد موقفاً بطولياً رائعاً يتقدمها علماء الدين من أمثال محمد سعيد الحبوبي الذي توفى في جبهة (الناصرية) خلال الحرب ، والسيد محمد حسين كاشف الغطاء ومهدي الخالصي وعبدالكريم الجزائري وغيرهم . كما وقف الشبيبي وكاظم الدجيلي والبصير واليعقوبي وكاظم آل نوح وغيرهم من

---

(١) ديوان أبي الحسن ص ١٣ .

(٢) والفرض الخامس هو الجهاد فقوموا تلبية لندائه .

الشعراء الى جانب الجيش العثماني يحدوهم الأمل فى تغير موقف العثمانيين منهم بعد الانتصار المرتقب على الانكليز ، وتثبيت أسس الدين الاسلامي الذي يجمع بين العرب والاتراك .

اما الاتجاه الوطنى أو القومي الذي ظهر فى تلك الفترة ، فهو الذي يعنينا بصورة خاصة في هذا المجال لأنه حمل الينا صورة الشعب وهو يدافع عن الوطن بعنفوانية متزايدة اذكاها الشعور العربي المتسامي فى صدور العراقيين ، وعبر عنها الشعر بحرارة تنم عن صدق المشاعر العربية التي اعتبرناها بداية للشعور بالقومية يوم لم تكن القومية سوى شعور دينى وتاريخي يجمع شمل المسلمين فى الشرق العربي ليشدهم بالولاء الى الدولة العثمانية .

غير ان الذي وجدناه في الشعر العراقي يختلف ويشتد اختلافه كلما ارتفعنا بالاحداث الى ما قبل الثورة العراقية الكبرى .

وبالرغم من وجود الشعراء في بقعة لا تزال ترفرف عليها الراية العثمانية فان ولاءهم للعروبة كان أقوى من عثمانيتهم خلال معاركهم مع الانكليز ، ووطنيتهم كانت تفرض عليهم ان ينبهوا ويحثوا ويستفزوا الناس الى ما يدبر لهم بالسر والخفاء حتى وهم يحاربون أعداءهم الكفار الى جانب الاتراك الذين منحوا الالمان امتيازاً بمد سكك الحديد لاغراض عسكرية فى العراق ، وقد اشار محمد رضا الشبيبي الى ذلك بقوله :

مدوا الحديد وما اهتزت لمده ... سكك الحديد بأرضنا أصفاد
طرق الحديد اذا التوت وتشابكت ... شرك به شرف العراق يصاد [1]

---

(١) أنظر : ديوان الشبيبي ص ٣٦ .

وقد وردت لفظة (العرب) في كثير من القصائد الاستيقاظية التي دعا فيها الشعراء أبناء الشعب الى الجهاد مقرونة بصور البطولة المستوحاة من تاريخ العرب أيام عزهم ومجدهم ، داعية الابناء لحفظ تراث الآباء من الضياع ، مستفزة العواطف القومية فيهم ، كقول ابي المحاسن عند انسحاب الاتراك من البصرة واستيلاء الانكليز عليها في ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٤ الموافق للخامس من محرم سنة ١٣٣٣ هـ :

الشعب يهتف بالعرب ... اين الحماة أولو الحسب
أين الالى بسيوفهم ... تطفى الوغى وبها تشب
الواردون على المكارم ... صفو ماء لم يشب
قوم اذا شبت وغى ... ترمى وتقذف باللهب
خاضوا الحمام كأن في ... خوض الحمام لهم أرب
من كل اشوس ما دعا ... داعي الوغى الاوثب[1]

والدعوة الوطنية والقومية صورة واحدة في الشعر العراقي بعيدة عن الاقليمية أو الوقوف عند حدود العراق ، اذ لم نلمح حساً قومياً ضيقاً لدى شعراء العراق اثناء الاحتلال ، فهم يرون حدود العراق جزءاً من الوطن العربي الكبير ، وفي دفاعهم عن العراق لا يعطى مسوغاً للقول بأنهم يخدمون قضية العراق وحده ، لاننا لانجد في هذا الشعر التزاماً بقضية مجردة من المفهوم العام للقضية العربية . فالشاعر يدعو العرب ولم يوجه نداءه الى العراقيين ، ويشيد بمجد العرب ، ولم يشد بمجد العراقيين وينشد وحدة العرب في مختلف أقطارهم كقول الكاظمي :

---

(١) انظر : ديوان أبي المحاسن ص ١٧ .

انما الشام والعراق ومصر أخوات وان تفرقن حينا [1]

كما ان الشعراء من ناحية اخرى يعكسون في شعرهم مشاعر وطنية صادقة تمثل الظروف السياسية التي عاشها العراق قبيل الثورة .

وفى دراستنا للشعر الوطني فى العراق في الفترة ما بين الحرب العالمية الاولى والثورة العراقية عام ١٩٢٠ تبدو لنا حقيقة ثابتة هي ان مثل هذا الشعر كان المنطلق الرئيسي في الثورة وقد مهد لها ، وأعد الناس لتقبل فكرتها ، فاضحوا مهيئين نفسياً ومعنوياً للوثوب بوجه الاستعمار ، غير نا كرين المفهوم الدينى فى فكرة اعلان الجهاد .

اما الاتجاه الثالث الذي ظهر فى الشعر العراقي خلال فترة الاحتلال فهو الذي أسميناه بالاتجاه السلبي او التيار النفعي أو الذاتي ، الذي نظر الى الاحداث من زاوية المنفعة الشخصية ، فوقف بوجه الاتراك وذم عهدهم وشمت بهم ، ومدح الانكليز ، وربما غالى في مدحهم .

والحقيقة التي نود عرضها في هذا المجال هي أن بعض الشعراء قد رحبوا بالفاتحين متخفين بأسماء مستعارة ظهرت في الصحف الموالية للانكليز كصحيفة العرب ، والعراق ، ومجلة دار السلام ، ومن تلك الأسماء المستعارة التي قدمتها لنا تلك الصحف : (ابن ماء السماء) و (ابن الفراتين) و (ابن السليقة) و (ابن الرثاء) و (ابن العرب) و (ابن الحارث) و (ابن السلام) و (ابن بابل) و (ابن اليراع) و (ابن العراقين) . وغيرها من الاسماء التي عبرت عن تقلقل الوضع السياسي وغموض الأحداث ، فبعد أن وجدنا الشاعر يندفع بكل ايمان في محاربة الانكليز ،

---

(١) انظر : ديوان الكاظمي ـ نشر حكمت الجادرجي ١٤٤/٢ .

اذا به في اليوم التالي لسقوط بغداد يمتدح العهد الجديد ويذم الاتراك متناسياً موقفه السابق .

فعبدالرحمن البناء بعد ان يدعو الى محاربة الاعداء واخراجهم من الوطن داعياً الى الاستشهاد فى سبيل الحق يطالعنا بعد سقوط بغداد بقصيدة ينعي فيها عهد الاتراك ، وقد نشرها في جريدة العرب باسم (ابن ماء السماء) متناسياً شعوره الاسلامى وارتباطه بالاتراك فقال :

ما بال بغداد قد ضاقت بها الحال ... وخف بالأهل منها اليوم ترحال
بالامس كانت بقايا الجند رابضة ... فيها وللناس اشغال وأعمال
وكان للترك فوضى من تجبرهم ... واليوم للترك لا قيل ولا قال
كانت بهم غرفات الظلم شامخة ... وأصبح الصبح الا وهي اطلال
دار السلام غدت دار الحروب الى ... أبنائها وهم في السلم أبدال
ليل السقوط بدا بالنحس طالعه ... تصادمت فيه بالأهوال أهوال
ريح ورعد وبرق واضطرام وغى ... كانما ازدحمت فى الافق آجال
للنهب والسلب بين الناس معترك ... لكن قتلاهم في السوق أموال
والرجال من الأهوال زمجرة ... وللنساء ابتهالات واعوال

وفيها يخاطب احدى النساء مادحاً الانكليز :

الست من أمة العرب الالى نجحوا ... وفك عنهم ببعد الترك أغلال
فاستبشري أنهم نالوا مطالبهم ... بفضل قوم لهم فخر وافضال
الانكليز هم ما خاب صاحبهم ... ولا هم بحقوق العرب جهال[1]

(١) جريدة العرب عدد ٢٢ لسنة ١٣٣٣هـ وهي مثبتة في ديوانه (ذكرى استقلال العراق) ص ٦٣ وما بعدها .

وهي صورة حية للحرب التي أضفى عليها الشاعر من خياله كثيراً من الابراق والارعاد فجعلها تنشب بين قوتين ضاربتين ، كما أبرز صورة النهب والسلب الذي استغلته بعض الفئات ، وكانت قد تعودت عليه خلال العهد العثماني يوم لم يكن القانون سائداً .

وهناك قصيدة اخرى بنفس المعنى لشاعر تسمى بابن الفراتين يصف فيها (بغداد والحريق والنهب) وهي صورة مضطربة لحكم الاتراك ، كما يقدم فيها وصفاً مروعاً للانفجار الذي وقع في مستودع الذخيرة والقصف المدفعي الذي أفزع الناس وجعلهم يعدونه ساعة الحشر فيقول :

فاضرموا النار في بغداد من حنق ... كأن بغداد ردتهم على العقب
وفرقعوا مؤنا للحرب فانفجرت ... تواصل النسف في الابراج والقبب
فهزت الارض زلزالا صواعقها ... كأنما الأرض مهد الخطب والغضب
النفس في خطر والقلب في ضجر ... والجسم يرعد بين الخبل والرعب
تطاير الشر في جنح الظلام وما ... ادراك ما الشر بين النار واللهب

والقصيدة لا نجد فيها مدحاً واضحاً للانكليز غير أن الشاعر بذمه الاتراك ومهاجمته لهم بعنف متهماً إياهم بالكفر وما كانوا عليه من عبادة وثنية كأنما وقف مؤيداً الانكليز :

رب المغول هو الثور الذي انتظمت ... جماجم الصيد قهراً منه باللبب
هو الذي أرشد الاتراك منظره الـ ... ـقاسي الأليم الى التدمير والحرب[1]

(١) جريدة العرب عدد ١٥ في اغسطس ١٩١٧ ، وفي العدد الأول من الجريدة نفسها الصادر في ١٤ تموز قصيدة بعنوان (صوت من العراق ـ بشرى وذكرى) بتوقيع =

وآخر يتطوع للمديح الرخيص والثناء المشوب برائحة الاتجار بالضمير فيعنون قصيدته بـ (جورج الخامس) رافعاً يد الضراعة والابتهال الى المولى القدير ليمد في عمر عميد الدول وسلطان العراقين الذي زاد على ممدوح النابغة الذبياني حين قال :

كأنك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

(فابن السليقة) يقول :

دعائي وحمدي ومدحي اتصل لسلطاننا وعميد الدول
هو الملك المرتقى في علاه مراقي ينحط عنها زحل
لقد نشر العدل في العالمين وهل عادل مثله قد عدل ؟!
وان السلاطين دانوا له وباتوا به يضربون المثل
اذا ما عساكره سيرت فبين يديها يسير الأجل
وان أدركوا الحرب يوم النزال بهام العدى خيلهم تنتعل[1]

والشعراء الذين ساروا في ركب الانكليز ـ على قلتهم ـ أظهروا للشعب العراقي ان هناك فئة انتهازية غير مستقرة يمكنها ان تبرز صورة سلبية ـ ولو جزئياً ـ للمجتمع العراقي ، انعكست في آثار الشعراء الذين أغرتهم سلطات الاحتلال بالمال والمناصب فانهالوا بمديحهم الرخيص للانكليز .

= ابن الفراتين أيضاً وهي من نفس القصيدة المذكورة أعلاه : يحمل فيها على الترك ويمدح الانكليز :

هذا يحاول تحرير الرقاب وذا لشنقها كان قبلا ضارب الطنب
هذا يكابد تنزيك البلاد وذا يسعى لراحتها من ذلك النصب

(١) المصدر السابق عدد ٤٥ في ٢٢ـ٩ـ١٩١٧ .

فالزهاوي له دور لا ينكر في مقارعة الانكليز في بداية الاحتلال وله قصيدة طويلة نشرها في جريدة « صدى الاسلام » وفي اعداد متسلسلة منها ، بدأها بمخاطبة الجيش العثماني بقوله :

ألا أيها الجيش اللهام المعسكر تقدم فأنت المستطيع المظفر

ثم هاجم الانكليز بقوله :

وما هذه في الدهر اول مرة رأى الحق فيها الانكليز فأنكروا
بغوا مرة من بعد اخرى فنالهم أذى البغي ، والتاريخ أمر مكرر

وفيها اندفاع واستماتة تبين اصرار الشاعر على خوض الحرب :

سأغسل عني العار بالسيف انه ليصدق عند الضرب أو يتكسر
فوالله لا أثني جوادي عن العدى غداة غد حتى يولوا ويدبروا[1]

كما أن له قصائد اخرى خلال أعوام الحرب ، استنفر فيها أبناء الشعب الى الجهاد وصور بطلان الاحتلال ، ورسم صورة للمآسي التي خلفتها القذائف في أرض العراق مبتدئاً من واقعة (الشعيبة) في جنوب العراق حتى احتلال مدينة الكوت جنوب بغداد . كما فيها ثناء على القواد الاتراك الذين قادوا المعركة قبيل اندحارهم واصفاً سلاح المعركة في البر والجو وصفاً دقيقاً .

غير أنه بعيد الاحتلال ادار ظهره للعثمانيين ومدح الانكليز وكال لهم الثناء ولعل « حبه للعدل ساقه الى مدح الانكليز لنظامهم الدستوري قبل احتلالهم العراق بمدة طويلة »[2] .

---

(١) انظر الاعداد ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ في سنة ١٣٣٢ لجريدة صدى الاسلام .
(٢) تطور الفكرة والاسلوب في الأدب العراقي د . داود سلوم ص ٢٨٢ مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٥٩ وأنظر : الشعر العراقي الحديث د . يوسف عزالدين ص ١١٢ .

وقد علل ذلك بقصيدة جاء فيها :

وجدت الانكليز أولى احتشام ... أباة الضيم حفاظ الذمام
فصادقهم تجد أخلاق صدق ... لهم والصدق من شيم الكرام

ومنها :

أحب الانكليز وأصطفيهم ... لمرضى الاخاء من الانام
جلوا فى الملك ظلمة كل ظلم ... لعدل ضاء كالبدر التمام
ودكوا بالسياسة كل صعب ... وخاضوا بحره والبحر طامى

ويتحامل فيها على الاتراك :

وانت تسومك الأتراك خسفا ... وتسلب من حقوقك باهتضام
فوال الانكليز رجال عدل ... وصدق في الفعال وفي الكلام[1]

ولا شك أن القلق النفسي الذي استحوذ على الشاعر هو الذي دفعه الى هذا التناقض دفعاً[2] ، وأبعده عن المكانة التي كان يجب أن يحتلها في نفوس الجمهور العراقي .

وموقفه هذا من الاحتلال لا يدعونا الى القول بأنه ارتمى في أحضان الانكليز وابتعد عن الركب التحرري ، لكونه شاعر الحرية في أغلب العهود التي عاشها .

فقد قال بعد فترة وجيزة من الاحتلال لما رأى مظالمهم :

يا أيدي الظلم شلى ... ويا بلاد استقلي

---

(١) انظر : جريدة العرب ١٥-٢-١٩١٨ وقد نشرها بتوقيع (شاعر عربي) وهي فى ديوانه (الكلم المنظوم) ص ١٤ .
(٢) آراء في الأدب العربي د . يوسف عزالدين ص ٢٧ .

ويا رجاء تعـزز ويا مصاعب ذلي
وانت يا راية المو طن أخفقي واظلي
يا أرض أهلي ومالي فداك مالي وأهلي
ليس الحياه بعز مثل الحياة بذل
قد جاء يوم بأيدي فيه أكسر غلي
ان القلوب من الغيظ كالمراجل تغلى[1]

وان لمسنا في دواوينه المتأخرة ، كالثمالة والأوشال شيئاً من مظاهر حياته في الفترة الأخيرة ، مع تصوير حقيقي لنوازعه النفسية والقلق الذي غلف شخصيته ، فولد في نفوس الجمهور نفوراً منه لتزلفه لسلطات الاحتلال ووقوفه ضد الثورة . وهو ما سنشير اليه في الفصول القادمة .

يقول انور الجندي « ولست اعتقد ان أدب القوة يمكن ان يؤدى بأقوى مما اداه الزهاوي في قصائده الحماسية النارية التي دعا فيها الى الحرية(٢) » فدور الزهاوي في المقاومة لا ينكر سواء فى العهد العثماني ام بداية الاحتلال البريطانى للعراق ، رغم ما حصل من تغيير في اتجاهه السياسي . فهو كالرصافي في تبنيه قضية الحرية والدفاع عنها ، وان كان فى العهد العثماني بأسلوب أعنف من الرصافى . كما انه لا يتفق معه من حيث النظرة الموضوعية الى السياسة ، وعدم تأثره بالعاطفة الدينية أو النزعة الشرقية تأثراً بالغاً ، فهو لم ينعت الغربيين بالكفار ، ولم يصفهم - كبقية الشعراء - بالوحوش . وانما نظر الى الجانب الحضاري لديهم وقارنه بما كان عليه

(١) انظر : اللباب ص ١٤ .
(٢) الزهاوي شاعر الحرية ص ٥١ .

الشرقيون من تخلف وانحطاط ، فطالبهم باللحاق بالأمم المتقدمة وخاصة أمم العالم الغربي لأنهم لم يسبقونا ويسيطروا علينا الا بفكرهم وسلاحهم الذي فاق ما لدينا من تفكير وتنظيم ـ كقوله :

الغرب مستند الى التدبير والشرق معتمد على التقدير
الغرب قد أخذ اللباب لنفسه والشرق لاه اهله بقشور (١)

وان كان يؤمن بحتمية انتصار الشعوب الشرقية :

يا ايها الغرب ان الشرق مضطرب يا ايها الغرب ان الشرق مغتصب
خفف من الوطء فالأيام تنقلب الشرق يشبه بركاناً به حمم
أخاف من انه يا غرب ينفجر (٢)

وقد وجدنا فى مديح الانكليز شعراً لشعراء غير الزهاوي من امثال الشيخ عبدالحسين الحويزي ، والمعلم داود صليوه ، وعبدالرحمن البناء وآخرين لم يذكروا اسماءهم صراحة . وقد يكونون معذورين فى هذا النهج الذي تصوروا فيه عدالة الانكليز وديمقراطيتهم فى حكم شعبهم ، غير ان الذي وجدناه لدى بعض الشعراء لا يعطينا صورة الاعجاب فحسب بل يذهب أبعد من ذلك الى الترويج والدعاية لصالح الاحتلال ، واستمراريته في حكم العراق ، وهي امور لا تستبعد في مثل تلك الظروف السياسية القلقة ، ولدى اشخاص رأوا فى تأييد الانكليز ما يحقق لهم الظهور والتقدم على سواهم من الناس — وربما كان بعض من مدح الانكليز لم يكن في مدحه ما ندعوه دعوة للتأييد او حباً بالانكليز بل وجدنا ذلك امراً طبيعياً جاء

(١) انظر : اللباب ص ٩١ .
(٢) انظر : اللباب ص ٣٠ .

في اعقاب انسحاب الاتراك الذين نشروا الدمار والتخلف في العراق ، وتفاؤلا بالسياسة المرتقبة وتصديقاً بالوعود والعهود التي قطعها المحتلون على انفسهم في منح الحكم الذاتي للعرب . ولهذا بعد ان تكشفت نيات الانكليز وجدنا الشعراء يقفون في الصفوف الامامية من الجماهير الثائرة يحثون على مواصلة النضال ، وردع المحتلين .

ومن خلال استعراضنا لاتجاهات الشعر الثلاثة التي لمحناها في الشعر العراقي في فترة الاحتلال تبرز لنا حقيقة الفكر العراقي وما طرأ عليه من تغير في المفاهيم التي كان عليها أبان الاحتلال العثماني ، وان كان الترابط بين التيارين الاسلامي والوطني والشعور القومي متلازماً بحيث لا يمكن عد الشاعر منتمياً الى اتجاه واحد دون أن يبدي شعوراً في الاتجاه الآخر ، فالمفهوم الديني والقومي والوطني ظهر كتيار واحد عند معظم الشعراء ، وبصورة خاصة شعراء النجف وكربلاء ، ولعل ذلك يعود الى البيئة الدينيـــة التي نشأ عليها هؤلاء الشعراء ، واتصالهم الشديد بالتراث العربي والاسلامي .

غير ان خروج معظم الشعراء والمفكرين في الفترة المتأخرة من حياة الدولة العثمانية وبداية الاحتلال البريطاني للعراق الى الاستانة أو القاهرة أحدث اثراً في الحركة الادبية في العراق امتد الى الفكر النجفي وزاد من اتصاله بالأحداث العربية والعالمية ، فنما الشعور القومي وتفاعل بما كان يجري في البلاد العربية من امور ، وواكب احداثها السياسية ، ورفع لواء الوحـــدة العربية والدعوة الى استقلال البلاد العربية وخاصة بعد الضربات الساحقة التي تلقتها الدولة العثمانية في حروبها الاخيرة مع الدول الأوربية .

الثورة العربية ١٩١٦ :

لم تقم الثورة العربية في وجه العثمانيين الا بعد ان يئس العرب من اخوانهم في الدين وعجوا بالشكوى من سوء تصرفهم ، وخاصة فيما يتعلق بنظرتهم الى العرب ، تلك النظرة القاسية التي عجلت بالانفجار وساقت العرب الى التحالف مع اعداء الاتراك طمعاً بالاستقلال لا حباً بالحلفاء أو استبدال سيد بآخر .

والشيء الذي يعنينا هنا من الثورة العربية الجانب الفكري فيها وما رافقه من تطور ، وتوسع في المضمون القومي للحركات التي قامت نتيجة لهذا التطور .

لقد كانت الجزيرة العربية تخضع لسلطان الأمراء من ابنائها ، وهم لم يكونوا في يوم من الأيام متحدين أو مرتبطين برابطة إخاء ومودة ، بل كانوا متفرقين يحكمون حكماً عشائرياً لم يخضع لتطور الزمن ولم يعترف بغير سلطة الامير ، ومن جراء هذا التنازع فيما بينهم تباينوا في ولائهم للسلطان الخارجي ، فقسم منهم خضع للعثمانيين ، وآخر اغدق عليه الانكليز الاموال واغراه بالمواعيد فمال اليهم .

وكان الحسين بن علي شريف مكة ممن ارتبطوا بالانكليز ، واعلنوا الحرب على الاتراك ، ومن ورائه وقف بعض الساسة العرب الذين اعتبروه واولاده مثالا خيراً للقضية العربية . ولهذا فان الثورة العربية لم تكن خاصة بالحسين أو بعائلته ، ونحن نرى مع الدكتور ماهر حسن فهمي حين قال : « ويخطىء من يظن ان الثورة العربية قامت على أكتاف الحسين بن علي الهاشمي وآله وحدهم ، فالحقيقة ان تلك الثورة كانت ثورة الشعوب العربية التابعة للدولة العثمانية ، وما من عربي استطاع ان يؤازر الثورة أو ان يلحق بها الا أقدم على ذلك بطيب خاطر »[1] .

---

(١) حركة البعث في الشعر العربي الحديث ص ٣٣ .

وإقدام العرب على تأييد الثورة العربية كان ناتجاً عن شعورهم بظلم الاتراك ، لذا فقد نظروا الى عهود الحلفاء نظرة أمل واستبشار بالاستقلال وتكوين كيان او كيانات عربية مستقلة ، وكانوا يعتقدون بأن « الثورة العربية فى الحجاز ظاهرة قوية للوعي العربي القومي »[1] .

غير ان نتائجها جاءت مخيبة لآمالهم بعد تنصل الحلفاء من عهودهم التي قطعوها للعرب خلال الحرب العامة ، ووقوع البلاد العربيـة تحت الاحتلال الغربى المباشر .

واذا لمسنا شيئاً من الاحساس بالتأييد للثورة العربية فى الشعر العراقي فلا يعنى هذا وقوف العراقيين الى جانب الحلفـاء أو انشغالهم عن القضايا الوطنية والقومية ، بل العكس من ذلك فقد وجدنا فى شعر الرصافي أول تنبيه للعرب على كذب تلك العهود ، وانتقاد سياسة الحسين ، وتسرعه بالتحالف مع الانكليز . فقد وقف الرصافى من الحسين موقفاً صلباً امتد فى شعره حتى مع الملك فيصل خلال فترة حكمه في سورية عام ١٩١٩ وحتى بعيد الثورة العراقيـة عام ١٩٢٠ وتسنم فيصل عرش العراق ، وربما كان هذا بدافع من ولائه للاتحاديين أولا ونظرته الى مخلفات الغرب خلال الحرب العالمية الأولى ، وقبلها في المغرب العربي ، وما أجرته على تلك الاقطار من ويلات ثانياً ولم يكن ذلك بدافع الخصومة الشخصية كما يتصور محمد مهدي البصير[2] .

يقول مصطفى علي : « والرصافي من أرباب العقائد السياسية ، وعقيـــدته

---

(١) انظر : الثورة العراقية الكبرى ط٢ عبدالرزاق الحسني ص ١٤ .

(٢) افادني بذلك فى مقابلة خاصة اجريتها معه ، ويبدو انه كان متحاملا على الرصافي .

يومئذ هي ان تفوز البلاد العربية بحكم لا مركزي دون أن تنفصل عن الدولة العثمانية انفصالا باتاً . من أجل ذلك كله لم يؤيد الأمير حسينا في محاربة حكومة الخلافة الاسلامية ، وموقفه في صفوف عدوها الاجنبي الذي غزاها واحتل كثيراً من بلادها ، فهاجت عوامل شعوره وعقيدته فأملت على قلمه قصيدة في هجائه بعنوان (ثالث ثلاثة) ومطلعها :

هي النفوس وان لم تبلغ الحلما مطبوعة الطبع ان لؤما وان كرما

ثم يلوم الحسين على انضوائه الى الانكليز ومناصرته لهم وخذلانه حكومته فيقول :

لم يكفه في مجال البغي فتنته حتى غدا بعدو الله معتصما
اذ راح بالانكليز اليوم ممتنعا فضاعف الشر فيما جر واجترما [1]

وكل ما جاء في ذكر الثورة العربية من شعر ، يغلب عليه الاتجاه القومي ، ويبين التطور الفكري وتزايد الوعي القومي لدى العراقيين ، ولم يكن ذلك الشعر وقفا على عائلة او شخص معين ، وانما اظهار للمشاعر العربية المتفجرة في النفوس نتيجة الصدمة التي أصيب بها أحرار العراق من الفاتح الجديد .

وان ما قيل في فيصل ، وعبدالله يظهر بجلاء - في بداية الامر - تتبع العراقيين للمحادثات الجارية بين شريف مكة والانكليز ، وهي امور حسب ظواهرها قومية وطنية ، أشار اليها كثير من شعراء العراق ، مثل محمد باقر الحلي ، وعبدالحسين الازري ، والبصير ، واليعقوبي ، ومنير القاضي ، وغيرهم .

(١) انظر : مهرجان الرصافي عام ١٩٥٩ ص ٧٢ ، ٧٣ ، ويقصد بالثلاثة : شريف مكة ، وحسين كامل سلطان مصر ، وحسين رشدي رئيس وزرائه اذ جمعهم الاسم ، والوقوف ضد ارادة الشعوب العربية .

ويكفينا هنا ان نورد قصيدة القاضي في الثورة العربية مخاطبا بها شباب العرب ومما جاء فيها:

جرد العزم وامتط الحزم مهرا ... ما أرى اليوم في التقاعد عذرا
لست أرضى لك الخمول شعارا ... ومنادى العلى يناديك جهرا
فاطرح اللهو والتصابي وشمر ... قاصداً للعلى لتحرز فخرا
واطلب المجد ما حييت بجد ... يترك الأسد دونه وهي حيرى
عيشة المرء ذلة وهوان ... وامتهان اذ لم تخلد ذكرى
خلق الناس للتسابق فانهض ... من رقاد لازمته ويك دهرا
صاح ان الشعوب قامت تسامى ... وتنال الحقوق بالسيف قهرا
وأرى شعبك الكريم ذليلا ... خائفا يحسب الشرارة جمرا[1]

وقد ذكر العمري[2] انها قيلت في احداث الثورة العراقية، والذي نراه ان الخطاب موجه الى كل عربي ابان الثورة العربية.

فالثورة العربية في الحجاز كان لها صدى عميق في الأوساط العراقية، ولهذا فان قوات الاحتلال بالرغم من تحالف الحسين معها قد عمدت «الى اخفاء او تصغير اخبار نجاح ثورة الحسين في العراق. وكان هدفها من ذلك اخماد روح الاستقلال بين السكان العرب المحليين(٣)».

كما ان لها تأثيراً كبيراً في نشوب ثورة النجف عام ١٩١٨ واتجاه الانظار

---

(١) انظر القصيدة في (لب الالباب) السهروردي ٢-٣٩٩.

(٢) انظر: مقدرات العراق السياسية ٣-٥٩.

(٣) Lawrence, T.E Seven pillars of wisdom P. 60.

الى ترشيح احد أبناء الحسين لعرش العراق اثر الاستفتاء الذي تم في عام ١٩١٩، وهو ما سنشير اليه بعد قليل .

ان الشعر الذي وجه الانظار الى الثورة العربية فى الحجاز ، والحركة العربية في مصر وما كان يجري في بلاد الشام نظر في نفس الوقت الى ما انتهى اليه أمر العراق بعيد الاحتلال ، فقد كانت الادارة البريطانية للعراق عسكرية « وقد طلبت الحكومة البريطانية من هذه الادارة الا تعير اهتماما كبيراً للقضايا غير العسكرية [1] » . ومعنى هذا ان الادارة المدنية وضعت تحت اشراف السلطات العسكرية مباشرة ، وفي هذا الامر اذلال للشعب العراقي ، وعدم اعتراف بحقوقه الاساسية في الحياة الكريمة ، والحرية ، ومبدأ تقرير المصير الذي وافقت عليه بريطانيا قبل الاحتلال

وقد ولدت الادارة الجديدة استياء وتقلقلا في الوضع السياسي ليس في صالح المحتلين . فقد حاولوا تطبيق سياستهم في العراق استناداً على خبراتهم السابقة في الهند « وكانت هذه الاساليب قاسية لم يألفها الشعب ولم يكن مستعداً لقبولها بصورة كلية(٢)» .

كما ان السلطات الجديدة لم تكن ترتبط بالعراقيين بأية روابط دينية أو تاريخية كالسلطات العثمانية ، وقد ترتب على ذلك متاعب للانكليز لم يكونوا يتصورونها من قبل .

وقد تناولت ادارة الاحتلال اجراءات في النظام المالي ، والاداري ،

---

(١) انظر : الثورة العربية الكبرى ـ عبدالله الفياض ص ١٢٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٨ .

كفرض الضرائب ، والقيام بأعمال السخرة ، وتقريب الأنصار ، والقسوة مع الوطنيين وابعادهم عن المناصب ، وغيرها من الامور التي اساءت الى الشعب اساءة مباشرة وطعنت آماله في الصميم ، مما جعلته يلتئم في تنظيمات سياسية لتدارك الموقف . فكانت الجمعيات والاحزاب كجمعية النهضة الاسلامية[1] في النجف . والجمعية الوطنية الاسلامية ، وجمعية العهد العراقي(٢) ، وحزب حرس الاستقلال الذي كان مركزه بغداد برئاسة محمد الصدر ، وله فروع في الحلة والنجف وديالى والشامية والكاظمية[3] .

يقول هنري فوستر[4] : « ولكن الجمعية السرية المؤلفة في العراق من ضباط العرب في الجيش التركي كانت أشد هذه الجمعيات تطرفا ، فبينما كانت الكتلة الوطنية السورية تنتظر المساعدة من انكلترة أو مصر أو مكة وحتى من فرنسا كانت الكتلة العراقية المتطرفة ترى عدم الالتجاء الى مساعدة أجنبية حذرا من ان تكون في طلبها المساعدة قد استبدلت سيداً بآخر » .

ومن جانب آخر ننظر الى تطور الفكر السياسي في العراق قبيل الثورة ، فمعروف لدينا ان الحركة العربية قامت على اكتاف العراقيين والسوريين في بداية الأمر . فقد كان الشبان العراقيون والسوريون في الاستانة وباريس يعملون جنباً

---

(١) كانت تستهدف مقاومة النفوذ البريطاني في منطقة النجف وما جاورها ، ومن أشهر العاملين فيها : محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري .

(٢) تحت اشراف محمد تقي الشيرازي وابنه محمد رضا ومن أشهر العاملين فيها هبة الدين الشهرستاني والسيد القزويني وغيرهم .

(٣) وبشأن بقية الجمعيات انظر : الثورة العراقية ـ الفياض ص ١٥٣ وما بعدها و S. H. Longrig : Irag 1900 - 1950 P. 106 .

(٤) تكوين العراق الحديث ص ٧٠ .

الى جنب وينشرون في الصحف داعين الى استقلال العرب ووحدتهم لا باسم قطر من أقطارهم ، كما ان للعراقيين دوراً مشرفاً في المشاركة في حكم سوريا خلال العهد الفيصلي[١] .

ومن المنتظر أن تكون لتلك الحركة العربية في سوريا اهمية كبيرة في الاعداد للثورة العراقية بفضل « حزب العهد العراقي » الذي اوعز الى الضباط والجنود العراقيين المستخدمين في الجيش السوري الى الاستقالة والعودة الى مدينة دير الزور في الحدود العراقية السورية ليكونوا على اتصال وثيق باحرار العراق والمساهمة الفعلية بالثورة[٢] .

كما قرر « حزب العهد » في الشام تأييد الثورة المرتقبة في العراق وذلك بتشكيل عصابات تعبث بأمن البلاد شمالا وتقطع طرق المواصلات على السلطات العسكرية البريطانية فيها ، وقد توجه جميل المدفعي الى دير الزور على رأس جماعة ضمت القواد والضباط ، ورؤساء القبائل المنتشرة في هاتيك الاطراف مستعيناً بسلاح الجيش العربي السوري[٣] .

وفي تتبعنا لأحداث العراق بعيد الاحتلال وجدنا شعوراً ثورياً لدى جماهير الشعب يطغى على احاديثهم ، ويصور منازعهم في طلب الحرية ، ونظرتهم الى

---

(١) انظر: مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية ج١ تحسين العسكري ص٣١

(٢) انظر: زعيم الثورة العراقية عباس علي بغداد ـ ١٩٥٠ ص٤٤ ، وانظر مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى احمد قدري ص٢٠٧ . و
The Making of Modern Irag P . 83

(٣) انظر : تاريخ الشعوب الاسلامية كارل بروكلمان ـ ترجمة منير البعلبكي بيروت ١٩٦٥ ص٧٧٩ ، الحسني ص٥٢ وفي غمرة النضال ص٢٥٨ و Irag 1900 - 1950 P.122

الانكليز بعد نقضهم للعهود التي نشروها على الملأ ، وامتهانهم لكرامة الشعب العراقي ، فباتت تلك العهود مدار أحاديث الناس في كل محفل .

وقد قام الشعراء بدور أجهزة الاعلام في التوجيه الوطني وفضح اساليب الاستعمار ومن ابرز هؤلاء جواد الشبيبي اذ قال :

ألا ايها المخدوع ضيفك صائد ... ويوشك أن تلقى عليك حبائله
أحذرك السحر الذي بلسانه ... وما هو الا مكره واحتياله[1]

كما اشتهرت لمحمد الحجامي قصيدة غزلية استخدم فيها حسن الالتفات الى العهود الكاذبة لانكلترة ، وهو دأب الكثير من شعراء العراق اذ لم ينسوا الاحتلال حتى في موضوعاتهم الخاصة .

قلبي استقل بحبكم ... وله الحشى مستعمرة
فأنا العراق وانكم ... بعهوده (انكلترة)
فمتى الخلاص وانني ... ما بين لحيي قسورة
أبداً تصعد زفرتي ... فكأن قلبي مجمرة[2]

كان هذا يجري في جميع انحاء العراق بعد ان توطدت أقدام الفاتحين وعينوا الحكام السياسين والعسكريين في المناطق ، وأهانوا شعور المواطنين باستفزاز كرامتهم ، والاستهانة بمشايخهم ، والهزء بمعتقداتهم . وقد قامت كل مدينة بدور يتمشى وطبيعتها الفكرية والجغرافية في الاعداد للثورة ، وقدمت تضحيات مادية جسيمة في سبيل الفكرة العراقية وخدمة قضية الانسان العربي فى العراق .

---

(١) انظر شعراء الغري ٢/٤٠٥ .

(٢) المصدر السابق ٢/٤٢٢ .

ولعل اليقظة الفكرية والتنظيم السياسي والدعوة الدينية كانت قد وجدت لها في مدينة النجف تربة خصبة غذت الحركة الثورية في العراق وأطلقت الصيحة الاولى في وجه الاستعمار الانكليزي .

ثورة النجف ١٩١٨ : -

لم يمض على مواعيد (سود) وما جاء بمنشوره الهام غير عام واحد ، حتى تطور الموقف في النجف الاشرف ، واتخذ الامر جدية اكثر في اعلان الثورة المسلحة في ١٩ / مارت / ١٩١٨ . وقد حدثت نتيجة حركة دينية وطنية كانت غايتها الفتك برجال الاحتلال ، وقد تمكنوا فعلا من قتل الكابتن (مارشال) في السادس من جمادي الثانية سنة ١٣٣٦ هـ . وتمكنوا بعد ذلك من حرسه . والسبب في ذلك قسوة هذا الحاكم ، وشراسته ، وصلف اخلاقه . وقيامه باهانة الاهلين عمداً وكان اذا اراد التجوال في طرق النجف ، أرسل لفيفاً من أفراد الشرطة الاكراد من العجم فيسيرون في الطرق وبايديهم السياط فيزعقون في الناس طالبين اليهم الوقوف على الاقدام وافساح الطريق لجناب الحاكم بعبارات شائنة لاتحتملها نفوس النجفيين الاباة [1] .

وما ان سمعت حكومة بغداد بنبأ الثورة في النجف حتى جهزت جيشاً قوامه خمسة واربعون ألفاً بقيادة (بلفور) الذي تمركز حول المدينة وقطع الماء والميرة عنها ، وقصفها من الجو ومنعها من الاتصال بالخارج ، وبقيت هكذا ٢٤ يوما انتهت بمعارك بينهم وبين النجفيين قتل فيها خلق كثير من الطرفين ، وبعد ذلك سقطت المدينة واعدم احد عشر رجلا ونفى ١٠٧ أشخاص الى الهند .

(١) شعراء الغري ٣٦/١

ولعل ثورة النجف هي الخطوة الاولى للقضية العراقية ، والبذرة الوحيدة لنتاج الفكرة الفراتية واتجاهها نحو استقلال العراق [1]. وذلك لكون تلك المدينة المقدسة مركزاً روحياً للشيعة ، ومركزاً للاشعاع الفكري في مدن الاسلام الكبرى

وقد ذكر علي البازي هذه الثورة في تاريخه لزعمائها المنفيين عام ١٩١٨ .

ثـار (الغري) مذ على ... أبنـائه الجور عـلا
ومرجـل البغـي بـه ... بنار سـكسـون غلى
أهـاجـه حفـاظـه ... وموته له حـلا
أبى بأن تحكمه ... دون ذويه الدخلا
لذلكم أصيب فى ... ـ أرخ ـ (حصار وغلا)(٢)

وفيها اشارة الى ما رافق الاحتلال من ظلم وقسوة ، أثارت حفيظتهم في حكم انفسهم بأنفسهم دون رقابة اجنبية . كما فيها ذكر للحصار الذي فرضة الانكليز على النجف مما ادى الى ارتفاع الاسعار وانتشار المجاعة .

وقد وصف الشيخ محمد جواد الجزائري حادثة ثورة النجف بقصيدة نظمها يوم كان معتقلا في بغداد قبل أن يرسل الى (المحمرة) فى ايران . قال ذلك يوم ٢٠ ـ مارت ـ ١٩١٨ :

مددنا بصائرنا لا العيونا ... وفزنا غداة عشقنا المنونا
عشقنـا المتون وهمنا بهـا ... وعفنا أباطحنا والحجونا
رعينا بها سنة الهاشمي ... نبي الهدى والكتاب المبينا

(١) ماضي النجف وحاضرها جعفر محبوبة ص ٢٥٤ ، وانظر : شعراء الغري ٣٨٠/٧ ، الشيخ عبدالكريم الجزائري ص ٥٠ .
(٢) شعراء الغري ٣٧٧/٦ وانظر ترجمة الشاعر في نفس المصدر ٣١٣/٦ .

وصنا كرامة شعب العراق وكنا لعلياه حصناً مصونا
وخضنا المعامع وهي الحمام ندافع عن حوزة المسلمينا
وجحفل أعدائنا الانكليز يملأ سهل الفلا والحزونا [1]

وهو شاعر وعالم وفيلسوف لغوي ، وواحد من اقطاب الثورة العراقية . امتاز شعره بالحس العربي ، والروح الاسلامية التي جعلها منطلقاً لكل عمل وطني كقوله :

وما ضامنا الاسر في موقف أطعنا عليه الرسول الأمينا

غير ان انشغال الشاعر ببث مبادىء الثورة ، والتخطيط لها جعله ينصرف عن قرض الشعر الا نادراً ، وربما كان الفراغ الذي يعيشه وهو في السجن سبباً في قول هذه القصيدة التي جاءت وصفاً للمعانات التي مر بها الشاعر ، ونموذجاً للبطولة العربية في العراق خلال ثورة النجف عام ١٩٣٦ .

ويتبين لنا من هذه القصيدة ، وما قاله بعدها من الشعر موقفه الوطني في النضال خلال الاحتلال البريطاني ، وهو استمرار لدور الشاعر في اسناد حركة المقاومة العربية منذ الاحتلال العثماني .

يقول علي الخاقاني . والجزائري يمتاز بظواهر العنف الشديد والقومية الصارمة واللباقة التي لا تتعدى الحديث .(٢)

اشترك في ثورة النجف ، وخاض احداثها كقائد سياسي وشاعر لسيطرته الروحية على العامة في بث الفكرة الاسلامية ، ومحاولته السيطرة على مشاعر الجمهور عن هذا الطريق لكي يضمن وقوفهم ضد الانكليز . وهو احد مؤسسي (الجمعية

(١) ماضي النجف وحاضرها جعفر محبوبة ص٢٥٤ — ٢٥٥ والعراق في دوري الاحتلال والانتداب ١/٤٠ ، ومعظم المصادر التي تناولت تاريخ الثورة العراقية بالبحث .
(٢) شعراء الغري ٧/٣٥١ .

الاسلامية السرية) التي فتكت بالكابتن (مارشال) حاكم النجف العسكري . وقد حكم عليه الانكليز بالاعدام ، وحاولو اعدامه حين القوا القبض عليه لولا تدخل الامام الشيرازي ، ووساطة الشيخ خزعل حاكم (المحمرة) وقد استطاع بعد احتلال النجف من الفرار بأعجوبة ، ولم يعد للعراق الا بعد تشكيل ما سمي بالحكومة الوطنية بزعامة فيصل .

وقد اسهم في كثير من الحركات الاجتماعية ، والفكرية التي ترمى الى الاصلاح اضافة لانشغاله بالسياسة [1] .

والجزائري مقل في شعره ، اذ لم نسمع له خلال الثورة الا مقطوعات . وتعتبر ثورة النجف شرارة الانطلاق للثورة العراقية . اذ مهدت لها وبينت للشعب العراقي ولأمم العالم ، أن العراق لا يقبل أي دخيل يدنس ارضه ، وينهب خيراته ويحتقر شعبه . ومدينة النجف الاشرف اول مدينة عراقية واجهت الاحتلال الانكليزي بقوة وضراوة ، لأنها ربحت المعركة قبلهم مع العثمانيين ، واسست حكومة محلية مستقلة دامت قرابة السنتين (١٩١٥ — ١٩١٧) تولى قيادتها العلماء والشعراء والابطال من رجالها المخلصين . ولكن عدم التكافؤ المادي بين بلدة صغيرة وجيوش أعظم امبراطورية فى تلك الفترة جعل تلك المدينة الباسلة تتلقى الضربة القاسية من الانكليز . فخسرت شهداء ، ومشردين في المنافي من ابنائها وبقي من بقي يصارع الذل والهوان في فترة عصيبة لم نشهد لها مثيلا في التاريخ الحديث . وقد ترددت على السنة الشعراء مقرونة بمر الشكوى والمصاب الأليم .

---

(١) انظر : الشيخ عبد الكريم الجزائري - مخطوط محمود المظفر ص ٤ ومابعدها بخصوص مشاركة الشاعر في الثورة والتمهيد لها .

وهكذا تكون الثورة العربية في الحجاز وثورة النجف ميدانا أولياً لاظهار الحماسة في نفوس العراقيين وهز مشاعرهم في مختلف انحاء العراق . وان كان ما لمسناه في مدن العراق الرئيسة أو ذات التأثير الفعال في الحركة الوطنية كبغداد والكاظمية والنجف وكربلاء وبعض مدن الفرات الأوسط يختلف عما كان يجري في بعض المدن الاخرى ، لأن وضع كل مدينة والتأثير الفكري والشعور الديني ، والتنظيم الاجتماعي ، والسلطة الادارية المتمثلة في الحكام العسكريين أمور جعلت درجة اتقاد الثورة تختلف من منطقة الى اخرى . كما ان جنوب العراق ـ وبصورة خاصة البصرة ـ لم يساهم في الاعداد للثورة بقدر كاف نظراً لرسوخ العلاقات التجارية بين سكان البصرة والانكليز حيث توثقت وزادت من نمو الفكر الاقتصادي قبل التفكير السياسي ـ يضاف الى ذلك عامل آخر مهم هو ضعف الرابط الوطني لدى بعض المشايخ ورؤساء القبائل وارتباطهم بسلطات الاحتلال منذ أيامه الاولى ، ونحن نعرف مقدار سيطرة هؤلاء على الاتباع من افراد عشائرهم[1] . كالذي نعرفه عن موقف فهد الهذال رئيس عشائر عنزة ، والشيخ علي السليمان رئيس عشائر الدليم في لواء الرمادي ، وخيون العبيد رئيس عشائر العبودة في الكوت ، وغيرهم . وهم عنصر كبير أفتقدته الحركة الوطنية ، وهي بأمس الحاجة الى الرجال والسلاح . فلو اضيف هذا العدد الى العاملين في حقل الثورة لتغير مجرى الأحداث .

ومع موقف الجنوب ، وموقف رؤساء بعض العشائر في مناطق اخرى من العراق تجاه الأحداث السابقة للثورة ، لم نجد ما يبرر تأخير انفجارها ولا ما يدعو

(١) انظر ذلك مفصلا في (فصول من تاريخ العراق الحديث) مس بل ص ٧ وجريدة (العراق) عدد ٦٣ في ١٣ـ٨ـ١٩٢٠ .

الى اليأس والقنوط خاصة بعد تصاعد الحركة الوطنية في الأطراف العاملة من أجل الثورة ، والتي مهدت لها الجمعيات والاحزاب ـ حسبما ذكرنا سابقاً ـ .

ومن خلال الشعر يمكننا الحصول على صورة واضحه للوضع السياسي المتأزم في العراق أيام الاحتلال ، كما نلمحها في بيانات المشتغلين بالقضية العراقية وخطبهم وقصائدهم في السنتين السابقتين لاعلان الثورة ، اذ مهدت تلك الاحداث لها بتفاعل المثقفين ورجال السياسة ، وأعدت الشعب لتقبلها عن طريق الاحتجاجات والاجتماعات ، والتظاهرات .

ولم يكن ذلك خاصاً ببغداد فقط . بل كان يجري فيها وفي النجف وكربلاء بنفس المستوى ، وما يقرب منه في مدن الفرات الاوسط كالشامية والسماوة والديوانية والحلة ، وبنطاق ضيق في بقية انحاء العراق .

والذي يعنينا في هذا الباب موقف الشعراء مما حدث قبيل الثورة ومقدار مساهمتهم في الاحداث التي سبقتها .

ولعلنا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ، أن الشعر كان له دور مشرف في اذكاء الحماسة وبث روح الثورة في النفوس ، واظهار مساوىء الاحتلال ، وحث المواطنين على الجهاد .

والذي بين ايدينا من شعر الفترة السابقة للثورة يقدم لنا مستنداً تاريخياً للوضع السياسي في العراق نلمح فيه حساً اسلامياً وشعوراً قومياً يرتفع مع الاحداث ويواكبها ، وان كانت تطغى على أغلبه الخطابية والتقرير والتعبير المباشر ، الا أن بعضاً منه نلمح فيه سمات العصر الجديد وأسلوب صاحبه بعد التطور الفكري الذي امده بتجارب جديدة مستوحاة من ملامح العصر وروحه ، وتسرب الفكر الثوري الى البلدان العربية .

وكان هذا الشعر سجلا للحوادث التي سبقت الثورة ومهدت لها، اشترك فيها معظم شعراء العراق، ولكن بقدر متفاوت. وربما كان شعراء النجف وكربلاء وبغداد أسبق من غيرهم الى التفاعل مع تلك الاحداث، والاعداد للثورة بما اشاعوه من أفكار ثورية اتسمت بطابع القوة والدعوة الى مجد العرب، ومقارعة الاستعمار، والتأكيد على وحدة الشعب العربي في العراق وفي ارجاء الوطن العربي الكبير. كما انها تضمنت أحياناً دعوة اسلامية شاملة تضم جميع المسلمين كالذي وجدناه في شعر الرصافي واليعقوبي والشبيبي وأبي المحاسن والجزائري والعبيدي.

كما نجد شعوراً بالتمرد والثورة على الوضع القائم لدى شعراء آخرين من امثال عبدالمطلب الحلي ورشيد الهاشمي وعطا الله الخطيب ومحمد رضا الصافي ومحمد باقر الحلي وعيسى عبدالقادر وعبدالرزاق الهاشمي وعبدالكريم العلاف وناجي القشطيني وغيرهم ممن كان لهم دور في الاعداد للثورة خاصة في حفلات المولد النبوي التي كانت تقام بمناسبة ميلاد الرسول(ص) ويشارك فيها مختلف أبناء الطوائف الاسلامية لا سيما في عام ١٩١٩ حيث بلغ التوتر حداً ينذر بالخطر، وكاد أن يفلت زمام الأمر من الحكام العسكريين في أغلب مناطق العراق، مما اضطرهم الى التدخل لوقف تلك الاحتفالات بالقوة كالذي حدث في بغداد خلال الاجتماعات التي اتخذت من الدين ستاراً للعمل السياسي. فقد كانت بغداد بعد الحرب العالمية الأولى وفي الفترة التي أعقبت الهدنة مجمعاً للمنفيين العائدين الى الوطن، كما ان بعض المشتغلين بالقضايا السياسية في الحركة العربية في سوريا قد عادوا الى بلدهم، وبالاضافة الى هؤلاء وجد بعض الضباط المسرحين من الخدمة العسكرية في الجيش العثماني بدون عمل مما اضطرهم الى الالتجاء الى التنظيم السياسي ومطالبة بريطانيا بتنفيذ وعودها في اعطاء العراق حقه في الاستقلال، فانتظموا في احياء حفلات

المولد للتنفيس عن تلك الرغبات وبخاصة في شهر رمضان « حيث اخذت حفلات المولد التي تقام احتفاء بولادة النبي (ص) تقام في الجوامع السنية والشيعية بالتناوب، واخذ أبناء الطائفة يحضرونها بدعوة من المكلفين بالاشراف على هذه الجوامع أو من رؤساء المحلات التي تقع فيها . وكانت في بعض الأحيان تعقب قراءة المولد التي هي من المراسيم السنية البحتة قراءة التعزية وهي من المراسيم الشيعية التي تقرأ في تأبين الحسين (ع) وتقديس استشهاده، ولكن الطابع البارز على هذه الحفلات الدينية كان في جميع الاوقات القاء الخطب السياسية وانشاد الشعر الوطني متلوا بالمراسيم الدينية المعتادة[1] » .

وفي احد تلك الاحتفالات القى أحد الشبان قصيدة ثائرة تدعو الى وحدة العراقيين جاء فيها :

بنى النهرين نسل الطيبينا ... أفيقوا واسمعوا الحق اليقينا
تفرقنا طوائف واختلفنا ... فأصبحنا جميعا صاغرينا
واسلمنا باجمعنا لقوم ... بغاة من طغاة الجائرينا
فجاروا واستبدوا مااستطاعوا ... وذا شأن البغاة الظالمينا
فهيا عوا وهبوا واستفيقوا ... وكونوا كلكم متعاضدينا
وانا ان يفقنا الوقت قومى ... ولم نهض ندم مستعبدينا
ويقض الناس حينئذ علينا ... بأن لسنا ليعرب منتمينا[2]

---

(١) الثورة العراقية الكبرى ـ الفياض ص ١٩٩ .

(٢) كان اسم صاحب القصيدة (عيسى عبدالقادر) وكان من موظفي دائرة الأوقاف وقد ألقاها في جامع الحيدرخانة في السادس من رمضان ١٣٣٨ الموافق للرابع والعشرين من ايار ٩٢٠ وعندي نسخة منها بخط الشاعر .

وهي قصيدة وطنية حافلة بالايمان بقضيه الشعب والحرية التي كان يتعشقها الشاعر كواحد من أبناء هذا الوطن ، غير انها لا ترتقى الى مستوى الفن الرفيع ، فهي أشبه بخطبة وعظية يدعو فيها العراقيين الى التآزر ونبذ التفرقة والالتفاف حول راية الوطن لدحر البغاة الظالمين ، لأن العراقيين ان تقاعسوا عن هذا الحق فليسوا من أبناء يعرب .

ونظرة اخرى الى القصيدة تجعلنا نقر بوطنية الشاعر واخلاصه وصدق عاطفته ولهذا اشتهرت وذاعت بين جماهير الشعب المتحفزة للثورة لا لاسلوبها الفخم أو بيانها الرائع ، وانما لما احدثته من تأثير كبير فى الحضور ولوجود بعض الجواسيس الذين أشار اليهم فيها بصراحة بقوله :

وبعد أقول للجاسوس فينا ... تجسس ما استطعت الحاضرينا
وبلغ من تريد فقد عقدنا ... ـ على ان ننهض اليوم ـ اليمينا
وللملك القواعد قد بنينا ... ولاستقلالنا الأس المتينا

فقامت سلطات الاحتلال بالقاء القبض عليه وارساله الى البصرة ، مما أدى الى خروج مظاهرات منظمة فى شوارع بغداد مطالبة بالافراج عنه ، واختيار من يمثل الأمة [1] لمقابلة السلطات الانكليزية للنظر في الغاء الحكم العسكري ، وتأسيس دولة عربية مستقلة .

وكان موقف رجال الأمن من المظاهرة تفريقها بالرصاص مما أدى الى مقتل رجل أخرس كان أول ضحايا الثورة [2] .

---

(١) بشأن اختيار ممثلين عن الشعب لمقابلة السلطات انظر : الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ـ علي آل بزركان ص ١١٥ .

(٢) انظر قصة استشهاده في (تاريخ القضية العراقية) للبصير ١ـ١٥٠ .

ونظير ما حدث في بغداد جرى في كربلاء (لا سيما ان الامام محمد تقي الشيرازي أصدر منشوراً يدعو الناس فيه الى التظاهر . فخرجت في كربلاء مظاهرة سلمية صاخبة فاهتمت الحكومة بالامر ونفت قادة الحركة الى «هنجام». وقد تأثرت النجف وجميع مدن الفرات الاوسط بمنشور الامام الشيرازي فعقدت عدة اجتماعات اشتركت بها وفود رؤساء القبائل في الشامية[1]) .

ومثل هذا حدث في الموصل وبعض مدن العراق ، فكانت اجتماعات ، وتبادل آراء وارسال مذكرات الى حكام بغداد .

« وقد كثر عدد المظاهرات فتجاوز الخمسين مظاهرة »(٢).

وحدث بعد ذلك ارسال مندوبين عن الامة لمقابلة نائب الحاكم الملكي في بغداد ، واختار الاخير اعضاء وفده واجتمع الفريقان ، وجرت مناقشات ، لم يتوصل فيها الى حل للمشكلة لان العراقيين كانوا يريدون انشاء حكومة مستقلة وفق تصريحات الحلفاء ، والانكليز لا يقرون غير فرض الانتداب . وهكذا فشلت المفاوضات كما فشلت قبلها مطالب الوطنيين خارج بغداد ، وظهر شعور عام لدى الشعب بأن الوسائل السلمية لا تحل المشكلة ، ولم يبق امامهم غير طريق الثورة المسلحة ـ كما سنرى في الفصل القادم .

اما مهزلة الاستفتاء التي قام بها الانكليز لمعرفة رغائب الشعب (١٩١٩) فكانت اسلوباً آخر في التمويه عن أعمالهم الاجرامية ، وليبينوا انهم يحكمون وفق اسلوب ديموقراطي ، وكانت نقاط الاستفتاء تدور حول ثلاثة اشياء :

---

(١) الثورة العراقية الكبرى ـ الفياض ص ٢٠١ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٢ .

١ــ هل يفضلون دولة عربية واحدة تقوم بارشادها بريطانية ؟

٢ــ وفي هذه الحالة هل يرون ان الدولة الجديدة يجب ان يكون على رأسها أمير عربي ؟

٣ــ واذا كان الامر كذلك ، من هو الذي يرشحونه ؟ (١)

وقد حاولوا الضغط عن طريق الحكام العسكريين على بعض رؤساء القبائل في تقديم طلب الى الحكومة البريطانية للاستمرار في ادارة العراق . وقد فشلت الحكومة في الحصول على مثل هذا الطلب في كربلاء والكاظمية ، فقد اصدر الشيخ محمد تقي الشيرازي فتواه المشهورة : « ليس لاحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للامارة والسلطنة عل المسلمين (٢) » .

كما اعترفت بذلك مس بل (٣) .

وقد استطاعت الحكومة البريطانية وعملاؤها أن تحصل على بعض التصريحات باستمرار الادارة الانكليزية في العراق بوصفه لم يبلغ مرحلة النضج السياسي لحكم نفسه . كالذي حدث في الموصل والحلة كما استفادت من موقف عبدالرحمن النقيب (أول رئيس للوزارة العراقية) وتأييده المطلق للانكليز اضافة الى

---

(١) انظر : الثورة العراقية الكبرى ــ الفياض ص ١٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٦٨ ، والثورة العراقية الكبرى للحسني ص ٣٥ .

(٣) فصول من تاريخ العراق الحديث ص ١٢٢ كما ذكرت في نفس الصفحة « فان الجواب لواضح الوحيد الذي استخرج من سبعة عشر استجواباً كان قد استحصل من منطقة الحلة التي صرح فيها السكان الذين كان يرشدهم على الأغلب محمد علي القزويني تصريحاً قلبياً بأنهم يحبذون استمرار الادارة البريطانية رافضين الاذعان للدعاية الوطنية وغيرها ، وفي مناطق ست أخرى طلب بقاء الحكومة البريطانية من فوق أمير عربي ، وفي أربع اخرى كانت الرغبة ان يرشح السر برسي كوكس مندوباً سامياً » .

توجيهاته الخاطئة لسلطات الاحتلال في بث التفرقة الطائفية ، وعدم ثقته بأي مرشح عربي لعرش العراق .

ولعل الدور الذي لعبته « جمعية حرس الاستقلال » التي انشئت في بغداد في نوفمبر ١٩١٩ في الاتصالات التي كانت تجريها مع المشايخ والزعماء والعلماء في المدن والارياف ، يعد من أبرز مظاهر التنظيم السياسي في العراق قبل الثورة ، يضاف الى ذلك جهود « جمعية الشبيبة » التي انضمت الى حرس الاستقلال ، وجمعية النهضة الاسلامية في النجف ، والجمعية الوطنية الاسلامية في كربلاء وجمعية العهد العراقي .

اما الفراتيون فقد وجدوا ان الاعتماد على ما يجري داخل العراق غير كاف للقضية ولهـــذا قرروا نشر مبادئهم وأفكارهم خارج العراق لبث الدعاية اللازمة للقضية العراقية .

وفي اجتماع ضم زعماء الفرات وعلماء النجف وكربلاء والحلة وشباب البلاد المثقف تقرر انتداب الشيخ محمد رضا الشبيبي الى الحجاز ليحمل مضابطهم التي أوضحت ما كان يجري في العراق وما سوف يحدث فيه بعد عملية الاستفتاء المزيفة ، باسطين رأيهم في اختيار احد أنجال الشريف حسين ليكون ملكا على العراق .

يقول الحسني[1] : « وقد ذكر لي العلامة الشبيبي أن الحسين كان يتضرم غيرة على العرب وقضيتهم ، وانه كان شاعراً بمسؤولية عظمى ينوء بثقلها ، وقد بدرت منه بوادر تدل على تزعزع ثقته بالحلفاء الذين انضم اليهم في الحرب العظمى مقاتلا » .

---

(١) الثورة العراقية الكبرى ص ٩١ .

وقد ارخ علي البازي انتداب الشيخ محمد رضا للذهاب الى الحجاز ممثلا لزعماء الفرات ورجال الثورة ، وذلك في ٧ شوال ١٣٣٧ هـ بقوله :

لما دجا الخطب ومستعمرنا ... قاومنا بالعسف والمعارضة
رأت رجال الشعب في وعوده ... خلفا وفى أحكامه مناقضة
فاستنهضت عزم الحسين واحتمت ... به ومنه رامت المناهضة
بفيصل أعظم به من فيصل ... كاشف اسرار القضايا الغامضة
(رضا الشبيبي) له منتدبا ... أرخ « ابا سافر المفاوضة »[1]

« وفى الخريف كانت نتائج التبشير السياسي قوية من سورية ، ومن بغداد مع العنف الذي أتى من النجف وكربلاء أصبحت اكثر وضوحاً بين قبائل الفرات . وفي بغداد عقدت الاجتماعات السرية ، وحررت المقالات السياسية والمذكرات التي تمت بين الشيعة والسنة[2] » .

وفي بغداد كان جامع الحيدرخانة بصورة خاصة مركزاً للوعي في ميزان التحرر والانعتاق يقصده الناس ولو فصلتهم عنه مسافات ، ليشهدوا زعماءهم السياسيين ، وشعراءهم الوطنيين وخطباءهم الثوريين وهم في عنفوان جهادهم ينشدون الشعر ويلقون الخطب الحماسية .

وفي مطلع سنة ١٩١٩ اتجهت انظار البغداديين الى الملك فيصل بن الحسين وقد ارسلوا الى الحكومة البريطانية مذكرة رحبوا فيها بالبيان الانكليزي — الفرنسي المعلن في نوفمبر السابق كما نشر والذي نص على أنه لا يبقى جزء من

---

(١) شعراء الغري ٦-٣٧٨ .

(٢) Irag 1900 - 1950 P. 119 .
وقد سماها (لونكريك) بالحرب الوطنية التحررية .

العراق تحت الحكم البريطاني المباشر[1] وأشار ارنست مين (٢) الى حفلات رمضان وكيف كان الناس يسهرون الليل في سبيل القضية العراقية .

وكان للشعراء نصيب كبير في تلك الاجتماعات ، فقد قاموا بدور التمهيد والتحريض على الثورة مستغلين الشعور الديني والوطني لدى الجماهير ، وحملوا رسالة الدعوة الى وحدة الأمة ومحاربة كل ما يثير فيها روح الطائفية أو اي لون من ألوان التجزئة ، لأن المستعمر استغل بعض عملائه لاثارتهم ضد العناصر الوطنية . ومن بين هولاء الشعراء برز الشيخ محمد مهدي البصير ، وهو بحق شاعر الثورة المجلى الذي حفظت له المحافل الادبية اروع قصائد الجهاد من حيث المضمون القومي لا الناحية الفنية (٣) .

وديوان البركان يفيض بمثل هذه الانغام التي وعتها أجيال الثورة والاجيال اللاحقة لها ، وما زالت تنشد في المدارس ، ويستشهد بها في ذكر البطولة العراقية وسني النضال الوطني في العشرينات والثلاثينات حتى ثورة تموز ١٩٥٨ . وكان ينشر قصائده وخواطره في مجلة دار السلام باسم (ابن بابل) قبل الثورة والمجلة معروفة بميولها الاستعمارية ، ولعل البصير كان يعتقد بصدق وعود الحلفاء التي قطعوها للعرب خلال الحرب العالمية الاولى — وقد تتبعت اعداد المجلة حتى عام الثورة اذ اختفى اسمه منها لانه قرر الانضمام الى العاملين في حقل الثورة وكان آخر عدد ظهر فيه اسمه هو العدد الخامس الصادر في الثامن من مارت ١٩٢٠ .

---

(١) Irag from Mandate to independence P. 65.

(٢) نفس المصدر ص ٧٤ .

(٣) وقد أبدى البصير في نظرتي الى شعره فقال : انه حذف الكثير منه لأنه وليد الساعة ولا يستحق النشر لضعف مستواه الفني .

وحينما بدأت موجة السخط تعم مدينة الحلة على المستعمرين قرر البصير الهجرة الى بغداد بدعوة من أهلها [1] . وما إن وصل بغداد حتى بدأ يطالع الوطنيين بخطبه الحماسية وقصائده الثورية وقد اتخذ من جامع الحيدرخانة منبراً لاسماع صوته في الجهاد . وقد كان يهتف للاستقلال دون هوادة ، ويبث الحماسة في نفوس أبناء الشعب بين الحين والآخر ، ونظراً لكثرة المناسبات في تلك الفترة فقد كان يستعيض عن الشعر بالخطبة ، ولكن الجمهور كان أشد ميلا الى الشعر وأكثر اقبالا عليه(٢). ومن اجل هذا جاء شعره الذي قاله في الثورة والتمهيد لها غير مكتمل للنواحي الفنية فحذف أكثره من (البركان) .

وهو مؤرخ نزيه للثورة ، وان كان كثير الاعتداد بنفسه كشاعر اذ كثيراً ما كان يقول : « انى براعة استهلال الثورة وشاعرها الأول (٣) » .

وهو مكثر في الجوانب العربية والانسانية في الشعر ، ولم يتمسك بالقديم بل كان أقرب الى التجديد والابتكار في معانيه وألفاظه .

وقد أشاد بمجهود فيصل في سورية من قصيدة بعنوان (فيصل في عالم الخيال) :

أعاد لنا السلم مجد العرب ... فحيا الاله واحيا حلب

على أسس الصلح قامت لهم ... عروش دعائمهن الطلب [4]

---

(١) انظر : تاريخ الحلة ـ يوسف كركوش ١/١٧٥ المطبعة الحيدرية ـ النجف ١٩٦٥.

(٢) انظر : البركان ص ٥ .

(٣ سمعت هذه العبارة منه شخصيا في مقابلة أجريتها معه بتاريخ ٢ـ١ـ١٩٦٦ .

(٤) مجلة دار السلام عدد ٤ م٢ ص ١٦٤ لسنة ١٩١٩ .

وكان فى معظم ما ينشره دعوة الى القومية العربية ووحدة العرب ونهضة الشرق كقوله :

وما نبغت في الشرق كالعرب أمة ... فليس لها في من رأيت نظير
فيا وطني شمر الى الجد ناهضا ... فانت على ما قد أردت قدير
ولا بد من أن تستقل وترتقى ... وان دب فى الاعصاب منك فتور [1]

ومن القصائد الرمزية التي اشتهرت له قصيدته (ايقاظ الرقود) التي بعث بها من الحلة الى « مجلة اللسان » ، وهي تعبر عن الخيبة المرة التي شعر بها العرب أزاء موقف الانكليز منهم بعد العهود التي قطعوها لهم في الاستقلال فقال :

يا صباها لك من دموعي طلة ... فلعل الهوى يرق لعله
واستثيري لواعج الشوق اني ... لك رقرقت أدمعا مستهله
انا مستعبد كما يشتهي الحسب فهل أنت فى الفضا مستقله
ان للحب في امتلاك ضميري ... لحقوقا سوغن بالله قتله
انا حر لولا حكومة سحر ... جهزت لي في الأعين النجل حمله
انزلت ضربة على كل ملة ... فأقامت للحب أقدر دوله
وطدتها على الدم الحر ظلماً ... فتيقن بانها مضمحله
وأذاعت بنظرة أرسلتها ... للمعنى الا تمزق شمله
بشرته بأنه سوف يعطى ... حسب ما تقتضي المروءة سؤله
غير ان الدلال شاء فشاءت ... أن يطيل الغريم في الدين مطله [2]

ومن يتأمل في شعر البصير يجده سجلا للوقائع التي مهدت للثورة ، وكانت

---

(١) انظر : الشذرات - البصير ص ٧ .
(٢) انظر : مجلة اللسان ـ علي رضا الغزالي ج ١٠ ص ٢٨٢ رجب ١٣٣٨ هـ .

مدعاة لاثارة موجدة الشعب العراقي على الحلفاء ، كقصيدته في توقيع معاهدة فرساي ١٩١٩ والتي أسماها (العهد الرهيب)[١] وقصيدته (أيها الصديق)[٢] ١٩١٩ .

ولعل الدعوة الى القومية العربية والتجمع كانت من أبرز معالم شعر البصير حيث يقول :

ياصاحبي وهذي الضاد قد جمعت	أبناءها والعلى منهم على كتب
أيقدمون وهم أحمى الرجال حمى	أم يحجمون وهذا أكبر العجب
فلا صغار اذا هم دونها ثبتوا	ولا فخار اذا الووا على رهب
ولن يصان لليث الغاب مربضه	من الذئاب لو أن الليث لم يثب[٣]

فالبصير يستغل حتى المناسبات العلمية فى بسط افكاره ، ورده على الحكام السياسيين وتصريحاتهم ، وربما طلب منه ذلك لاعلانه على الجمهور[٤] .

وتعتبر قصيدة (لبيك ايها الوطن) التي انشدت في حفلة وطنية كبرى اقيمت في جامع الحيدرخانة ببغداد أحفل قصيدة للبصير بالمضمون القومى والثوري والتي جاء فيها .

---

(١) انظر القصيدة في البركان ص ٣٢ .

(٢) انظر القصيدة فى البركان ص ٣٠ وانظر ص ٤١ في قوله بوصاية انكلترة على العراق .

(٣) انظر البركان ص ٤٢ وكانت القصيدة قد ارتجلت في حفلة افتتاح المدرسة الحسينية الأهلية المقامة فى بغداد في ٢٩ شعبان ١٣٣٨ الموافق ١٧ آيار ١٩٢٠ وهي أول حفلة سياسية ثورية اقيمت ببغداد تحت ستار العلم .

(٤) انظر قصيدة (صرخة من دار السلام) فى البركان ص ٤٥ وقد أنشدها ارتجالا في ٢٥ آيار ١٩٢٠ وفيها استنهاض لهمم ابناء الفرات الأوسط وهي على لسان مجاهدي بغداد .

ان ضاق ياوطني علي فضاكا فلتتسع بي للامام خطاكا
أجرى ثراك دمي فان أنا خنته فلينبذني أن ثويت ثراكا
بك همت بل بالموت دونك في الوغى روحي فداك متى اكون فداكا
أثراك تضمن لي كرامة مصرع فيه أبيت مجاوراً صرعاكا
هب لي بربك موتة تختارها ياوطني أو لست من ابناكا

الى ان يقول :

فليتحد جسدي بتربك بانياً ولتقترن ذكراي في ذكراكا
كذبتك اقطاب السياسة عهدها فلتضمنن لك الحياة ضباكا[1]

فهو لا يرى للحلفاء وعداً صادقا ولا للسياسة قولا حقاً بل المطامع فوق التحالف والصداقة ، ويرى الحياة التي تنشدها الشعوب لا تحظى بها الا بحد السيوف . فالقوة وحدها تكفل رد الطغاة ودحر الاستعمار .

فالبصير حمل قلمه وأتعب لسانه من اجل الثورة في الحلة وبغداد .

وكان شعر البصير يعد الشعب اعداداً سليما نفسياً وأدبياً لخوض معركة الحرية فيقف في قصيدته (مقر التاج) متأملا عاصمة بني العباس ، وهي تندب أهلها ، فيردد نداءها الشاعر هازئاً بالخطوب داعياً الى مواصلة النضال كقوله :

هبي الى المجد يابغداد ناهضة وليتبع خطط الآباء أبناك
وانت انت اذا مازاغ منقلب فواصلي لسرير المجد مسراك
عودي بتاج بني العباس منتظماً فلا مقر لذاك التاج الاك[2]

---

(١) انظر : البركان ص٥١ وما بعدها .
(٢) انظر الشذرات ص٥ .

ففيها رجعة الى حضارة بني العباس وايام بغداد الغابرة لتكون عبرة ودرساً لأهل بغداد يستفيدون منه في بناء المستقبل بوحدة الكفاح لعلها تشرق من جديد فتكون درة في تاج الحضارة العربية .

ولا شك أن الشعر العراقي لجأ الى الدعوة القومية بوصفها رسالة الشعب العراقي في حياته المستقبلة ، ولعل الشعراء ادركوا الشعور القومي المتنامي لدى الشعب فعبروا عنه بصدق مشاعرهم .

فالشاعر عبدالكريم العلاف[1] يؤكد كثيراً في شعره على استقلال العراق ويدعو فية الى الاخذ بالثأر من المحتلين ، ويحثهم على المطالبة بذلك كقوله :

بني وطني آن الاوان فشمروا ... فليس لنا الا القنا والقواضب

بني وطني ماذا السكوت على الاذى ... وقد لعبت يا قوم فينا الاجانب

بني وطني قوموا وجدوا وسارعوا ... لنسعى الى استقلالنا ونطالب

بني وطني أن العدو بوعده ... اليكم وحق الله يا قوم كاذب

وهو يدعو الى الثورة صراحة :

فدى لك ياشعب العراق بثورة ... نفوس اباحتها كرام اطائب[2]

ومن القصائد التي يظهر فيها العلاف بثورية متناهية قوله فى قصيدة أسماها (صوت من العراق) وكانت تستفز الهمم قبيل الثورة ، وقد القيت في جامع الحيدرخانة :

---

(١) انظر : ترجمته في لب الألباب السهروردي ١/٤٥٧ . مطبعة المعارف بغداد ١٩٣٣ م

(٢) انظر : المواهب ص ٢٤ عبدالكريم العلاف — مخطوطة المؤلف .

حتام يا ابن العرب صابر والى م يا هذا تحاذر
يكفى التماهل انما طال الوقوف على المنابر
ان الاعادي اضمروا لك شر فعل في الضمائر[1]

والقصيدة طويلة وهي بحد ذاتها تعبر عن مدى عمق الاحساس العربي لدى الشاعر كما فيها استعراض للحوادث منذ ان بدأ العراقيون يعون ما فى وعود الغرب من ضلال . ولقد طال الوقوف على المنابر في المحافل طلباً للاستقلال دون جدوى ولم يبق الا كلمة الفصل في حمل السلاح بوجه الاستعمار :

قم وانصر الشعب الذي نهضت له زمر العشائر
لا خير في رجل اذا ما لم يكن للشعب ناصر
والعز لا يأتى له الا بعسال وباتر
يا قوم ان الخطب قد عم البوادي والحواضر
يا أيها الندب المميز بالمآثر والمفاخر
حرر عراقك منقذا واحمل لواءك فهو ظافر
لك في العراق طوائف في الحرب آساد كواسر
عرب اصائل خيلهم قمم الرؤوس لها حوافر

وفي اسلوب العلاف رنة موسيقية ، وحلاوة يقصر عنها كثير من شعراء الثورة ، وفي ديوانه المخطوط وبعض قصائده المنشورة في الصحف العراقية آنذاك رقة وسلاسة مع طابع أخاذ نلمحه في الوصف الدقيق لحالة العرب ، وهم يقابلون اعداءهم ، وينتزع من المعركة صورة معبرة عن الحرب الدائرة بين العرب والجيوش

(١) انظر : ديوان العلاف « مخطوط » ص ٢٦ .

الانكليزية او الاوربية سواء في العراق او في سائر اقطار العروبة الأخرى، وفي شعره إظهار لجوانب الشجاعة النادرة للفارس العربي.

وهو في عرضه لهذه الصور يهدف الى تهييج الرأي العام، وشحذ الهمم، ودفعهم الى الحرب، ومن هنا تبرز لنا صفة اخرى لدى الشاعر، وهي طول النفس في القصيدة اذ لم نجد له من المقطوعات الا القليل خاصة في مناسبات الثورة والتمهيد لها. ومع هذا فشعره كرفاقه من شعراء الثورة لم يسلم من الضعف الذي وجدناه في اغلب القصائد. وهو نتيجة السرعة التي تتطلبها القصيدة الثورية. وان كان يفوق بعضاً منهم لكونه لم يحشر الالفاظ أو الاستعمالات العامية في الشعر. كما انه لم يقل الشعر ارتجالا فيسف ويهبط مستواه.

وربما كان دور الشاعر خارج بغداد أهم من شعراء بغداد، لأن العمل الوطني في بغداد لم يخرج عن نطاق التجمعات ومظاهرات التأييد بينما كانت مدن الفرات الأوسط تقف على خط النار منتظرة الاشارة بالانطلاقة المسلحة من زعمائها الروحيين، ونظراً لسلطة هؤلاء الزعماء الروحية على عامة الشعب في تلك المناطق، فقد كان اندفاعهم في الحرب ومواقفهم من الانكليز اكثر عنفاً وثباتاً من مناطق الثورة الاخرى.

ولعل الشعر الذي مهد للثورة في تلك الانحاء يتميز بالطابع الديني قبل المفهوم القومي، وربما كان المجاهدون لا يفرقون بين العروبة والدين الاسلامي. لذا جاء أغلب شعرهم مغلفاً بمسحة اسلامية قومية، وقل ان تتجرد قصيدة مما نظموا من الدعوة الى الجهاد باسم الدين.

ولقد قام الشعر بدور كبير في اعداد الناس للثورة، فحمل على الاستعمار، وبين ما جره على الناس من ويلات، ونبه إلى اصرار المستعمرين على حكم البلاد

المغلوبة على أمرها بالقوة .

ومن الجدير بالذكر ان الشعر الذي مهد للثورة كان من الكثرة بحيث لا نستطيع بحثه جميعه في هذا الباب لأن ذلك يدعونا ان نفرد له صفحات عديدة ، وهو ما يخل بموضوع الرسالة . وتجنباً للاطالة فقد اكتفينا بالاشارة الى بعض القصائد غير ناكرين فضل الآخرين الذين أشرنا الى اسمائهم فقط .

ولعل الميدان الذي جرى فيه الشعر لا يتعدى بأية حال من الاحوال منطقة بغداد والكاظمية والنجف والفرات الاوسط، وبصوت خافت في لواء الموصل وشرق العراق .

اما البصرة ، وغرب الفرات فلم نحصل على نماذج تشير الى وقوف الشعراء في دور الاعداد للثورة مع الشعب ، وليس لهم أي صوت يذكر ، وحتى ما وصلنا من شعر الثورة في بغداد والفرات الاوسط لم يكن جل الشعر الذي أجج في النفوس الحماسة ، واعدها للنهوض نظراً لطول الفترة التي جثم فيها الاستعمار البريطاني على العراق . ومحاربة سلطات العهد الملكي للوطنيين . ونتيجة البطش والخوف ضاع أغلب شعر تلك الفترة أو أتلف من قبل اصحابه . ونحن نرى ان بعض الشعر لم يدون في حينه لأن الشعراء في اغلب المناسبات كانوا يقولون الشعر ارتجالا كما ان سلطات الاحتلال والعهد الملكي حرمت المناسبات التي تذكر الثورة بشيء فيما بعد . ولهذا لم يعمد محبو الادب الثوري الى تسجيله خلال فترة تقرب من اربعين عاماً ، الا ما وجدناه في ثنايا المصادر التاريخية التي ذكرت الثورة ، واشارت اليه اشارات مقتضبة لا تتعدى جملة أبيات أو مقطوعات شعرية . وحتى تلك المراجع لم تسلم من رياح التملق للسلطات الحاكمة ولم تتنزه من التعصب لبعض دون آخر .

فني كربلاء كان الشعور بالولاء العربي لا يقل عن المشاعر العربية في بغداد فقد رفع العلم العربي لأول مرة في المدينة ، حينما عين الشيخ محسن أبو طبيخ متصرفاً — محافظاً — لها في اجتماع جماهيري محتشد ضم اكثر من ألف شاب حاملين بنادقهم ، متهيئين للهوسات (الأهازيج الشعبية) عند رفع العلم . فصعد جميل رمزي — احد الضباط في الجيش العثماني سابقاً والذي فر من بغداد الى كربلاء وخوفا من السلطات الانكليزية نظراً لمواقفه الوطنية هناك ـ فالقى قصيدة نظمها بصورة مستعجلة منها :

بشراك يا كربلا قومي انظري العلما ... على ربوعك خفاقا ومبتسما
وكفكفي دمعك الهطال وابتهجي ... فان بند بني قحطان قد حكما
هذا هو العلم المحبوب فاحتفظي ... عليه يا كربلا واستنهضي الهمما
وشاهدي كيف أمسى الشعب ملتهباً ... من الحماس ويرمي ان يريق دما
شعب تفانى وراء الحق مبتغياً ... نيل الكرامة جار الغرب او ظلما
ظلم وجور أبت ارواحنا شمما ... ان تستكين لمن لم يرعها الذمما[1]

وهي كقصيدة عيسى عبدالقادر من حيث المبنى والمعنى ، لأن صاحبها لم يكن من الشعراء وقصيدته خالية من روح الفن الذي تنشده في الشعر ، ويمكننا ان نقول ان صاحبها لم ينفق فيها جهداً فنياً لكونها ارتجالية ، كغيرها من الشعر الآني الذي ظهر ملبياً حاجة وقتية واختفى بعد الثورة وبعد ان ادى رسالته ، وهو لا يعتبر من الناحية الفنية شعراً لأن الشعراء الآنيين ظهروا في عام الثورة بصورة مرتجلة ،

(١) انظر القصيدة في : مذكراتي عن الثورة تحسين العسكري ٢/١٨٤ وقد وردت المقطوعة في (الثورة العراقية الكبرى للحسني) انها للسيد خليل عزي وقد انشدها جميل رمزي بالنيابة ص ٢٠٨ ولم تشر اليها سائر المصادر الاخرى .

ولم يكونوا ممن استهواهم حب الشعر ، ولكن الحدث العظيم هو الذي سيطر على مشاعرهم واثار عواطفهم ، وبعد ذهاب الحافز انقطع بعضهم عن النظم ، ولم نسمع لهم قصائد اخرى غير التي قيلت في عام الثورة . لذا فقد كان شعرهم بعيداً عن التهذيب خالياً من مقومات الشعر سوى الوزن والقافية ، غير ان الفكرة التي روجوا لها كانت من السمو بحيث حفظت لهذا الشعر مكانة لاتجحد ، ولعل طغيان الناحية التاريخية ، والعاطفه القومية ، والثورية التي حفلت بها قصائد الثورة ، هي التي حفظت لمثل هذا الشعر فضله في اذكاء نار الثورة لدى عامة الشعب ، فساهم في الثورة من اجل الثورة وانتهى حيث انتهت .

ومن يتأمل الشعر العراقي في مرحلة الاعداد للثورة يجده صورة واحدة لدى معظم الشعراء من حيث معالجتهم للامور ، واقتراحاتهم او مطالبهم من الشعب فهم لا يؤيدون الثورة العاطفية دون ان يسبقها تخطيط وتنظيم ، وانما يرون طريقين ايسرهما المطالبة بالحقوق عن طريق الادب الهادف ، والسياسة القديرة في انتزاع الحقوق من المستبدين ، واذا عجزت تلك الطرق السلمية فليس احق من السيف والمدفع في انتزاعها كما يقول ابو المحاسن :

اذا القضية لم تحفل بساستها ... فليس غير صليل السيف من حكم
كم أمة طلبت حقاً فاعجزهـا ... طلابه بلسان ناطق وفـم
حتى اذا نطقت صدقا صوارمها ... أصغى لحجتها من كان ذا صمم
أما ترى الحق لفظاً لا يوافقه ... معنى بغير دوي المدفع الضخم(١)

وانتزاع الاستقلال من المستعمرين يتحتم عليه بناء دولة عربية في العراق بزعامة رجل عربي بغض النظر عن كونه عراقياً ام لا .

(١) الأدب العصري ٢/١٤٦.

ولعل وجود فيصل في سوريا ، وما كان يظهر للعراقيين من مواقفه العربية أثر في تعشقهم للاستقلال وقيام الدولة العربية بزعامته ، بعد الذى حصل له من جراء مواقفه من الفرنسيين .

يقول عبد الرحمن البناء فى قصيدة عنوانها (ولا بد من دولة) :

سنبني بمجد الظبا دولة ... تدوم على رغم عدوانها
فغاية عنوانها فيصل ... وفيصل غاية عنوانها
كتبنا صكوكا لها والمداد ... دماء أفاضل شبانها
فليس الضراعة من طبعها ... وليس الوصاية من شأنها(١)

اي انهم يريدون استقلالا صريحاً دون وصاية من دولة اجنبية او رقابة من هيئة دولية الى غير ما تردد فى المحافل السياسية البريطانية من ان العراق غير قادر على تحمل مسؤولية الاستقلال . فقد كان وزير خارجية بريطانيا اللورد كرزن في ريب شديد من مقدرة الشعوب الشرقية على ممارسة الحكم الذاتي ، وكان يعتقد فوق كل شيء بأن عليه ان ينتظر قرار لجنة الانتدابات المنعقدة في سان ريمو(٢) . وكان اهتمام الشعراء بالقضايا السياسية لا يقل عن اهتمام القادة السياسيين بها وهذا ما يجعل شعر الثورة سجلا تاريخياً ، ومرجعا وجدانياً بالغ القيمة في الكشف عن عواطف الشعب ، وظروفه السياسية ، وما كان يضطرب في نفوسهم من مشاعر واحاسيس صورها الشعر تصويراً شاملا وبصورة جلية اذ كشف عن دخائل الأقوام الفاتحة ، وأزال الستار عما ارادوا إخفاءه في وعودهم وتصريحات قادتهم . وبدأوا يترقبون حلول الجولة الاولى ليثبتوا انهم على حق فيما يطلبون .

---

(١) ديوان البناء ص٦٣ وما بعدها .
(٢) انظر : تاريخ الشعوب الاسلامية بروكلمان ص٧٧٩ .

يقول محمد بسيم الذويب في قصيدة عنوانها (حان وقت اللقاء في الجولة الاولى)

نحن كنا مستعبدين وهم جاءوا ... على زعمهم لكي ينقذونا
حين قالوا جئناكم أيها القو ... م لتحريركم وما حرروا نا
وعدونا بوحدة تشمل العر ... ب فلما تمكنوا قسمونا
فصرخنا وليس من مستجيب ... وتعاموا عن الذي حل فينا
أبهذا وعدتمونا فثرنا ... وطردنا من ارضنا الغاصبينا
كم أثرتم من فتنة كاد يمسي ... من لظاها قطر العراق أتونا(١)

وينبغي ان نذكر الدور السلبي الذي قام به بعض الشعراء بعد ذكرنا للدور الايجابي من الشعر . فقد وقف بعض الشعراء من ذوي النفوس الضعيفة وراء الحملة الدعائية التي قام بها الاحتلال بصحافة هزيلة ، بقالب عربي وقلب انكليزي فنشروا نتاجهم بأسماء مستعارة . وكان اولئك الشعراء يتجاوبون بموقفهم هذا مع رغبة بعض الأسر التي استفادت من وجاهتها في العصر العثماني وفي عهد الاحتلال فشجعت السياسة الاستعمارية الرامية الى بقاء الانكليز اوصياء على العراق وكانت على الاقل تتخيل الحصول على الاستقلال ولكن بالطرق السلمية لا بالثورة الدامية(٢).

وكانت صحيفة العرب والشرق ومجلة دار السلام والعراق من اشد الصحف تفانياً في خدمة الانكليز . ولم يقتصر النشر فيها على الشعراء الموالين للانكليز وانما وجدنا اسماء بعض كبار الشعراء كالبصير والبناء ممن ساهموا في الثورة مساهمة فعالة ، وكذلك فعل الزهاوي الذي ادان الثوار .

---

(١) انظر : (صدى السنين) ط١ ص١٥ — ١٦ وفيها اشارة الى ان ثورة العرب على الدولة العثمانية كانت استجابة لوعود الحلفاء .

(٢) انظر : مقالة الاستاذ ابراهيم الوائلي ، الاحتلال والثورة العراقية واثرهما في الشعر .

وكانت جريدتا الفرات والاستقلال لسان حال الثوار، وكذلك مجلة اللسان التي صدرت عام ١٩١٩ ببغداد. ومن أشهر الشعراء الذين شهدوا مرحلة الاعداد للثورة وساهموا فيها، محمد باقر الحلي، وهو الشخصية الثانية اللامعه في تاريخ الثورة في الحلة بعد البصير ويعود الفضل الكبير في الهاب روح الحماسة الثورية في منطقة السماوة الى الشيخ باقر الحلي بما كان يضعه من أهازيج وهوسات على السنة الثوار، والى هذا الشيخ تنسب جميع الهوسات التاريخية البليغة في الثورة العراقية الكبرى، وما بعدها حتى قال عنه السيد هادي المكوطر - أحد زعماء الثورة - أن ثمنه يساوي مئات المدافع والرشاشات فهو الوحيد الذي استطاع أن يلهب الحماس في الحجر الأصم[1].

وكان الحلي خطيباً وشاعراً خلال فترة الاعداد للثورة، وفارساً من فرسانها حال نشوبها.

فقد حث المسلمين على الثورة في أكثر من موقف، ولشدة تفاعله بالأحداث وتأثيره بالنفوس وجدنا المجتمعين وهم في مأتم حسيني يضجون بالتصفيق له حينما قال:

بني يعرب لاتأمنوا للعدا مكرا خذوا حذركم منهم فقد اخذوا الحذرا
يريدون فيكم بالوعود مكيدة ويبغون ان حانت بكم فرصة غدرا
فلا يخدعنكم لينهم وتذكروا أضاليلهم في الهند والكذب فى مصرا[2]

وهو احد المنادين باعلان الملكية فى العراق باسم عبدالله بن الحسين، فقد ذكر في احد الاجتماعات في مسجد الهندي في النجف:

(١) الثورة العراقية الكبرى الحسني ص٩٤.
(٢) شعراء الثورة العراقية خضر العباسي ص٨٣.

فليحيي عبدالله فهو لشعبنا ملك ووالده الشريف امام
وعلى الرجال العاملين تحية وعلى حماة المسلمين سلام[1]

وكان في موقف الدفاع عن حقوق العراقيين ينذر ويتوعد الانكليز اذا لم يكفوا عن ارهابهم ونفيهم الاحرار من رجال العراق :

لا يلام القوي عندي مهما كثرت باعتدائه الأنبياء
انما الذنب للضعيف اذا استسلم ان رام سحقه الاقوياء
قد قضى الشعب ما عليه ولما يتحقق فيه لديكم رجاء
انا اخشى النار التي سوف تغ دو سبباً في اتقادها الاضواء
ان للشعب صفوة من بنيه ان يصابوا يعمه الاستياء
حطموا هذه القيود والا فعلى الامن والسلام العفاء[2]

على انه اذا اردنا ان نستعرض الشعراء الذين وقفوا مع الشعب وذادوا عن الوطن منذ الاحتلال حتى نشوب الثورة عام ١٩٢٠ فانه يلزمنا اعداد دراسة مستفيضة لكثرة هؤلاء وغزارة النصوص التي عثرنا عليها في صحف تلك الثورة وفي مجاميع بعض المؤرخين . وهي وان كانت تعكس لنا صورة واضحة للحياة السياسية في العراق في مطلع القرن العشرين لا تمثل جميع ماقيل من شعر سياسي في تلك الفترة لضياع اكثره

اما من حيث التوزيع الجغرافي للشعر الذي اعد الناس للثورة ، فخصوبة منبته كربلاء والنجف وبغداد ، وبصورة منقطعة في الموصل وديالى ـ اما منطقة الفرات الاوسط فكانت الاهازيج الشعبية غذاء فكريا للثوار .

اما عبارة الشعر ، وصياغته الفنية فقد جاءت متباينة من حيث الجودة

---

(١) ماضي النجف وحاضرها جعفر محبوبة ص٢٥٩ .
(٢) انظر: مقالة الوائلي عن الثورة ص١٣ .

والضعف لأن معظم الشعراء الذين شغلوا هذه الفترة لم يقولوا الشعر عن تمرس وخبرة بل كانت المناسبة هي التي هيأت لهم الجو المناسب لانشاده، وربما نظم من لم يكن شاعراً من قبل. وحتى كبار الشعراء كان الارتجال، وطابع السرعة باديا على شعرهم وهذا ناجم عن اشتغال معظم الشعراء بالتخطيط للثورة والاتصال بزعمائها في مناطق اخرى من العراق، فهم لم يعيروا الحدث السياسي جل اهتمامهم عن هذا الطريق بقدر ما اعاروه الى التخطيط للاستقلال عن طريق المناقشة والمنطق ولهذا لم يبالوا بما نظموا من شعر أجاء مقياساً لما هم عليه من روعة الفرام لا. وربما كان الانسياق العاطفي لدى جمهور الثوار قد بلغ مبلغاً من الحماسة. بحيث لم يفرق في الشعر بين الجيد والردى الا ما كان يستحثهم على الثورة ومقاطعة الادارة العسكرية، وهو عنصر مهم في تقديم من كان مغموراً في تلك الاجتماعات ليواجه الجمهور بقصيدة أو عدة قصائد. ولعل انقطاع بعض الناظمين عن الشعر بعيد الثورة خير دليل على أنهم لم يكونوا من الشعراء.

وقد وصلت الى علمنا أسماء كثير من الشعراء بينهم الكبر والصغار ممن اسهموا في الاعداد للثورة. بينهم الشبيبي واليعقوبي وابو المحاسن والهنداوي وعطا الخطيب ومحمد باقر الحلي والبصير، وعبدالمجيد البكري وفاضل الصيدلي والعبيدي ومحمد سعيد الراوي وعبدالكريم العلاف وناجي القشطيني وغيرهم.

ومن خلال الشعر تتطلع الى اسماء القادة والشخصيات الوطنية وهي مقرونة بالاعجاب والتقدير بين أوساط الشعب العاملة من اجل التحرير. كالزعيم الخالد سعد صالح الذي لعب دوراً كبيراً قبيل الثورة وبعدها في الحقل الوطني. وكان اضافة الى العمل السياسي يقرض الشعر ويدعوا فيه الى الثورة، فمن قصيدة نظمها عام ١٩١٩ وقد خاطب فيها صديقه الشاعر أحمد الصافي النجفي مستنجداً به على

دعوة الاحرار لاعلان الثورة :

سلام عليك هضاب العراق منار العلى برج أنوارها
فوا لهف نفسي كف الخطوب تشق حشاك ببتارها
عزيز على الحر تلك البلاد يراها رهينة قهارها
أأحمد قف بضواحي العراق وناد بواسل أحرارها
الى م نكابد مر العراق وتشقى البلاد بأغيارها
وتعبث فيها أكف البغاة وتقطف طيب أثمارها
أما آن أن تنضي بيضنا ونرمي العداة بثوارها
لعل الدماء اذا ماجرت على الارض تغسل من عارها[1]

والشيخ محمد رضا الشبيبي ، ومحمد باقر الشبيبي ومحمد جواد الجزائري ، وعبد الحسين شلاش ومحمد جعفر أبو التمن ، ومحمد الصدر ، والسيد علوان الياسري ، وعبدالواحد الحاج سكر ، وشعلان أبو الجون ، ومحمد مهدي الخالصي ، والبصير وغيرهم ممن قاموا بعملية التنظيم والاتصال بجهات القطر في سبيل وحدة العراقيين ودفعهم للثورة .

غير أنه لا يخفى علينا ، أن الثورة لم تكن تعصباً قبلياً ، ولا انتفاضة اقليمية بل كانت ممتدة الجذور الى ما قبل حوادث عام ١٩٢٠ ، اذ كان للتطور الفكري وتغيير معالم المجتمع العراقي ، وتهضة الأدبية أثر كبير فى نشر الوعي السياسي بين العراقيين واعدادهم للثورة على النظام الجائر .

ولعل العامل الديني أبلغ مسببات الثورة في النفوس ، وهو ما اكد عليه الشعر الشعبي منذ اللحظة الاولى من اعلان الثورة حينما هجم شعلان أبو الجون رئيس

(١) انظر : سعد صالح محمد علي كمال الدين ص ١٤٧ .

عشيرة الظوالم على القوات الانكليزية كما نلحظ ذلك من الاهزوجة الشعبية التي قالتها احدى النسوة في تحريض قومها على قتال الانكليز . حل فرض الخامس كوموا له (١) . وتقصد بالفرض الخامس الجهاد .

وبعد الذي قدمناه عما سبق الثورة من احداث يمكننا استخلاص الاسباب التالية لاعتبارها عوامل مشجعة على قيام الثورة(٢) :

١ ـ عهود الحلفاء وفي مقدمتها مبادىء الرئيس ولسن الاربعة عشر والتي أوصت بتقرير المصير ، وقد جاء بيان الجنرال (مود) موافقاً لها ومؤكداً على تحقيقها(٣)

٢ ـ اخطاء الادارة العسكرية في العراق . وقد عانى العراقيون من جورها الشيء الكثير . كالذي تمثل في قسوة الحاكم السياسي ببغداد وحكام الالوية العسكريين . لكونهم كانوا يظنون ، ان العراق يمكن حكمه بنفس الاسلوب الذي اتبعوه في الهند .

٣ ـ الثورة العربية في الحجاز واعتبارها ثورة كل العرب بقيادة الحسين شريف مكة ، وان كانت الى جانب الحلفاء خلال الحرب العامة .

٤ ـ حكومة فيصل فى سوريا ، واعتبارها الحكومة العربية المثلى للزعامة العربية وبخاصة أن اكثر اعضائها من الوطنيين العراقيين في حزب العهد السوري والعراقي .

---

(١) انظر : الثورة العراقية الكبرى ـ الفياض ص ١٦٧ .

(٢) انظر : تاريخ القضية العراقية البصير ١/٤٥١ ، والوقائع الحقيقة فى الثورة العراقية ال بزركان ١٥ ـ ١٦ ، والثورة العراقية الكبرى الفياض ٢٠٧ — ٢٥١ ومذكراتي في صميم الاحداث محمد مهدي كبه ص ٢٠ بيروت ١٩٦٥ ومحاضرات عن العراق البزاز ص٣٦ وما بعدها ط ٢ القاهرة ١٩٦٠

(٣) محاضرات عن العراق ص٢٣ .

٥ ـ الثورة المصرية سنة ١٩١٩ ووصول مبادئها، وانتشار ما كتب عنها في الصحف والمجلات العربية والمصرية الواردة الى العـراق ، واطلاع أحرار العراق ومثقفيه عليها أدى الى نقل الافكار الثورية وما يجري في العالم العربي الى العراقيين .

اضف الى ذلك الجهود التي بذلتها الاحزاب الوطنيـة فى الثورة كحزب العهد العراقي ، وحزب الاستقلال . وسطوة رؤساء القبائل في الفرات الاوسط ثم تأثير العامـل الديني والزعامة الروحيـة التي تمثلت في رجال الدين وفي مقدمتم العـلامـة محمـد تقي الشـيرازي صاحب الفتوى المقدسة وهى : مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ، ويجب عليهم فيضمن مطالبتهم رعاية السلم والامن ، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية اذا امتنع الانكليز عن قبول مطالبهم (١) اذ كان لها صدى عميق في الاوساط الشيعية في وسط وجنوب العراق ممن ينضوون تحت لواء المرزا المذكور ، فكان لهم دور في مختلف ميادين الثورة شهد لهم به حتى أعداؤهم .

وباعلان الجهاد بهذه الصفة الدينية معناه بداية الدور المسلح الذي سيخوضه الشعب مهما ترتبت عليه من نتائج .

وبعد ذلك تفاقم الموقف في منطقة النجف والشامية ، وبدأ الحكام يضيقون على المواطنين سجناً ونفياً وارهابا . وبدأت رسل السادة الاعلام والعلماء الاجلاء الى رؤساء وزعماء القبائل ، وكانت المراسلات تتخذ طابعاً جدياً ، وبحماسة وطنية تدل على نضج سياسي بلغه هولاء الزعماء . فاخذوا ينشطون في كافة المناطق (٢)

---

(١) الثورة العراقية الـكبرى للحسنى ص ١٠٦ .

(٢) انظر حول اهمية العلماء في الثورة .

Irag frrom Mandate to independence P . 74

Irag 1900 - 1950 P . 119 .

ويوالون اجتماعاتهم احتجاجا على الميجر نوربري حاكم النجف على نفيه احرار كربلاء والحلة . وكان اوسع تلك الاجتماعات في الشامية والمشخاب وعفك ، والدغارة واعظمها الاجتماع الذي تم في دار عبد الكاظم الحاج سكر في الثاني والعشرين من حزيران ١٩٢٠ الذي حضره معظم رؤساء الشامية وابي صخير ، ومنهم السيد محسن ابو طبيخ والسيد علوان الياسري ، وسلمان العبطان ، وعلي المزعل والشيخ رحمة الله الظالمي وشعلان الجبر والشيخ هنين وعبد الرحمن خضر والسيد محمد الباقر وقد دار البحث عن فكرة اعلان الثورة وموعد الانفجار ، وكان الحماس يدفع الجميع الى التعجيل باضرامها بعد ان وجدوا أن بيانات الحكام العسكريين في المناطق المحتلة تتنافى وعهود الحلفاء ، ومنشور قائدهم الجنرال مود .

وكانت الاتصالات تجري بينهم وبين احرار بغداد ، والمناشير الحزبية ترسل تحت جنح الظلام وبأساليب مختلفة . ونظراً ليقظة الحكومة وما كانت تبثه من العيون والجواسيس ، فان بعض رحالات الثورة ومراسليها أوقع في قبضة السلطات الحاكمة [١] .

وقد امعنت السلطات الانكليزية في الفترة التي سبقت الثورة بالتنكيل بالوطنيين فنفت عدداً منهم الى خارج العراق . ومن هؤلاء المنفيين اثنا عشر شخصاً من المشتغلين بالحركة الوطنية في كربلاء وكان من بينهم ابن المرزا محمد رضا الشيرازي نجل الامام الشيرازي كما نفي عدد من الوطنيين في الحلة وغيرها من المناطق [٢]

واستمر الارهاب على هذه الصورة في الأيام القريبة من اعلان الثورة ، وربما

(١) انظر : كربلاء في التاريخ ص ٣٠ — ٣١ .
(٢) : انظر الثورة العراقية الكبرى للفياض ٢٤١ .
» » » » للحسني ص ٩٦ — ٩٧ .

بصورة اكثر عنفاً بحيث لم يعد ما يبرر السكوت عنها .

أما الشعر فقد صورها فى مختلف مراحلها ، وقربها من الجماهير المشتاقة الى الثورة ، عارضاً امام الملأ مايدور فى نفوسهم باسلوب خطابي موجه الى سلطات الاحتلال طالباً منهم الا يفكروا بوصاية او انتداب او تغليف للاستقلال بأي نوع من انواع الاستعمار .

ويمكننا استخلاص الملاحظات التالية حول خصائص ذلك الشعر :

١ — التعبير عن السخط الجماهيري ضد الاستعمار ، والذي يعكس آمال الشعب في الحرية والاستقلال ، والتخلص من الوصاية او الانتداب وشتى اشكال التبعية الفكرية والسياسية .

٢ — ان أغلبه يصور منازع الشعب في وحدة اللقاء بين مختلف اوساط الشعب فى العراق أولا ، ويشيد بمواقفهم كعرب ثانياً .

٣ — ان الشعر الذي عثرنا علية يمكن اعتباره وثيقة تاريخية تشير الى الفترة التي بدأ فيها الشعور بالقومية يطغي على النزعة الاقليمية او التجرد من الفكرة العربية .

٤ — المحافظة على الوحدة الموضوعية والترابط العضوي في القصيدة .

٥ — اعتبار الدين لازمة من لوازم المفهوم القومي ، والتأكيد عليه فى معظم النتاج الفكري للاحداث الممهدة للثورة .

٦ — سرعة الارتجال وسيطرة الروح الخطابية والتقريرية على معظمه .

٧ — وضع المضمون السياسي في متناول مفهوم العامة مما أدى الى بساطة في التراكيب ووضوح فى المعاني ، واحياناً قربها من الاسلوب العامي .

هذا وقد مر بنا في هذا الفصل كيف ان الشعر انطلق بمفهوم ديني لا يفرق بين العرب والاسلام ، وانتهى بثورة عربية تحمل في ثناياها شعوراً عميقاً في المناداة بالوحدة العربية ، والتأكيد على الجانب الانساني من القومية العربية ، وان كانت بصوت لا يصل في دويه الى ما سمعناه من شعر ما بعد الثورة .

كما لمحنا في هذا الشعر ظاهرة الانفعال والتفاعل مع الحدث دون تعمق في المفهوم الفني للشعر ولهذا لا نسمح لأنفسنا بالقول بأن الشعر الذي مهد للثورة يمكن اعتباره مقياساً لفنية الشعراء لأن بعضهم كانوا لا يعيشون تجربة ممتدة مع الاحداث ، وليس في شعرهم ما يعبر عن نضج في المفهوم الشعري ، فقد كان يفترض في الشاعر ان يلقى في هذا الاجتماع ، وذلك قصيدة في التأييد ، وربما أحرج موقفه فجاء شعره غير متسع لمفهوم الفن ، حتى أن بعض الشعراء من الجيل السابق للثورة لم يسلموا من الهنات ، كما اشرنا سابقاً في الحديث عن البصير والبناء ، والاختلاف الذي وجدناه في شعراء تلك الفترة يعود الى عوامل البيئة والتحصيل العلمي ، والثروة اللغوية ، والتجارب الفنية التي صقلت شعرهم وما جاء هابطاً في مستواه الفني فجله مما أذاعه النظام في ساعات الاندفاع والثورة العاطفية .

الفصل الثالث

الثورة فى الشعر

١ — موقف الشعراء من الثورة

٢ — استمرار المضمون الاسلامى والقومى فى الشعر .

٣ — البطولة فى شعر الثورة .

الفصل الثالث

الثـورة فى الشعـر

أتينا في الفصل الثاني على الشعر الذي مهد للثورة ، وبحثنا في تطوره ابتداء من دخول الانكليز العراق حتى احتلالهم بغداد ، واقامتهم الحكم العسكري المطلق فيها وفى مدن العراق الاخرى . ثم عرضنا للوضع المتأزم الذي خلقته أساليب الحكم فيها . فقامت المظاهرات ، وتوالت الاحتجاجات ، وقدمت المضابط الى حكام بغداد المستبدين وحكام الالوية العسكريين .

وبينما كان الوطنيون يرسمون او يفكرون في رسم طريق الخلاص فى اجتماعاتهم واتصالاتهم ، بدأ اللهب يتعالى في كافة ارجاء القطر منذراً بنار الثورة التي كان لمدينة (الرميثة) كلمة الفصل فيها ، فقد انطلقت رصاصة الثورة الاولى منها ، الرصاصة التي هزت مجلس العموم البريطاني فى لندن على أثر حادث حدث للشيخ شعلان (ابو الجون) رئيس عشيرة الظوالم ـ من عشائر الديوانية ـ اذ اصدر الميجر (دايلي)[1] حاكم الديوانية العسكري أمره الى حاكم الرميثـــة الملازم

(١) راجع قصة استدعائه في (تاريخ القضية العراقية) للبصير ص ٢٠٠ وما بعدها وثو ة ١٩٢٠ للمستر هولدن ص ١٠١ اذ اعتبر دعوة شعلان بسبب دين للحكومة بذمته .

(هيات) بالقبض على شعلان وارساله مخفوراً الى الديوانية، وقد برع الاخير في القبض عليه . ولكن الشيخ لم يكن بليداً امام مكر الحاكم، وشهامته العربية ابت عليه أن يفكر في الهزيمة، ولهذا قرر مقابلته غير عابىء بما سيلاقيه من مصاعب وعوائق، بعد ان اخبر زميله (غثيث الحرجان) بواقع الامر واتفق معه فيما لو حصل ما يدعو الى المساعدة فان (غثيث) يبعث اليه ما يحتاجه من الرجال . وكانت كلمة السر ان يطلب شعلان من غثيث عشر ليرات والقصد منها عشرة فرسان مسلحين لاطلاق سراحه .

وذهب شعلان وقابل الحاكم فقوبل بجفاء ثم اعتقل، فاخبر مرافقه بما اتفق عليه، فما كان من رفيقه الا ان اخبر عشيرته فأرسلوا العشرة فرسان يوم الثالث عشر من شوال سنة ١٣٣٨ هـ الموافق للثلاثين من حزيران سنة ١٩٢٠ م فدخلوا الرميثـــة، وأطلقوا النار على دار الحاكم، وقتلوا شرطيين، وكسروا أبواب السجن وأخرجوا شيخهم من الاسر .

وهكذا عد هذا اليوم بداية الدور المسلح الذي اعلنه اهالي الفرات الاوسط في وجه الانكليز — وبعده تطور الموقف في مختلف انحاء العراق وبخاصة لواء الديوانية، فشكل مجلس للثورة في كربلاء، وعمت الثورة منطقة الفرات، فاصطدم رجال القبائل بجيوش الانكليز في مواقع عديدة . وكانت تقاتل مجتمعة أو منفردة عن بعضها قتالا عنيفاً شهدته موقعة (الرارنجية) و (العارضيات) وحصار الكوفة، والحلة، فنسفوا القطارات وخربوا سكك الحديد، وفرضوا الحصار على مواقع الانكليز، ودمروا باخرتين لهم، وغنموا مدفعاً كان خير معين لهم في ضرب الباخرة (فايرفلاي) المسلحة بعد اصلاحه، وغنموا كثيراً من المعدات، وكبدوا

العدو خسائر فادحة في الارواح والاموال ، واستشهد منهم خلق كثير في مواقف بطولية رائعة .

موقف الشعراء من الثورة :

وأمام جعجعة السلاح ودخان الحرب وما تمثل خلالها من مشاهد البطولة أو القتل والدمار ، والكر والفر ، ووسائل التكتيك العسكري وغيرها من الامور التي تتعلق بظروف الحرب ، وقف الشعراء في ميادين الثورة أو فى محافل التأييد لها في جميع ظروفها وملابساتها . ولهذا فنحن نقول : ان معركة المقاومة العربية في الشعر العراقي كانت في مواقف التحدي خلال الثورة ، وقد سجلت فصولا من تاريخ العراق الحديث اعطتنا صورة واضحة لعلاقة الاديب أو الشاعر بما يجري في وطنه من أحداث . فلم يقف الأدب موقف المتفرج لينتظر نتيجة المعركة ، بل قد عبر عنها خلال اضطرامها . ولهذا وجدنا الأدباء بمستوى الثورة ، ولا نقول مع طه حسين : « ان الادب في اثناء الثورات لا يتكلم عنها ، وانما يتكلم بعد ان تهدأ الأمور وتستقر[1] » .

غير اننا نتفق معه فى أن الحديث عن الثورات في حالة الهدوء والاستقرار يعكس مشاعر الثوار بصورة بعيدة عن الانفعال ، وفي اطر فنيه نستدل منها على عمق التجربة الشعورية التي يمر بها بعيداً عن الانسياق العاطفي الذي وجدناه فى شعر الثورة العراقية مثلا . اذ كان الشاعر العراقى ـ كما أشرنا سابقاً ـ في ثورة عارمة ، وظروف دقيقة لم تسمح له بالتأني فيما نظم من الشعر ـ وهذا عامل كبير

(١) انظر : جريدة البلد عدد ٧٧٣ فى ٧ـ١٢ـ١٩٦٦ .

الأثر في دفعه الى ميدان المعركة الادبية قبل أن يكتب له النضج والتفوق . وهو ما نلمحه في اسلوبه الشعري خلال الثورة لو قارناه بالصور الفنيـــة لديه في شعر ما بعد الثورة ، كما يتبين ذلك في شعر البصير ، وابي المحاسن ، والعلاف وغيرهم .

واذا تتبعنا احداث الثورة وجدنا الشعراء والخطباء وقد وقفوا يبثون الحماسة في صفوف المقاتلين بقصائدهم النارية وخطبهم الثائرة مساهمة منهم فى اذكاء عنصر الفروسية في نفوس الثوار . والذي وجدناه في شعر الثورة يبين لنا الشعور العام الذي شارك فيه أغلب العراقيين .

ونحن اذ نبحث في هذه الرسالة فان بحثنا سيتركز على الشعر الذي قيل في الثورة ، لذلك رأينا من الافضل الا نتوغل فى سرد وقائعها وذكر المعارك والاشادة بالمواقف الهجومية والدفاعية لدى المقاتلين الا ما نستشفه من الشعر ، لأن ذلك يحتاج الى دراسة تاريخية مسهبة .

اما قضية الشعب وموقفه من الثورة فهو اجماع أو ما يشبه الاجماع على تأييدها في مختلف انحاء العراق . والذين وقفوا ضدها أو تأرجحوا في موقفهم فهم قلة لا يعتد بها ، وان كان تأثيرهم سلبياً أدى الى فتح الطريق امام الانكليز لضرب الثوار ، وأخص بالذكر شخصية السيد طالب النقيب الرجل الذي أقلق الحكومة العثمانية فترة من الزمن ، لكن ما لاقاه في الغربة عن الوطن أيام الاحتلال وتوهمه بأن الاستقلال يؤخذ عن طريق المفاوضات قاده الى التخاذل ، خاصة بعد ان استقدمه السر ولسن الى بغداد طلباً للتوسط بين المحتلين والثوار كما يتبين ذلك من قوله : « ان خطتي هي حب الوطن وذويه واستقلاله وتساميه وكسر انوف حاسديه والسعي الحثيث وراء نيل الآمال ، ولكن بصورة سلمية لا بثورة دموية ،

وبشجاعة مدنية لا بهمجية جاهلية [1] ».

ولم يكن السيد طالب الشخص الوحيد الذي طعن في الثورة ، بل هناك آخرون كانت مواقفهم سلبية ، وربما كان البعض الآخر من الشعراء الذين شاركوا في الاعداد للثورة غير انهم لم يذكروها بشيء في شعرهم .

فالزهاوي مثلا يرى في الثورة انها فتنة لم تعد بالخير على أهلها ، كما توضحه لنا قصيدته التي استقبل بها السر برسي كوكس في بغداد :

عد للعراق واصلح منه ما فسدا ... وابثث به العدل وامنح أهله الرغدا
الشعب فيك عليك اليوم معتمد ... فيما يكون كما قد كان معتمدا
حييت من قادم ابان حاجتنا ... اليه نرجو به للأمة الرشدا
حبل السياسة قد أمست به عقد ... فحل انت بأيدي رأيك العقدا
أرأف بشعب بغاة الشر قد قصدوا ... اثارة الشر فيه وهو ما قصدا
اما وقد جئت مصحوبا بمقدرة ... فلا أبالي أقام الشر أم قعدا

هذه القصيدة وزعها الشاعر في ديوانه وجعلها مقاطع متفرقة ، وقد ضمها الى بعضها وجمعها ابراهيم الوائلي [2] وفق ترتيبها في الفكرة والموضوع لا وفق ترتيبها في الصفحات لان المقطع الاول منها مذكور في الصفحة ٣٢٠ في حين ان المقطع الثاني مذكور في الصفحة ١٤٥ معتمداً فيها على ديوانه المطبوع في القاهرة سنة ١٩٢٤ . وقد ظلت مصدر طعن وتندر عليه طوال حياته [3] » ولم يغفر له حتى قوله في رثاء شهداء الرميثة :

---

(١) شخصيات عراقية ـ خيرى العمري ١/٣٥ .

(١) انظر : مجموعة الاستاذ ابراهيم الوائلي ص ٨ ، ٩ .

(٣) محاضرات عن الزهاوي د . ناصر الحاني ص ٤ . مطبعة دار الهنا ـ مصر ١٩٥٤ .

ماذا بضاحية الرميثة من غطارفة جحاجح

ليكفر عما فاه به ، واتهمه الشعب بالخروج على ارادته التي كتبت صك الاستقلال بالدماء ، ولعل كراهية الزهاوي للعثمانيين هي التي دفعته لمدح الانكليز، ونحن لا ننكر عليه وطنيته ، ومواقفه العربية المشهورة في مجلس المبعوثان وحتى في العهد الملكي .

وقد اشارت مس بل الى تلك القصيدة ، والى موقف الزهاوي من الثورة في حديثها عن وصف الاستقبال الذي خصص للسر برسى كوكس بقولها : « ثم نهض شاعرنا الكبير جميل صدقي الزهاوي الذي غالباً ما حدثتكم عنه ، والقى قصيدة باهرة ، وكان يلمح فيها مراراً وتكراراً على أن يكون فيصل ملكا على العراق ، وقد صفق الناس كلهم وفرحوا [1] » .

ولعلها تحاول في ذلك استمالة الشاعر لتأييد قومها ليزيد من اندفاعه نحوهم والاشادة بفضلهم واخلاصه لهم .

وبعد هذا نقول : ان الزهاوي خرج عن موكب الثورة ، غير انه لم يبق محايداً وبعيداً عنها ، بل بدأ بالتقول على الثوار في (ديالى) كقوله :

لقد تشتت من خوف ومن ندم جيش حوالي ديالى كان محتشدا

ما كنت ارجو على علمي بنزعتها ان يبدو الشر من ابنائها فبدا

أحزم بناس رأوا في ارضهم فتنا فلم يكونوا لمن قاموا به عضدا [2]

وهكذا نجد الزهاوي الشاعر الفيلسوف بعد ان ملأ الشرق ضجيجا بما جاء به من آراء في التجدد كانت ثورة على المفاهيم الاجتماعية ، يميل الى اعداء العرب بعد ان داسوا على امانى الشعوب العربية .

---

(١) Letters of Gertrude Bell Vol 2. P 606.

(٢) انظر : ديوان الزهاوي ص ١١٠ .

ولعل طول الصراع السياسي والاجتماعي قد جعل منه ثائراً قلقاً لا يستقر على رأي او يدين بعقيدة ثابتة ، فقد تحسر على عهد الاتراك يوم لم يظفر بما أمله من الانكليز فقال :

ابن عزى في دولة الاتراك　　أنا مما فقدته انا باكي
كنت بالامس راضياً عن حياتي　　وأنا اليوم من حياتي شاكي (١)

والذي لمسناه في رسائل الزهاوي الى الكاتب المصري محمد احمد عيش انه كان لا يرضى الا الاستقلال للعراق (٢) .

وحينما انتهت الثورة وجيء بفيصل لتولي عرش العراق عوكس الزهاوي في ذلك العهد ، وقد حاول الملك ان يجتذبه اليه ويغريه بالمال ويجعله شاعر البلاط الا انه رفض ذلك بأباء وشمم .

اما الرصافي فلم نجد له ذكراً في الثورة ، ولم يتطرق اليها فيما بعد الا من قبيل التلميح الى دور العراقيين في محاربة الاستعمار . وقد كان في سوريا خلال الثورة . ونحن لا نعتقد بأن « نضال الرصافي لم يكن بدافع الوطنية بل بدافع من تأييده للاتراك (٣) » لان مواقف الرصافي من الاستبداد الحميدي معروفة ومشهورة وكذلك معارضته للحكم الملكي بعيد الثورة . وقد سبقت الاشارة الى معارضته للثورة العربية متمثلة في شخصية الشريف حسين وأولاده .

اما الشيخ محمد رضا الشبيبي فلم يكن للثورة ذكر في ديوانه ، وذلك لوجوده خارج العراق ـ وقد قام بخدمة فعالة لها بوصفه احد رسلها الى الحجاز ، فقد اجتاز خطوط النار في جنوب العراق وفي أيامها العصيبة ـ ولانشغاله بالدعوة لنصرة

(١) انظر : الأوشال ص ١١٤ ، جميل صدقي الزهاوي ـ بغداد ١٩٣٤ .
(٢) انظر : مجلة الكاتب المصري عدد ديسمبر ١٩٤٦ ص ٤٦٨ .
(٣) أفادني بذلك الدكتور محمد مهدي البصير ولعله قد جار بحق الرجل .

العراق ، وتفرغه للأمور السياسية [1] . ثم عودته الى سورية ، وبقـائه فيها وهو يراقب أحداثها عن كثب رافعاً صوتها الى احرار العالم .

كما اتهم علي الشرقي [2] بمهادنة الاستعمار والوقوف ضد الثورة ، وفي هـذا جور على الحقيقة وتجن تدحضه الوقائع ، فمن يقرأ ديوانه (عواطف وعواصف) يجد فيه روح الشاعر الوطني .

وقد تأكدت من اخلاص الشرقي لمبادىء الثورة اضافة الى ما وجدته في آثاره الشعرية من مقابلاتي لمعاصريه من أمثال جعفر الخليلي وعلي الخاقاني وعبدالكريم العلاف وغيرهم ممن لم يطعنوا وطنيته ، ولكنهم أبدوا بعض التحفظات في تغير موقفه من الأحداث في الفترة التي سبقت الثورة . وسوف نأتي على بعض قصائده في الفصل الاخير نظراً لما فيها من نوازع سياسية تشير الى وجهة نظره في الثورة .

اما الشعراء الذين وقفوا مع الثورة بفكرهم وظلوا على اتصال دائم بالجماهير الشعبية في ميادينها أو في مدينة بغداد خلال الازمة السياسية والعسكرية التي حلت بها يوم اشتعلت نيران الثورة فهم نفس الشعراء الذين واكبوا تطورات الاحتلال البريطاني للعراق ، غير ان مواقفهم في بغداد أضحت حرجة مما اضطرهم أو بعضهم في الاشهر الاخيرة من الثورة الى التخفي ، والانهزام منها نتيجة لممارسة السلطات

---

(١) انظر : مجلة بغداد عدد يوليو ١٩٦٥ ص ١٣ وقد أفادني السيد صبيح رديف نقـلا عن الشبيبي خلال مقابلة اجراها معه بما يتفق ورأينا في علاقتـه بالثورة واشتغاله بنشر مفاهيم القضية العراقية في الخارج .

(٢) انظر : ترجمته في الأدب العصري ٢/٥ ، ودليل المملكة العراقية ٧٣٧ بغداد ١٩٣٥ معجم رجال الفكر والأدب في النجف ص ٢٤٨ ، مطبعة الآداب ـ النجف ١٩٦٤ . والشعر والشعراء في العراق ص ١٠٥ ، دار المعارف ـ بيروت ١٩٥٩ .

الانكليزية شتى انواع القسوة والقمع مع انصار الثورة في بغداد كاستخدام السلاح في فض الاجتماعات او ضرب المظاهـــرات ، واعتقـال الشعراء والخطباء ، ونفي بعضهم الى البصرة ومنها الى جزيرة هنجام ، او اعدام بعض السياسيين الذين اتهموا بمقاومة الحكم الجديد .

ومن خلال دراستنا للشعر الذي وجدنا فيه ذكراً لثورة العشرين برزت امامنا امور جديرة بالتعليق والاهتمام ، وهي تبرز اتجاهات الشعر العراقي فى فترة الثورة خلال ستة شهور من اضطرامها ، وهي نفس اتجاهات الشعر عند بدء الاحتلال سوى فارق كبير فى اسلوب المقاومة والتحدي الذي لاحظناه لدى اغلب شعراء العراق وهو امر افترضته الظروف السياسية ، وشعور العراقيين بالخيبة من عهود الحلفاء من من جهة ، وتمسكهم بالدين الاسلامي ومفهوم الاحتلال الكافر لديهم من جهة اخرى

استمرار المضمون الديني والقومي في شعر الثورة

ومن هنا تبرز امامنا بوضوح معالم شعر الثورة في هذين الاتجاهين :

١ ـــ المفهوم الديني والقومي فى شعر الثورة .

٢ ـــ البطولة في شعر الثورة .

ومن خلال هاتين النقطتين نلمح مشاهد اخرى تظهر خلال القصائد الثورية تتمثل فى ذكر مواقع الثورة وما كان يجري فيها من معارك ونزال ، وما يتبعها من مشاهد بؤس و آلام وبخاصة في مناطق الثورة فى الفرات الاوسط الذي دارت فيه الحرب اكثر من بقية المناطق ، كما تعرضت فيه الاوساط الفلاحية الى ضغوط اقتصاديـة شديدة الاثر على الحياة التي كانوا يحيونها في تلك الارجاء ، وهي تعتمد اعتماداً كلياً على الزراعة ، وقد خربتها الحرب وقضت على الحرث والنسل فيها .

اما المفهوم القومى والاســـلامى فقد حفل الشعر العراقي الحديث به ، ولعل النزعة الدينية كانت مسيطرة على مشاعر الناس بصورة لا تقبل الشك او التزعزع ولهذا كان الاحتلال الانكليزي بمثابة استفزاز ديني مغاير للمفهوم الديني الذي عليه القوم[1] . كما أنهم رأوا فيه اجناساً لا تمت اليهم بصلة ولا تنطق بلسانهم أو تدين بدينهم ، فاتخذوا الاسـلام سنداً يلتجئون اليـه والى مقدسـاته كلما مست كرامتهم يد الدخيل ، ورأوا في القومية العربية حصناً وملاذاً يتحصنون فيه كلما ابتلوا بمستعمر يريد التحكم او الاستعلاء على العنصر العربي .

والشعور بالرابطة الاسلامية في الشعر العـراقي سبق الشعور بالقومية — كما اسلفنا — فالقومية لم تتضح ولم تفصح عنها مكونات الشعراء كما هي عليه فى الوقت الحاضر . اذ كان اسم العربية يقرن بالدين الاسلامي باعتباره المسؤول الاول عن حمايتها امام وحشية الدخلاء الذين اقاموا فى ارض العرب طويلا . غير ان ذلك لا يعني طغيان المفهوم الديني على الاتجاه القومي وقتل الشعور بالقومية ، بل كثيراً ما وجدناه مقترناً بالمشاعر الاســـلامية ، وأن الشعراء لم يحـاولوا الفصل بين هذين الاتجاهين فى شعرهم ، ومرد هذا للنشأة الدينية التي تربوا عليها .

فالروح الاسلاميه امر لابد منه في وقت كان اعتزاز الناس بمعتقداتهم اعز ما يملكون ، كما انه يشد من ازر المرزئين ، ويعودهم على الصبر والجلد ويثير فيهم الحمية والشجاعة لمقاومة كل باطل ومعاد للاسلام ، لأن القيم الاسلامية ـ حسب اعتقادهم — هي المثلى فيجب ان ترتفع فوق كل اعتبـار ، وانتصارها انتصار لدين الله ، وانتهاكها ثلم للوجود الاسلامي كله . ومن هنا تبرز حقيقة الصراع بين القيم الاسلامية

(١) انظر : ص ٢٦ من الفصل الثاني .

وغير الاسلامية فى شعر الثورة ، الا ان ما وجدناه في الشعر بهذا الصدد لا يعدو النظرة الاسلامية المتطرفة الى كل الامور التي لم تجد مثيلا لها في المجتمع لاسلامي كسفور المرأة واجتماعها بالرجل وخروجها الى المدرسة وغيرها من الامور التي وجدتها لدى رجال الاحتلال . ولهذا هب الشعراء لنصرة الثوار باسم الجهاد معتبرين بالفتاوي التي كان يصدرها رجال الدين بين حين وآخر .

ومن اجل ذلك وجدنا عرب العراق يذودون عن دينهم وعروبتهم بايمان وبسالة غير عابئين بالموت الذي كان شبحه يتراءى أمامهم في كل حين . فقدموا تضحيات جسيمة خلال الثورة ، وصمدوا حتى بعد ان بدأ الضعف والخور يدبان في صفوف اخوانهم من سكان الحواضر لأن الشيمة العربية والتمسك بمبادىء الاسلام وتعاليمه كانت راسخة في نفوسهم اكثر من غيرهم فنتجة الفطرة التي جبلوا عليها ، ولبعدهم عن مفاسد الحضارة . كما ان ارتباطهم برجال الدين وتطبيق فتاواهم جعلهم يلتزمون بها حتى نهاية الثورة فكان موقفهم وهم يدافعون متقهقرين اروع منه وهم يهاجمون متقدمين[1] .

ان الاطار الاسلامي للشعر في نتاج الثورة كان امتداداً للمفهوم الاسلامي خلال بداية الاحتلال ولكنه ظهر بعنفوانيه أشد من السابق لقدسية الفكرة التي يحملها الشعراء ، ولقربهم من علماء الدين ومجتهدي الامة واعتبارهم رمزاً للوحدة الاسلامية التي كانوا ينشدونها للوقوف بوجه المحتلين .

ولم يكن المفهوم الديني مقتصراً على اتجاه معين من الشعر ، وانما فرض نفسه على جميع شعر الثورة ، الى جانب النزعة الشرقية التي طالبت المجاهدين بالحفاظ

(١) انظر : على هامش الثورة العراقية ص ١٣١ فراتي منشورات دار الهاتف ـ بغداد .

على القيم الاخلاقية التي يحاول الغرب ثلبها، وربما كان الاتجاه الاسلامي منبعاً لهذه النزعة .

وقد كان التأثير النفسي والروحي شديدين في تهيئة الأذهان واعدادها مع الحشود الثائرة، وهو وتر حساس أدرك فيه الشاعر عنصر الاثارة فضرب عليه . ولعل شعراء النجف وكربلاء اكثر التزاماً من غيرهم لهذا الاتجاه لظروف النشأة الدينية التي كانوا عليها من قبل . يظهر ذلك بجلاء في شعر محمد حسن أبي المحاسن واليعقوبي والجزائري وعلي البازي ومحمد باقر الشبيبي وغيرهم . يقول ابو المحاسن في الدعوة الى الجهاد .

يأبى لنا دين النبي مذلة ... فامضوا على دين النبي وآله
ان السعادة في الحياة لمفتد ... شرف الحياة بنفسه وبماله
عيش الذليل هو الممات وموته ... بالعز عين حياته وكماله
ياعنصر العرب الذي فاق الورى ... بشريف محتده ومجد فعاله
ليست نجوم الارض وهي زواهر ... الا شهود صفاته وخصاله
منك التمدن والحضارة انشئت ... والعدل منك وانت عين مثاله
هذا نشوؤك وارتقاؤك بعده ... والبدر يكمل بعد سير هلاله[1]

فقد اقترن المفهوم الديني بالمفهوم القومي، وهو امر مسلم به لدى شعرائنا قبل تطور مفهوم القومية لديهم . غير أن الشاعر احياناً ينفرد بمشاعره العربية حينما يطرح العامل الديني جانباً من حيث لايشعر كقول أبي المحاسن من قصيدة وهو في سجن الانكليز في الحلة عام ١٩٢٠ .

(١) انظر القصيدة في ديوان أبي المحاسن ص١٧٨ .

أناجز جيش الخطب والخطب فادح بكافحني طوراً وطوراً اكافح
اذا كل عزم القوم أو طاش حلمهم فعزمي مسنون وحلمي راجح

والتي يقول في نهايتها :

وما لي الا مجد قومي غاية وما لي الا صالح القوم صالح[1]

ففيها دعوة صريحة الى مجد العرب وعزتهم ، ومصالح العراقيين التي وضعها قبل منفعته الشخصية .

وفي شعر أبي المحاسن شعور ثوري لاهب في قالب يتصف بالجودة والانسجام وفي اسلوبه تفنن أديب متقن لصنعته .

ومن قصائده الثورية هذه القصيدة التي تنم عن شعور طافح بالنزعة الانسانية والاعتزاز بالقومية .

عرب نحن الى الفخار سيوفهم وتصد اعراضا عن الاغماد
هم عودوها ان تسل فلم تمل عن عادة التجريد للاغماد
من اسرة لهم الاسرة والذرى من عهد تبع في الزمان وعاد
قومي الذين عرفتهم وبمجدهم تم اعتراف مصادق ومعادي
لم يرضخوا للضيم الا ريثما ناداهم للعز خير منادي
ليس العراق بموطني هو وحده فبلاد قومي كلهن بلادي[2]

ففي شعرة جنوح الى الاستقلال والحرية ، والنزعة الوطنية ، والطموح العربي في العزة والكرامة . وفي تعبير أبي المحاسن عن خلجات نفسه انعكاس جرىء للفكر العراقي في مرحلة التحول من فترة الجمود والتخلف الى فترة الثورة والتطور .

---

(١) المصدر السابق ص٣٧ .
(٢) أبو المحاسن الشاعر الوطني الخالد ص ١٦ .

ومن زاوية اخرى ينظر الى الثورة وهي في أوج قوتها حين يبلغه نعي زعيمها الروحي ، ومرجع المسلمين الأعلى في العراق الشيخ محمد تقي الشيرازي فينفجر في نفسة بركان الثورة ، وتجـود قريحته بقصيدة جيدة فى اسلوبها ، وسبكها ، واتساق معانيها ، وهي زاخرة بالعواطف النبيلة ، عامرة بالوجدان ، وفيها من الثروة اللفظية ما يحكم للشاعر بالتفوق والمهارة . ومنها :

ياغلة الاحشاء غاض المورد	يا أزمة الايام غاب المنجد
لا نجدة للمستغيث ولا روى	يشفي غليل حشاشة تتوقـد
فل الغرار فلا فم لخطابة	عند الخطوب ولا حسام ولا يد
بكر النعي وقال قد اودى التقى	ومضى امام المسلمين الاوحد

ومنها :

من يستقل لحمل كل عظيمة	وبمن يلوذ الصارخ المستنجد
من للوفود وللعفاة يعمها	بشراً ووجه العام اقتم أربد
من للمنابر يرتقى أعوادها	بالبحر يطفح والفريد ينضد
الشرق ياشمس الهداية مظلم	مذ غاب عنه ضياؤك المتوقد
بعد الائمة لم يقم برئاسة	فينا كما كان التقي (محمـد)
للحرب والمحراب من عزماته	لا تخطىء الاعداء حين تسود
حررت بالكلم القصار معاشراً	طال العناء عليهم فاستعبدوا[1]

والشعور الديني لدى الشعراء المشاركين في حمل السلاح او القائمين بوضع خطط الثورة ابلغ مما هو لدى الآخرين البعيدين عن ميادينها ، واكثر حساً بمعنى الجهاد ،

(١) ديوان ابي المحاسن ص٤٠ وما بعدها .

ولعل المفهوم القومي لديهم — واكثرهم من ابناء القبائل . كان باعثاً لعنصر الفروسية فى نتاجهم . كقول أبي المحاسن :

رجال في سبيل الله خاضوا رهج الغمرة
جزى الله المحامين الذين استقوا الكرة
أجابوا داعي الله وقاموا ساعة العسرة[1]

غير أننا لا نلمح تجديداً في رسم الصور الفنية في هذا المحتوى عما الفناه في الفترة السابقة للثورة غير تهويل الحرب ، واظهار الاقوام الفاتحة في صور بشرية شوهاء ومثيرة ومفزعة ، وهم يقصدون من ذلك اثارة حفيظة العرب للانتقام من خصومهم واذكاء الحماسة فيهم بعد تصوير الشاعر للموت في القتال بأنه استشهاد فى سبيل الدين .

وكان الشعر الى جانب القضية العراقية يرفع قضية الوحدة مشيداً بالدور البطولي الذي قام به دعاتها في سالف العصور فقد كانت الوحدة تجري في دماء كثير من الشعراء كما تجري في قصيدهم ، وعلى شفاههم ، وكان اكثرهم ترنما بها عبد الرحمن البناء من شعراء بغداد . فمن قصيدة له بعنوان (الوحدة العربية والثلاث حمامات) يقول :

وما المجد الا نهضة وطنية تقوم بحد المرهفات الصوارم
واني وان ضحيت عمري لامتي حريص عليها أن تذل لغاشم
وان لم أذد عن حوض قومي بصارمي فما أنا من عليا نزار وهاشم

ثم يسترسل في سرد احلامه وذكرياته العربية الحالمة بمجد العرب ، وفخارهم الذي

(١) ديوان أبي المحاسن ص١١٥ .

امتدت معه لفهم الى الأندلس متجهاً الى فردوسهم المفقود، وهو في نشوة احلامه مصوراً ظهور ثلاث حمامات، احداهن من المغرب الاقصى حيث المجد المضاع بسقوط الأمويين، واثناء الحكم العربي الاسلامي في الاندلس، والثانية من قلب الجزيرة العربية، وهي ترفرف على سوريا نادبة حالها وهي تشهد مأساة الفرنج، وما ارتكبوه من آثام، والثالثة من العراق مهد الحضارة العباسية، ومنار الحضارة الاسلامية، معرجاً في ثناياها في التفاتة لطيفة تضم صورة قاتمة للوضع القائم في العراق خلال تسلط الانكليز. كما يظهر فيها جنايتهم عليه.

وفي هذا تأكيد للشاعر العراقي في شرح وجهة نظره في المأساة التي يعيشها الوطن العربي باجمعه. فلم تشغله أحداث العراق الدامية عن الخروج من المحيط الاقليمي الضيق الى النزعة العربية التي امتدت بخياله الى آفاق حضارة العرب المضاعه في العراق وسوريا والاندلس. واصفاً كل ذلك في اطار جذاب لربط الحاضر بالماضي في دعوته الى الوحدة ليكون تأثير قوله أبلغ في النفوس، فهو يسترسل بصوت خافت وحزين ثم ينفجر قائلا:

بني العرب هل من وحدة عربية ... تدك اذا ثارت صروح المخاصم
بني العرب العرباء لا تتفرقوا ... فوحدتكم هزت جميع العوالم
فلا ترتقي الأقوام الا بوحدة ... بها المجد ان المجد اسنى العزائم (١)

وكانت الدعوة الى الوحدة العربية السيل العذب على السنة شعراء الثورة لأن الشعر العراقي كان وما يزال وقفاً على امة العرب.

وبالرغم مما ذكرناه حول تأخر الشعور بالقومية في الشعر العراقي الا اننا

(١) راجع القصيدة في ديوان البناء ٢/٣٤ ـ ٣٦.

نلمحه بصورة متقطعة لدى بعض الشعراء ، وقد يكون باسلوب ثائر او بصوت خافت أحياناً طبقاً للظروف السياسية التي مرت على العراق خلال فترة الثورة نظراً لاختلاف تلك الظروف بين بغداد وبقية أرجاء القطر العراقي .

ولعل وجود جنود الاحتلال وهم يطأون أرض العراق مدعاة الى تبلور الفكرة القومية في الشعر بصورة أوضح مما كنا نجـــده قبيل الثورة أو في فترة الاحتلال العثماني لاختلاف النظرة الى المحتلين الجدد بعد أن كان الشعور الديني يمنع الشاعر ـ في أغلب الأحيان ـ من اتخاذ نفس الموقف مع العثمانيين ـ الا ما وجدناه بعد الحرب العظمى وخلال الثورة وبعد طرح العامل الديني جانباً ، والاعتماد على العنصر القومي ، وهو ما لم يتيسر للشاعر من قبل .

فالشاعر محمد جواد الجزائري الذي كان يحمل بين جنبيه روح الثورة شعر دافق ينبض باحساس الشاعر العربي العميق بعد ان يئس من النصر فراح يبعث بنجواه الى بني عمومته من قبيلة كعب القاطنة غرب ايران وان كان لا يخرج عن النزعة التقريرية والاسلوب التعليمي فهو يقول :

قومية العرب قد تجلت ... فاتخذوها حمى وحصنا
فالعربي الصميم فيها ... ينال ما رام أو تمنى
قومية العرب يا لكعب ... أبقى لافرادها وأغنى[1]

والقومية ليست مجرد شعار يرفع أو هتاف يعلو بل كانت شعارات وهتافات ودعوات يعززها الرأي العنيد ، والاصرار العربي بوجه المعتدين ، فقد كان شعراء الثورة يترنمون بأناشيد القومية في جميع ميادين الثورة منذ ان رأوا علم العروبة

(١) شعراء الغري ٤١١/٧ .

بألوانه الاربعة يخفق فوق أرض النجف لأول مرة ، وينتقل منها الى سائر ميادين الكفاح . فقد قال أحد الشعراء وهو سعيد كمال الدين مرتجلا في عام الثورة :

علم المثلث هل نراك مظللا ... أرض العراق وكلنا بك محدق

أخفق كما تهوى فان قلوبنا ... أني خفقت تشوقا لك تخفق[1]

وبعد تطلعنا لاتجاهات الشعر قبيل الثورة وخلالها واتضاح الاتجاهات الاسلامية والمفاهيم القومية لدى الشعراء نقول : ان تلك الاتجاهات ساعدت الى حد بعيد في نشر الفكرة القومية بين مجموع الشعب العراقي وان كان الشاعر في أغلب الاحيان يوجه الانظار تارة باسم الدين واخرى باسم العرب وثالثة باسم بلدان الشرق ، فحينما يخاطب بني الشرق لا يقصد من ذلك غير المسلمين والعرب . وكانت الدعوة الشرقية أسبق وجوداً في الشعر من الدعوة الى القومية العربية ، لأن الشاعر كان يتسع فكره للشرق المضام بأجمعه ، اذ كانت الفكرة الشرقية تجمع بين الاسلام والقومية العربية وتدل عليهما ، فقد هزته أحداث الشرق وما توالى عليه من الارزاء والنكبات متوجهاً بنظره الى الغرب المتطلع نحو خيرات الشعوب الشرقية طالباً منها ان تستفيق من رقدتها .

وكانت تلك النزعة الشرقية تتجاذبها أقلام الشعراء في جميع الميادين تأكيداً للوجود الشرقي وحمل لواء الدعوة الشرقية في الوقت الذي بدأت فيه أقدام الغربيين تدوس على كرامة الشرقيين الذين عرفوا بالحفاظ على التقاليد الموروثة لديهم ـ فكان التجاوب بين صيحات تلك الشعوب المستضامة وبين شعرائها على

---

(١) شعراء الغري ٦/٣٧٩ .

أشده ، مما جعل الثورات في تلك الانحاء ـ وبخاصة العراق ـ ترتدي لبوساً شرقية وان كان صداها عربياً اسلامياً .

وبهذا الصدد يقول خيري الهنداوي[1] : ـ

أيها الشرق هل فقدت الشروقا ... فأضل الاقوام فيك الطريقا
لا مجال للعين مهما أطالت ... في دجاك الامعان والتحديقا
ظلمات من فوقها ظلمات ... طبقت كل بقعة تطبيقا
موقف يدهش الشجاع من الهو ... ل ويبكي دما عليه الشفيقا[2]

وهي قصيدة حافلة بالحسرة والالم والنقمة على الاستعمار وما خلفه في العراق من مآس ، ثم يستثير الهمم ويحرك العزائم حينما يقول :

انا ان لم أفد العراق بنفسي ... لا دعتني ابنها الكريم العريقا
واذا لم أصن حماها بسبقي ... ذقت من قبل أن اعق العقوقا
أخذت موثقا علي ومثلي ... حين يعطى عهدا يكون وثيقا
ويك لا أرتضى حياة بذل ... قم فمزق اهابها تمزيقا
وأدر لي في الرافدين حميا الحرب صرفا وكسر الابريقا
ان موتا يكون في ساحة العز لموت اجدر به أن يروقا

والهنداوي صفحة مشرقة من صفحات الثورة اذ لم يكن شاعراً لها فحسب بل خطيباً وسياسياً جديراً بأن يسمو في بعض المراكز الادارية ، ولهذا حاولت

(١) انظر ترجمته في (خيري الهنداوي ـ حياته وشعره) د . يوسف عزالدين ص ٣٣ والأدب العصري ١ـ٠٦١ .
(٢) الشعر والشعراء في العراق ص ٩٨ .

السلطات الانكليزية أن يكون من موظفيها في بداية الاحتلال ، وكان آخر عهد له مع المحتلين أيام الثورة الاولى فقد عين معاوناً مالياً وسياسياً في مدينة (الحلة) . وخلال احد الاجتماعات الكبيرة التي أقامها زعماء الثورة هناك في الجامع الكبير شعر الانكليز بتفاقم الوضع السياسي فعهدوا الى الهنداوي بتهدئة الجمهور فذهب اليهم وأخبرهم بنوايا الانكليز ، والقى فيهم كلمة أشاد فيها بموقفهم الوطني ، وحثهم على المطالبة بالاستقلال والدعوة الى الحرية ، ولهذا كان نصيبه النفي الى هنجام مع من نفي من الوطنيين .

والثورة قد أعطت لقصيدة الهنداوي مضموناً مشحوناً بالقوة والتحدي ، فبات الشعر عنده وسيلة لاثارة الشعب ودفع الحماس في النفوس مستغلا عواطفهم الوطنيـــة .

ويصدق ذلك الى حد ما على شعره الذي قاله بعيد الثورة أو بعد عودته من المنفى ، غير اننا نلمح فيـه خفوتاً ثم يأساً واخيراً انقلاباً على المفاهيم التي صارع الطغاة من أجلها .

واذا اردنا استقراء النصوص وايراد امثلة وافية على الشعراء الذين ساهموا في الثورة فاننا نقف أمام تراث ضخم قابل الانكليز بتحد وقوة مقارعة تبرز الدور البطولي للشعراء وتبين لنا وقفتهم المشرفة بوجه الاستعمار وخوضهم للحرب بالسنتهم واقلامهم وحتى سيوفهم واكبوها فاحسنوا المواكبة فسجلوا « للادب العراقي فخراً يعتز به ويهتز له »[1] .

ومن ناحية اخرى وبالنسبة لميادين الثورة يمكن تقسيم الشعر الى قسمين ،

---

(١) انظر : أماني الاتحاد . اتحاد الادباء العراقيين ٧ / ٨٣ .

شعر قاله الشعراء وهم في مناطق الثورة أو قرب خطوط النار كالذي نجده لدى اليعقوبي وأبي المحاسن ومحمد باقر الحلي ومحمد باقر الشبيبي وعبدالحسين الازري وغيرهم . وهو شعر ثائر يمتاز بقوة العاطفة وشدة تفاعله بالاحداث ، واندفاعه أكثر مما قيل من شعر خارج ميادين القتال .

وشعر قيل في ميادين التحريض على الثورة في بغداد وبعض جهات اخرى من العراق ، وهو وان كان لا يقل ثورية عن الشعر في ميادين الثورة والقريبة منها كالنجف وكربلاء والحلة الا انه يمتاز عن ذلك باستيعاب القصيدة لافكار الشاعر والاسترسال في توضيحها ، والتأكيد على حق العراقيين في الاستقلال بعد استقراء المواثيق والعهود الغربية كالذي نجده لدى البناء وعبدالكريم الدلاف والبصير والعبيدي وغيرهم بينما وجدنا في شعر النجف تحكم الطابع البادي والاسلوب الخطابي ، وبعنفوانية أقوى مما عليه في شعر شعراء بغداد .

ففي اسلوب محمد جواد الجزائري ـ وهو من شعراء النجف ـ اندفاع وتوثب مقرون بالدعوة القومية ، ومن أشهر قصائده في الثورة قوله :

يا شعب شرق العراق قلبي ... عليك دون الشعوب حنا
حن وهل نافع حنين ... ولم أشم روضك الأغنا
حن فيا ليت لي حنينا ... قرب لي شقائني وادنى

ففيها نداء الى قبيلة كعب العربية القاطنة في جنوب ايران يطلب نجدتها ومساندتها للثورة العراقية وقد بعث بها من جبهة القتال في الحلة ، ومما جاء فيها :

يا شعب كعب اليس كعب ... عضب بني يعرب ولدنا

سلوا ظباكم ولا تمدوا للغرب حول السلام يمنا[1]

اما في شعر عطاء الخطيب[2] فنلمح صورة الفارس الواثق من نفسه في تحريرها من نير الاستعمار والعبودية وذلك من قصيدة القاها أيام الثورة جاء فيها :

الا أنهض وفز فيما تحاول يا شعب فما أنت من يثنيه سهل ولا صعب
الى م الى م الحلم والشرق كلما أراد امتطاء المجد عارضه الغرب
لعمرك أن الحلم يا شعب بعد ذا لذنب عظيم لا يماثله ذنب
فلا تخش لوما وابعث السيف عاتبا وانفع عتب ما تردده القضب
فنعم الفتى من يستميت بسالة وبئس الفتى من عاش يقتله الرعب
ولا عيب فيمن مات يطلب حقه ولكن ترك الحق عجزاً هو العيب
وان لم يك استقلالنا قائماً بنا فلا أنجبت من بعد أمثالنا العرب
وان لم يسد أهل العراق فدجلة حرام على أبنائها ماؤها العذب[3]

وربما اهتدينا الى صفة بارزة في اسلوب الخطيب هي الاصالة والابداع الفنى مع قوة المعنى ووفرة الشحنات العاطفية ، كما أنه ذكر (دجلة) وخص العراقيين بها ، وهذا دليل على ان الشاعر لم يبتعد عن ميدان الثورة فى الجانب الشرقى من العراق لكونه احد أبناء تلك المنطقة ، بينما نجد شعراء الفرات الأوسط يرددون اسم الثورة مقروناً بالفرات .

واغلب ما وصلنا من شعر الثورة على ما فيه من التكرار يتصف فى بعض الأحيان بالقوة والبراعة ولكننا لا ننفي عنه صفة اللهجة الخطابية التقريرية المسيطرة

(١) انظر : شعراء الثورة العراقية ـ خضر العباسي ٦٧ـ٦٨ .
(٢) انظر ترجمته في (لب الألباب) للسهروردي ٢ـ٣٩٤ .
(٣) لب الالباب ـ السهروردي ١ـ٣٩٥ .

على اغلبه مع بساطة التراكيب ووضوح المعاني فنجد فيها الفاظاً مفهومة لدى عامة الشعب، كما نجد اسماء الاسلحة التي استخدمت في الكفاح مثل (الفالة) و(المكوار) كما نجد فيها تكرار لفظي الحرب والسلام، والنضال والوطنية والخيانة، وعقد المقارنات بين الاضداد التي تأتي طواعية. فقد يسرت المناسبة تلك الاشياء للشعراء دون ان تترك لهم وقتاً للتفكير الذي يدل على استقرار نفس الشاعر وهدوء باله. ولما كانت سرعة المناسبة تتطلب من الشعراء ذلك وجدنا بعضهم يستعيض عن القصيدة بالخطبة، وقد أشار الى ذلك البصير حيث قال: «والواقع اني كنت استعيض بالخطبة عن القصيدة احياناً ولكن الجمهور كان أشد ميلا الى الشعر واكثر اقبالا عليه [1]» لان متطلبات الوضع المتأزم كانت لا تسمح للشعراء بالتهؤ والاعداد الكافي لصقل مواهبهم الفنية. فاثارة الحماس الوطني في النفوس رائدهم. والمقصود المعنى لا المبنى غير انه (كانت هذه الثورة بعثاً جديداً للأدب العراقي الذي طغى عليه الاهمال في العصور المظلمة التي سبقت عصر الثورة [2]). فكانت مواضيعهم لا تتعدى في أغراضها الميادين القومية المصطبغة بالصبغة الاسلامية والوطنية المتشحة بثوب الانسانية، والاشادة بذكر الامجاد الذين خلفوا التراث العربي، وصاغوا مبادىء الاسلام ونشروها، وهي اغراض نبيلة تلائم مبادىء الثورة.

وينبغي ان نلاحظ ـ ومن الشعر ايضاً ـ ما كان يجري في العراق من معارك خلال الثورة، غير ان الذي استأثر بنصيب أوفر من ذلك مدينة (الرميثة) وموقعة (الرارنجية) و (العارضيات) و (شط الكوفة) مع ذكر (الباخرة

(١) اورد هذا البصير في مقدمة (البركان).

(٢) انظر: شعراء الثورة العراقية ص ١٧.

فابرفلاي) ومواضع اخرى في الفرات الاوسط أبلى فيها الثوار بلاء حسنا ، واذا اردنا مقارنة ذلك بما كان ينشر من البيانات الرسمية لصالح حكومة الاحتلال في جريدة العرب والعراق ، وفي صحف الثورة كالفرات والاستقلال لتحقق لدينا بأن الثورة لم تكن خاصة بمنطقة واحدة من العراق وانما سارعت مختلف جهات القطر الى اعلانها وان كانت احياناً فى أوقات متفاوتة ، غير ان العبء الاكبر من القتال وقع على منطقة الفرات الاوسط ، ولولا ما وقع فى لواء ديالى وخاصة في منطقة (دلتاوة) لقلنا : ان الثورة فراتية [1] .

وكان بعض الشعراء يبعثون بشعرهم الحماسي الى اخوانهم الثوار المرابطين في جبهات القتال لتشجيعهم . فاليعقوبي كان قد بعث بقصيدة أسماها (تحية الثوار) الى بعض اصدقائه المرابطين في جبهة السماوة والرميثة حيث تدور رحى الحرب بين الثوار والانكليز وذلك سنة ١٣٣٨ هـ ومما جاء فيها :

احبتنا بساحات الكفاح ... ثقوا بالنصر فيها والنجاح
نفرتم للوغى لما دعاكم ... لها الداعي بشوق وارتياح
سمحتم بالنفوس لها فكنتم ... مثالا للشجاعة والسماح
ففزتم بالفخار بها وآبت ... أعاديكم بخزي وافتضاح

ومنها :

وخير من رجال فى قصور ... شباب يستظل شبا الصفاح
وما سيان كاس دم الاعادي ... وكأس طلا يطاف ، بها وراح
من العرب الالى رفعوا وشادوا ... صروح علاهم فوق الضراح

---

(١) انظر : العراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ١٧٧ .

تتوق اليكم نفسي وتهـــوى لقاكم بالغدو وبالرواح
فان لم القى بينكم حمامي عسى أحظى بتضميد الجراح[1]

والقصيدة تعبر عن ايمان الشاعر بحتمية انتصار الشعب المجاهد كما أنها تمتاز بالروح الخطابية التي سيطرت على اسلوب الشاعر غير أنها لم تفقد حرارة الاندفاع والثورة وهي صفات مشتركة عند اغلب الشعراء لولا الاسترسال في ذكر التوجيهات والنصائح التي وردت عرضاً في شعر اليعقوبي .

ولعل كثرة اشتغال اليعقوبي بالخطابة ، وانشغاله بالامور السياسية في تلك الفترة أبعده عن قرض الشعر في الثورة . لاننا لم نعثر في ديوانه أو ما ترجم له من شعر في المراجع التي تناقلت اخباره شيئاً كثيراً في الثورة . غير اننا لانتكر دوره في الاعداد لها ، وفي الاشادة بذكرها فيما بعد ، أو رثاء جميع زعمائها من امثال الشيرازي والخالصي ومحمدالصدر وجعفر أبي التمن وعبدالواحد الحاج سكر وغيرهم ممن وردت مراثيهم في ديوانه .

ومعظم ما اطلعنا عليه من شعر اليعقوبي يحفل بالحس العربي المدوي والذي يذكر فيه مجد الاجداد وتراث العرب في عصورهم المختلفة وهو قدر مشترك لدى معظم شعراء العراق يمتد في شعرهم الى مطلع القرن الحالي ، وهو شعر يرقى في كثير من مقوماته الى مستوى الشعر في البلاد العربية الاخرى ، وان كانت أخيلة الشعراء العراقيين لا تبرح محيطهم بما فيه من حياة قاسية وظروف سياسية أشد قسوة من تلك البيئة الطبيعية بينما كان شعراء مصر وسورية قد أخذوا نصيباً وافراً من الثقافة الغربية ، وربما اطلع بعضهم على الطبيعة الغربية فأفادته خبرة ، وأمدته بمهارة الابتكار والتوسع في الخيال .

---

(١) انظر : ديوان اليعقوبي ١/١٦٥ .

وفي شعر الثورة نقف امام صفحات جليلة القدر في تاريخ العراق الحديث ، فيها صور البطولة والتضحية ، وفيها ملامح المجتمع العراقي ، وشخصية الفرد العراقي وموقفه من القضايا الوطنية والعـــربية والانسانية بعد التحول الاجتماعي والثقافي والسياسي الذي حدث في العراق فغير من تفكير الفرد ونظرته الى ما يحيط به من هزات وتحولات ، فأبان الشعر صورة للمجتمع العراقي خلال الثورة تختلف كثيراً عما كان عليه من قبل من حيث الوحدة الوطنية والدعوة الى اتباع اسلوب العنف في مجابهة الاحداث وانتزاع الحق بقوة السلاح . كما اظهر شعر الثورة بجلاء الروح المعنوية العالية التي كان يتمتع بها الشعب العراق ، واحياناً النزعة البدوية المسيطرة على قطاع كبير منه هم سكان الأرياف .

وقد وجدنا عند بعض الشعراء حساً قبلياً لم يتحرروا منه حتى وهم يوجهون نداءهم الى أبناء المدن ، وهذا دليل على الالتزام القبلي في الشعر خلال فـــترة الصراع الحاد بين المفاهيم الحضارية الجديدة والاعراف التقليدية السائدة ، كالذي نلمحه في شعر العلاف وأبي المحاسن والبصير وغيرهم .

وعن طريق الشعر يمكننـا استعراض احداث الثورة ، ومعرفة رجالها وفي هذا الباب ما يغنينا عن مطالعة التاريخ .

ولعل الشاعر علي البازي أول من اعطى للثورة كثـــيراً من عنايته بتسجيل تاريخها واحداثها وذكر رجالاتها ، وقد اشتهر بكونه مؤرخا لمختلف الاحداث والمناسبات[1] ويعد من اشهر شعراء الثورة في مختلف الاوساط الاجتماعية لكونه شاعراً في الفصحى والعامية .

---

(١) شعراء الثورة العراقية ص١٣٧ .

وقد ذكرنا له سابقاً أنه أرخ لثورة النجف عام ١٩١٨ ، كما انه تناول تاريخ نفي احرار كربلاء في عام ١٩٢٠ بقوله :

ساسة الحكم استبدت مذ رأت شعبنا صمم اعلان الجهاد
عاملتنا بالتجافي بعد ما سجنت منا رجالات شداد
وبرغم الشعب عنا أرخوا (سافرت للهند أحرار البلاد)[١]

وقد عثرنا له على قصيدتين تعتبران من اشهر ما قيل في تاريخ الثورة العراقية احدهما باللغة الفصحى والثانية بالعامية ، وسنكتفي ببعض ما جاء في الاولى :—

قف بالرميثة واسأل ما جرى فيها غداة ثارت بشوال ضواريها
وعن سواعدها قد شمرت وقضت ان تستعيد بماضي العزم ماضيها
واستنجدت بأبي الاشبال سيدها من قبل عام فسل عنها شبيبيها[٢]
لما أنابته عنها للتفاوض في حل الرزايا التي كانت تقاسيها
فطاحل العلم قادت سفن نهضتها لساحة المجد واحتلت معاليها
وأيد النجف الاعلى ونهضتة وكوفة الجند قاصيها ودانيها
شيخ الشريعة والمولى أبو حسن عبدالكريم جواد فخر ناديها[٣]

وبعد الاشادة برسالة رجال الثورة من علماء الدين ننتقل الى سرد وقائع الثورة ، وهو لم يقف عند مدينة واحدة من المدن الثائرة ، وذكر شخص واحد من رجالها

---

(١) شعراء الغري ٦/٣٧٨ .
(٢) يقصد بأبي الاشبال الملك حسين ملك مكة ومن هنا نستدل على أن رجال الثورة كانوا على اتصال دائم بزعماء الثورة العربية أما شبيبيها فيقصد به محمد رضا الشبيبي .
(٣) اشارة الى ذكر شيخ الشريعة فتح الله الاصبهاني والسيد أبي الحسن الاصبهاني والشيخ عبد الكريم الجزائري وأخيه الشيخ محمد جواد الجزائري من زعماء الثورة في منطقة النجف وكربلاء .

بل عرج على مختلف المدن العراقية التي ساهمت فيها واثنى على ذكر رجالها من العلماء والشعراء والقادة العسكريين ورؤساء القبائل ، كما اشار الى المواقع الحربية مع الانكليز ومواقف الرجال فيها ، مع ذكر الضحايا ، وما فقده العدو من رجال واموال وبواخر حربية أسرها الثوار أو اغرقوا بعضها .

فقد بدأ بالرميثة باعتبارها مبعث شرارة الثورة ، وانتهى بديار آل فتلة وذكر قبيله بني حسن باعتبارها آخر من استسلم من القبائل العراقية وألقى السلاح .

وبعد فالقصيدة ليست مما يستشهد بها من حيث فنيتها ولكن ما فيها من ذكر لفصول الثورة يعطي الباحث عن تاريخ العراق حقيقة جديرة بالاهتمام هي أن شعباً كالشعب العراقي يملك مثل هذا الزخم الثوري ، واليقظة الفكرية ، والوحدة الوطنية لا يمكن لأي مستعمر أو دخيل أن يحكمه دون أن يجابه مصاعب تثنيه عن الاستمرار في هذا الطريق . فقد تطلع الى عالم ما بعد الحرب العالمية الاولى وما أحدثت فيه من تغيرات وتجدد ، وما قدمت فيه الى الانسان من تجارب الشعوب المستعبدة وهي تفصم اغلالها ، وأصبح بامكانه أن يأخذ دوره في تحديد موقفه من تلك الاحداث .

وللبازي قصائد ثورية اخرى مغلفة باسلوب تأريخي يحمل احياناً طابع الاسترحام ولكنها كانت تضرب على وتر حساس هو تردي الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في البلد ليحمل المسؤولين عن قيادته تبعتها فيحثهم على معالجتها .

ولم يقتصر دور الشعر في سرد وقائع الثورة ، وذكر رجالها في محافلهم الادبية أو بلائهم في ميادينها وانما تعداه الى تدوين زاوية اخرى تجمعت فيها قوى

الثورة وهي السجون والمعتقلات ، فقد نظم السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني[1] ارجوزة في احصاء من سجن من أبطال الثورة في مدينة (الحلة) فقال :

هاك اسامي نخبة الآفاق ... من حوكموا في نهضة العراق
سبع وعشرون شيوخ رؤسا ... وستة من نسل اصحاب الكسا[2]
هم هبة الدين لأهل الدين ... وحبرنا الحسيني من قزوين[3]
والسيد الوهاب مظهر الابا ... والهادي للحق الزويني نسبا[4]
والمرشد الحسيني من نسل الددة ... خاتمهم محمد ذو المحمده[5]
أحصي الشيوخ كنازل القمر ... هذا الدليمي وذاك المفتخر[6]
اشخير من آل (أبو سلطان) ... ثم الفتى أمين أبو نعمان[7]
ثلاثة اسمهم سلمان ... والمحسنان والفتى دوهان[8]

---

(١) انظر ترجمة الشهرستاني في (شعراء من كربلاء ـ سلمان هادي الطعمة ٢/١٨٥ والقصيدة املاها علي استاذنا الفاضل ابراهيم الواثلي مساء الجمعة ١٩٦٨/٤/٢٦ من مجموعته نقلا عن مجموعة السيد عبدالرزاق آل وهاب .

(٢) يشير الى أن هؤلاء الستة من العلويين .

(٣) الاول هو صاحب الارجوزة محمد علي هبة الدين ، والثاني السيد حسين القزويني من علماء الدين في كربلاء .

(٤) السيد عبدالوهاب آل وهاب من اشراف كربلاء كان رئيساً للبلدية فيها ، اما الثاني فهو السيد هادي زوين المجاهد المعروف في قضاء أبي صخير .

(٥) السيد حسين الددة من وجوه كربلاء وهو زعيم فرقة البكتاشية وصاحب التكية في كربلاء أما الثاني فهو محمد الكشميري أحد المجاهدين ، وقد هدمت داره وسبيت عياله .

(٦) اديم البراك أخو سلمان البراك رئيس البوسلطان .

(٧) اشخير زعيم عشيرة البو سلطان ، أما الثاني فهو أمين كرماشه من وجهاء الكوفة .

(٨) سلمان البراك من آل (أبو سلطان) أخو اديم وسلمان الكميد رئيس البشار في سدة الهندية ، وسلمان الفاضل رئيس الحوايم ، ومحسن من آل عباس من رؤساء بني حسن وكان مفوضاً للشرطة في قضاء الهندية عند الاحتلال ثم التحق بالثوار ، أما الثاني فلم يذكر اسمه في الهامش ويحتمل ان يكون السيد محسن (أبو طبيخ) من اقطاب الثورة في الفرات أو محسن شلاش من وجهاء النجف . ودوهان هو دوهان الحسن شيخ الجبور .

عمران ذاك الصارم المصقول علوان فيهم سيفنا المسلول[1]
والبر نجم كالسماوي العابد ولا فتى حر كعبد الواحد[2]
علي المزعـل الـلاعادي كخادم الغازي كذا عبادي[3]
خضير العاصي عن التسليم والشهم من كان كابراهيم[4]
طليفح الحر كذا فرحان متعب اعدانا هو الرحمن[5]
عبد الجليل صنوة العواد والتاج عبد الرسول الهادي[6]
وابن عنين اسمه عبود وابن الصليلي الفتى محمود(7)

وقد أحصى فيها كثيراً من رجال الثورة المسجونين من مختلف المدن العراقية، كما اشار الى نهضة العراق — كما اسماها - والقصيدة لاتخلو من أخطاء نحوية كقوله (سبع وعشرون) وهي تشير الى من سجن من كربلاء والنجف والحلة وعشائر الفرات الاوسط بما فيهم رجال الدين وزعماء القبائل، وقد اوردناها هنا كاملة لعلمنا بفائدتها من الوجهة التاريخية.

ولسنا هنا في استعراض جميع الشعر الذي قيل في السجون والمنافي لأن اغلب

---

(١) عمران الحاج سعدون رئيس بني حسن، وعلوان الشلال رئيس عشيرة آل (أبو محي)
(٢) نجم العبود من رؤساء الكوفة وسماوي آل جلوب رئيس آل فتلة في الهندية وعبدالواحد سكر رئيس آل فتلة في المشخاب.
(٣) علي المزعل من رؤساء عشائر الفرات، وخادم الغازي من رؤساء بني حسن في الكوفة، وعبادي آل حسين رئيس آل فتلة في الشامية.
(٤) خضير العاصي رئيس الجنابيين في جرف الصخر، وابراهيم السماوي رئيس خفاجة الحلة.
(٥) طليفح الحسون رئيس النصاروة في كربلاء والهندية، وفرحان الدبي من رؤساء الدبات في الحلة، ومتعب الشافي رئيس آل شبانة في الشامية وعبدالرحمن رئيس آل عواد في كربلاء.
(٦) من رؤساء العواد في كربلاء، الحاج عبدالرسول تويج من رؤساء الكوفة.
(٧) عبود العنين رئيس آل عيسى في الحلة، حمود رئيس البوغانم في سدة الهندية.

الشعراء سجنوا ونفوا وقالوا فى السجن والمنفى شعراً كثيراً يعبر عن آلامهم ، ومعاناتهم وربما عدنا اليه فى مواضع اخرى من هذه الدراسة .

ونعود الى بغداد فنرى جماهيرها محتشدة فى المساجد والمدارس تحيي الثوار وهم يتقدمون فى الفرات الاوسط ، ويقف بينهم شعراؤهم الكبار من أمثال البصير والبناء والعلاف ، وقد اعطوا من وقتهم للثورة الشيء الكثير كما منحوها من فكرهم القدر الكافي والمستطاع ، متتبعين احداثها في جميع الجبهات ، يقول البصير في احدى التظاهرات التي اقيمت ببغداد تأييداً لتقدم الثوار في اواسط الفرات تقدما كبيراً .

لم يخطب السيف حتى أخرس القلم ... فالكلم اجدى لنا نفعاً ام الكلم
كم الحقوا بأمانينا سياستهم ... حتى اذا استنتجت أفوالهم عصموا
فما نحرر رأيا أو نقـــرره ... حتى تغل بنان أو يكم فسم
قالوا سنبني صروح السلم شامخة ... وحاربونا على عمد فلا سلموا
وأقسموا ان يشدوا ازر وحدتنا ... فقسمونا كأن لم يسبق القسم

ثم يوجه خطابه الى رجال الغرب وساستهم :

كذبتمونا ولكن الوغى صدقت ... وخنتمونا فبرت للقنا ذمم
وعلمتنا ظبانا اننا عـرب ... اذا سخطنا علمنا كيف ننتقم
ياتربة الوطن المحبوب هاك دمى ... فسؤدد الشعب ان يسقى ثراه دم [1]

فالشاعر ينطلق من الدعوة العربية والاشادة بامجاد العرب ، ولم يخفت صوت العروبة لديه حتى وهو في اشد الاوقات حرجا ، لاسيما وهو في لجة المعركة .

وللبصير شعر كثير في هذا المجال ، فمنه قصيدته (وأبيك ان الحق غالب) التي

(١) انظر : البركان ص٥٦ .

انشدها في حفلة ثورية كبرى اقيمت بجامع الحيدرخانة بعد استيلاء الثوار على النجف وكربلاء ومدن اخرى في اواسط الفرات ، وعلى (دلتاوة) وبعقوبة في (ديالى) ومما جاء فيها :

بين الأسنة والقواضب شرف المبادىء والعواقب
ابغ السلام فان تخب فيما قصدت له فحارب
ودع المقال الى المصا ل بملتقى القب السلاهب

ومنها :

فاض الفرات جحافلا وجرى ديالى بالمقانب
واحتلت المدن العديدة فهي في حكم المضارب
أهلا بخافقة البنود تظل زاحفة المواكب[1]

وهكذا يكون جل شعر البصير تفصيلا لحوادث الثورة ، وعرضاً لسيرها في مختلف الجبهات ، في تقدم الثوار ، واحتياطاتهم ، وثباتهم ، وقوة جيش المحتل ومقاومة الوطنيين الانكليز ، ومقارنة وعود الغربيين بصدق مواعيد العرب ، وغيرها مما ورد في قاموس الشاعر من الفاظ نجدها في قصائده الثورية ، (العدو والحق) و (وحدة الألم) و (نشيد الثورة) و (النحل والانسان) و (الصقر والحمام) و (الماء والدماء) [2] .

ومع كل تلك الثورة الجامحة في شعر البصير نجده في نهاية الثورة يخضع للامر الواقع بعد أن علم بأنها ستنتهي بما لم يكن متوقعاً لها . فقد وجد أنه من الحكمة أن يدعو الى صلح شريف يحقن دماء الثوار ، ويحفظ لهم كرامتهم على ان يقوم بذلك

(١) البركان ص٥٨ .
(٢) المصدر نفسه ص٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ على التوالي .

وفد من وجهاء بغداد الأحرار ووفد من اعلام الدين في الكاظمية فيقول : « وقد بذلت كل ما في وسعي لتحقيق هذه الفكرة الا انني لم أنجح مع الاسف » ومما جاء بهذه المناسبة قوله :

ان ينبت المجد الاثيل على دم ... فالماء تنبت حوله الازهار
ولقد عجبت فيّ الدماء حرارة ... تروى بها الاكباد وهي حرار
ان الدماء وان تحرج عصرنا ... في سفكها فسيولهن غزار
فلتجرين بحيث يحسن جريها ... ليصان مجد أو ليغسل عار
والزرع ينمو ما تيسر ريه ... ويموت اذ يجتاحه التيار (١)

ومع ما في القصيدة من استسلام وتردد وهو في أيام الثورة الاخيرة بعد ان ضربت قوات الثوار بقسوة ، لا ننكر ما كان للشاعر من حظ كبير فيها عند اشتعالها ، فقد كان يستنهض ويستثير ويحث ويمهد ويمجد ، ويدعو اليها من على منابر بغداد مصوراً آلام العرب في العراق ، وعواطفهم وأفكارهم ، حاملا لواء الدعوة القومية ووحدة العرب في أغلب قصائده التي القاها بين حشود الاحرار . غير أن الذي نلمحه في قصائد البصير العفوية والبساطة ، ويعود ذلك الى كثرة المناسبات التي أحياها الشاعر من جهة ، والقائها في حفل عام من جهة ثانية . وهو في هذا لا يحتاج الى بيان بليغ في ايصال افكاره الثورية الى الجمهور .

ويمكننا تحديد ما ينطوي عليه (البركان) من أفكار واغراض ومعان بدون جهد لسهولة الفاظه ، ووضوح اغراضه ، وميله الى النزعة الاخبارية التقريرية ، واللهجة الخطابية لكونه شاعراً ملتزماً « يقصد من وراء النظم الى تعليم الوطنية

---

(١) انظر : البركان ص ٦٩ .

وتربية الناس عليها اكثر من اي شيء آخر »[1].

كما نلمح الحماسة والقوة في ابلاغ الفكرة مشفوعة احياناً بمقدمات تاريخيـــة وسرد قصصي تتحكم فيه النثرية .

اما الخطوط العامة في ديوان البصير فهي نفس المفاهيم السائدة في تلك الفترة ومشكلاتها . فنجد الفاظاً متكررة كالاتحاديين والحلفـاء ، والوطنيين والخونة ، والاستعمار والاستقلال ، والشرق والغرب ، والمعاهدات والمراوغات ، والحرب والسلام . . . الخ .

نخلص من هذا الى القول : بأن شعر البصير لا سيما في (البركان) كان سجلا حافلا بالدعوة الوطنية وقضايا الانسان في العراق خلال تلك الحقبة .

وقل عن آخرين من الشعراء الذين وقفوا مع البصير أيام المحنة ، وشهدت لهم منابر العراق ومحافله السياسية أيام الثورة نشاطاً ملموساً . فكان شعراً جامعاً لأغلبية شعراء العراق في النجف وكربلاء وبغداد وديالى والموصل .

ومن هؤلاء الشعراء ، عبدالكريم العلاف ، وأبو المحاسن ، واليعقوبي ، ومحمد باقر الشبيبي ، ومحمد باقر الحلي ، والجزائري ، والهنداوي ، وعلي البازي وغيرهم .

كما كان الشعر الشعبي الذي واكب الثورة ساعة بساعة ، ورافق جهاد الفلاحين ، وزحفهم في ساحات المعركة ، لا يقل في توهجه وثورته عن الشعر الفصيح ، وربما كان المعبر الحقيقي عن الثوار ، والافصاح عما في نفوسهم وخواطرهم من افكار لكونه لصيقاً بحياة الوسط الفلاحي ، وهو المعبر الحقيقي عن وجدانهم .

---

(١) انظر : مقالات علي جواد الطاهر ص ٧٩ .

وبهذا اصبح قاموس الثورة حافلا بنتاج الشعراء الذائدين بسيوفهم والسنتهم عن الحمى . ولم يكن هذا الشعر ثورة سياسية فحسب بل كان ثورة ضد الجمود والتخلف اللذين رافقا حركة الشعر خلال الفترة المظلمة وهذا النتاج قد جاء على أعقاب عصر باد وعصر بدأ ، وهو تاريخ امة لا شعب لأنه مكمل لثورة الادب في مصر ، ودافع لثورة الفكر في سوريا ، وسائر اقطار العروبة الاخرى التي انطلقت من اسارها بعد ثورة العراق الكبرى وقد « جنت عليه السرعة فلم يتمكن من تعمق الحدث ومراعاة اصول الفن ، بل استهلك كثيراً من طاقته بتلبية مطالب الظروف على حساب القيمة الفنية [1] » .

ان الثورة العراقية قد اكسبت الشعر العراقي طاقة ثورية هائلة تمثلت في قوة الاسلوب واندفاع الشعراء في بث الفكرة القومية ، ومهاجاة الخصوم ومحاججتهم ، ودفعهم الى التخلي عن اسلوب القمع العسكري ، وضرب الشعب الاعزل بضراوة متناهية .

ففي بغداد كان الشعراء يراقبون سير المعارك فيهللون لانتصارات الثوار ، ويباركون زحفهم نحو تحرير المدن والقصبات من الحاميات العسكرية الانكليزية ـ ولقد كان جامع الحيدرخانة (كما ذكرنا سابقاً) مجمعاً للاحرار وملتقى للادباء والشعراء من امثال عبدالكريم العلاف ومحمد مهدي البصير وعيسى عبدالقادر ورشيد الهاشمي ومحمد الصدر وغيرهم من الشعراء والزعماء الدينيين .

فللعلاف عدة قصائد القاها في الجامع المذكور ، قالها اثر تقدم الثوار في ميادين الفرات الأوسط ، او في المناسبات التي احيتها « جمعية حرس الاستقلال »

(١) انظر : الشعر والشعراء في العراق احمد ابو سعد ص ٧ .

والجمعيات الثورية في بغداد لنصرة الثورة رغم الضغط الذي كانت تتعرض له من لدن سلطات الاحتلال . فحينما بلغته انباء الثورة فى ديالى ـ شرق العراق ـ قال قصيدة بعنوان (هيا الى الحرب) كان يلهب بها حماسة ابنـاء (الخالص) عند تجمعهم على نهر الاسود استعداداً للهجوم على الانكليز والأرمن : ـ

اين اهل الحفاظ اهل الحمية	اين احفاد قادة القادسية ؟
اين ابناء يعرب ونزار	اين تلك الشهامة العربية ؟
اين اشبال (عزة) و (بيات)	اين (جيس) وصفوة (الدايني) ؟
اين اين العبيد اين (تميم)	اين اين (الجبور) و (العنبكية) ؟
يا اسود العراق انتم حماة	من قديم الزمان بين البرية
كيف تغضون عن اغاثة شعب	مستجير يأبى قبول (الوصية)
كيف ترضون يا اباة وفيكم	رامت الحكم دولة (اجنبية)
(انكليزية) تردت رداء	صبغته بصبغة وهميـة [1]

فى القصيدة تأكيد على الاصرار العـربي المتمثل في قـوى القبائل . مبتدئاً بقبيلة (عزة) قبيلة الشاعر ، ولو كان قد ذكرها في نهاية الحديث عن القبائل في لواء ديالى لكان أجود .

ومن تتبع شعر العلاف ، وهو من جيل الثورة ، لم يلحظ عليه تجدداً ولا تقدماً ملموساً فى الاسلوب ، ففي جميع القصائد التي قالها فى أيام الثورة أو خلالها أو بعدها لم تخرج عن الاطار القومي الذي اختطه الشاعر لنفسه وسار عليه كمنهج في الحياة ، ولا يزال الى اليوم متمسكا به . غير أنه يحاول احياناً ان يتفنن في

(١) انظر : مجلة المناهل العدد ١١ سنة ١٩٦٤ السنة الأولى .

شعره بالمجيء بقافية صعبة كحرف الضاد مثلا في قصيدته (لا ترضى) والتي القيت في جامع الحيدرخانة أيضاً :

نهضتم بني قومي الى عزكم نهضا ... وقوضتم صرح التخالف والبغضا
وقفتم بوجه الانكليز بهمة ... وخضتم بحار الحادثات دماخوضا
الا خبروا عنا العداة باننا ... اناس على ذل الوصاية لانرضى
مشت فوق تيجان الملوك خيولنا ... الى أن غدت للارض ناكسة خفضا(١)

وأكثر من ذلك ان بعض الشعراء اتخذوا من موضوع الثورة رمزاً لمسرحياتهم الشعرية كالذي فعله عبدالحميد الراضي ، اذ سجل احداث الثورة على لسان شخوص مسرحيته الذين انتزعهم من الوسط الفلاحي في منطقة الفرات الأوسط ، والمسرحية ناجحة من حيث عرضها للفكرة التاريخية ، والغرض الوطني المرجو منها ، اما من حيث فنيتها فلم يوفق فيها . ولم يحسن الربط بين اجداثها ، وربما كان قد كتبها لتقرأ لا لتمثل لكونه وضع الحوار أحياناً على لسان شخص واحد بصورة مطولة بحيث تجاوزت خمسين بيتاً . كما ان فصولها غير مترابطة أو متجانسة اذ جاء الفصل الاول في خمسين صفحة والثاني بثمانين اما الثالث فلم يتجاوز عشر صفحات ـ وربما وجدنا في الحوار ضعفاً واضطراباً مملا لا يرضاه السامع او القارىء . وقد نراه أحياناً ينقاد للوزن والقافية فيفقد النص حرارته الثورية . ولسنا الآن في معرض تفصيل المسرحية ، ولكننا ننظر اليها كبداية للمسرحية الشعرية في العراق ، وجهت الجمهور الى العناية بدراسة التاريخ الحديث اضافة الى الناحية الوطنية المرتبطة بفترة قريبة العهد من القارىء ، لان المسرحية نشرت عام

(١) انظر : ديوان العلاف ـ مخطوط ـ ص ٣٩ .

١٩٣٨ وموضوعها كان أكثر اهاجة للشاعر مما لو كتبت بصورة مقالة .

وعن طريق الشعر يمكننا معرفة الاتجاهات السياسية خلال فترة الثورة وتبلور فكرة انشاء حكم جمهوري أو ملكي في العراق لدى العاملين في حقل الثورة ، كالذي وجدناه في المسرحية المذكورة . ونحن نعتقد ان الشاعر كان من المؤمنين بفكرة اعلان الجمهورية او الملكية المستندة على الدين حينما قال على لسان احد المواطنين :

انا اختار لكم نو عا من الحكم رضيا
حكم جمهوريه تبعث هذا الشعب حيا
او ديموقراطية كا ن بها الشعب حريا
ملك تمنحه الامة سلطاناً قويا
قلدوه من رجال الدين انسانا تقيا (١)

وكان اهتمام العراقيين بالدعوة الى الوحدة العربية امراً حتمياً في فترة ازداد فيها الوعي القومي ، وأضحى الحديث عن القومية والوحدة موضوعاً طبيعياً في الشعر . ففي هذه المسرحية يقول الشاعر على لسان عبدالواحد :

عاهدوا الشعب على الوحدة عهداً ابديا

آخر :

سترى كل فتى منا لذا العهد وفيا (٢)

وهكذا نجد ان الشعر يدور في فلك الثورة وفي الاطار القومي الذي اتخذه الشعراء وسيلة لبلوغ الشعب أهدافه العربية والسيطرة على عواطفه . وقد نجحوا

(١) انظر : ثورة العراق الكبرى ـ عبدالحميد الراضي ص ٢٢ـ٢٣ . علماً بأن الشاعر نظمها بعد الثورة .
(٢) المصدر السابق ص ٢٤ .

فى ذلك بفضل الشعور القومي الذي جعلهم يوافدون على ميادين الثورة بارادتهم ودون أن ينساقوا بالقوة الى التجمعات الثورية التي حملت اسم العرب والمسلمين، فجعلتهم متهيئين نفسياً للالتقاء بها والعمل بمقتضى توجيهات رجال الدين .

والشعر القومي الذي نحن بصدده دائم الثورة تتمثل فيـــه الحركة والعمل والمقارعة واليقظة والبطولة ، وتوزيع الالتفاتات على مختلف عناصر الشعب تأكيداً على أسهامهم فى الثورة ، وفيه من القوة ما يمكن أن ندعوه جيش الثورة الفكري وسلاحها الادبي

وحينما نجيل النظر فى شعر الثورة يبرز لنا فيه فريقان من الشعراء فريق يؤكد التزامه بالقديم ، وحتى في دعوته الى العروبة يقف عند تراث الاجداد والتمسك بآثار السلف وذكر فضائلهم ، وفريق آخر يجد في مثل تلك الدعوة خمولا وتقاعساً ومخلفاً عن مسيرة الانسان كالذي نجده عند أبي المحاسن والبصير والرصافى بعـد الثورة ـ وهو خروج على الاسلوب التقليدي في قصـــائد ما قبل الثورة وبعض قصائد الثورة . ومحاولة بعض الشعراء في التجديد لا تعني ابتعادهم عن الاعجاب بالتراث القديم بل نظروا الى المسألة نظرة عقلية أكثر مما هي عاطفية في وقت اتجه فيه الشعراء الى اثارة الناس عن طريق طالما نجحت فيه نفس الدعوة خلال المعارك القبلية في العهد العثماني متمثلة في الأهازيج الشعبية التي أبرزت صور المنازعات في قوالب عربية وهي صورة مصغرة للنزعة القومية التي نحن بصددها . ولعلها تكون مكتملة الجوانب لو أضافت الى المجد التليد مجداً طريفاً كالذي لاحظناه سابقاً لدى الرصافي وأبي المحاسن والبصير ، ولـكن ظروف الحرب واندفاع الشعراء ، وعدم تيسر الوقت الكافي للتأمل والاطلاع على جوانب واسعة من نتاج العقل الانساني أدت الى تكوين مفهوم واحد ـ على الاغلب ـ للقومية لدى الـكثير من

الشعراء فهم لم يروا في القومية الا مجداً غابراً يجب التمسك به قبل كل شيء، والا لما قامت ضجة عنيفة ضد الرصافي في قصيدته المشهورة :

تقدم ايها العربي شوطا ... فان أمامك العيش الرغيدا
وأسس في بنائك كل مجد ... طريف واترك المجد التليدا
فشر العالمين ذوو خمول ... اذا فاخرتهم ذكروا الجدودا
وخير الناس ذو حسب قديم ... أقام لنفسه حسباً جديدا (١)

واعتباره خارجاً على القيم العربية، وطاعناً في تراث الآباء والاجداد.

وكقول أبي المحاسن :

أبناء يعرب يطلبون تراثهم ... ان البنين أحق بالاجداد
لا يقنعون من الفخار بتالد ... ما لم يضيفوا طارفا لتلاد (٢)

يتضح مما مر وما أدركناه من الشعر العراقي الحديث الذي عاش هزات العالم والشرق بصورة خاصة، وفي عصر التقلقل السياسي والاجتماعي، وخلال الثورة انه كان يجري في روافد ثلاثة تصب في الادب العربي وتمده باستمرارية النضال القومي وهي : ـ

١ ـ التيار الاسلامي ـ وبخاصة لدى شعراء النجف وكربلاء والموصل.

وقد كان الشعر في الاماكن المقدسة من العراق أكثر التزاما بالمفهوم الديني اذ كان يجري في المناسبات الدينية ـ وهي كثيرة، ومتميزة في تلك المناطق عن غيرها

---

(١) انظر : ديوان الرصافي ص ٣٥ .
وقد نشرت في جريدة العراق بعنوان (نحن والماضي) في العدد ٣١٢ لسنة ١٩٢١ وقد رد عليها بعض الشعراء من أمثال محمد الهاشمي فقد رد على الرصافي بقصيدة عنيفة أسماها (عتبي على التاريخ) وقد نشرتها جريدة العراق بعددها (٣١٦) ومطلعها :
أعربا كان قومك أم عبيدا ... فقد أوسعتهم لوما شديدا
(٢) ديوان ابي المحاسن ص ٥٢ .

بكونها كانت تجري في نفس الوقت على مستوى القطر العراقي وتعتبر كربلاء والنجف المنطلق الرئيسي لها — وقد اغنت واقعة (الطف) وذكرى استشهاد الحسين الأدب العربي وأمدته بهذا الاتجاه فكان غزيراً ، حافلا بالصور الاسلامية التي أضفت عليها روعة المناسبة وجلالها شيئاً من التمسك بالرابطة الاسلامية ، كما أن الدعوة الى الجامعة الاسلامية كانت هي الاخرى قد وفرت للشعر مادة وجدت فيها الرواج والكثرة في الانتاج وقوة الاداء ، وسلامة التعبير .

٢ — النزعة الشرقية :

وقد جسدتها احداث البلاد الشرقية ، وهي ليست بعيدة عهد بالتعسف العثماني والاستعباد الغربي ، اذ كان صداها اوسع واكثر امتزاجا بثقافة الاوساط المتعلمة من ابناء الشرق . وان شارك فيها معظم شعراء العرب فى مختلف ديارهم ، وهي صادقة في ابراز الشعور العراقي المتسع فى نظرته لما يحيط بوطنه من ممالك شرقية ، وما كان يدبر لها من مكائد ومواثيق لربطها بعجلة الاستعمار ، وهذا الاتجاه فى الشعر لم يكن خاصاً بفترة ما قبل الثورة ، وانما دخل شعر الثورة ومضى معه باعتبارها قضية من قضايا الشرق .

٣ — التيار القومي :

ولعله ابرز معالم شعر الثورة ، ويمكن أن نقول عنه بأنه المفهوم الذي جمع الشعراء ووحدهم على حب لغتهم والتغني بأمجاد امتهم ولم تهدأ فورة هذا التيار حتى وقتنا الحاضر .

وبالرغم من اهتمام الشعراء في العراق بالقضايا القومية فانه لايمكن القول بأن هذا الاتجاه بدأ واضحاً في الشعر العراقي الحديث في فترة تمتد الى العهد العثماني ،

وانما بدأت القومية العربية تدخل الشعر مغلفه بالروح الاسلامية والنزعة الشرقية وتوصلها بالعاطفة الوطنية والانسانية التي لم تبرح نتاج أغلب شعرائنا .

واذا اردنا ان نرسم صورة عامة لشعراء العراق أمكن أن نقول : ان شعراء العراق حملوا لواء الدعوة الى (المقاومة والتجمع) بكل امانة وشرف ، وانهم جميعاً كانوا مثلا طيباً للايمان بالعروبة ، ومع انهم شاركوا في مختلف الفنون الشعرية فقد كانت المقاومة والتجمع من ابرز معالم شعرهم[1] .

ويمكننا أن نلخص مظاهر القومية في شعر الثورة بالامور التالية :—

١ — الدعوة الى الوحدة : وقد لمسنا هذا الشعور فى الشعر العراقي قبيل الثورة ، ولكن سير الاحداث وعنفها جعل تلك الدعوة على نطاق واسع خلال الثورة وقلما نجد شاعراً من شعرائها بعيداً عن هذا الميدان .

٢ — التأكيد على الوجود العربي ، واظهار صور الماضي الزاهر كأسلوب في الدعوة الى حث الناس على القتال ، ومواصلة الجهاد لاحياء ذلك المجد .

٣ — التحسر واللوعة ، والشكوى والتبرم بالزمان الذي اخفى عظمة العرب بين طياته ، وجعلهم فريسة للمطامع الغربية .

٤ — القوة والعنف فى ابلاغ الفكرة القومية ، ودفع الخصوم والدعوة الى التزام اليقظة والحذر من الغرب .

٥ — تشابه الصور الفنية عند أغلب شعراء الثورة ماعدا الجواهري اذ سار في مسلك يقصر عنه الآخرون .

٦ — الترابط بين المفهوم الديني والنزعة الشرقية والآماني القومية ، فلم يعن الشاعر

(١) انظر : الأدب العربي الحديث في معركة المقاومة والتجمع ، أنور الجندي ص ٢٩٨ . مطبعة الرسالة — القاهرة - ١٩٥٩ .

بالفكرة القومية لذاتها أو بصورة قومية محضة ، وانما وجه عنايته الى عالم رحب يشمل الشرق باقطاره المسلمة .

أما الظاهرة الثانية التي نلمحها في شعر الثورة فهي : -

البطولة في شعر الثورة :-

من المسلم به أن البطل في التاريخ صورة نادرة للشجاعة وسرعة الخاطر ، وقوة الملاحظة ، ورمز للتضحية والايثار ، والاخلاق الرفيعة وغيرها من المناقب التي تمثلت في الفروسية العربية على مر العصور ، فرسمت لنا أخيلة الشعراء أمثلة نادرة من بطولات العرب في العصر الجاهلي وصدر الاسلام . وما زال تاريخنا الحديث يمدنا بنماذج جديدة للبطل ، وفي صور مختلفة باختلاف الزمان والمكان والمفاهيم الحسية للناس فى تصوير أبطالهم .

وفي مطلع القرن العشرين وخروج العرب من السيطرة العثمانية أضحى للبطل مقام رفيع ، وامثلة رائعة لظهوره في اغلب ميادين الحياة بصورة متسامية بعد أن كانت السلطات العثمانية تحاول خنق الحريات بشتى الوسائل ، وبالتالي لاتدع الظروف تسمح بظهور البطل بالصورة التي قدمها لنا خلال الحرب العظمى وحروب التحرير في مختلف ارجاء الوطن العربي ، وبخاصة في معارك العراق التي وضعت للبطل مكانة سامية في النفوس ، ورسمت لنا صورة فريدة في الشجاعة والوطنية والانسانية .

وخلال ثورة العشرين قدم الشعراء مجموعة من شعر البطولة حاوية على مجسمات رائعة لكفاح الشعب العراقي ، مصورة البطل في الحرب مثالا للفارس العربي ، اذ كان صراع يدور مع جيوش الحلفاء كلا أو منفردين في مصر وفى سورية

والعراق والمغرب العربي .

وابرز ما نلاحظه في الشعر العراقي خلال الثورة أنه لا يؤكد على الذات العراقية والنزعة الاقليمية ، بل كثيراً ما يظهر النموذج بصورة البطل العربي ، أي أنها صورة للبطولة العربية تتحرك على ارض العراق . وغير ملتصقة بالبطل المفرد بل بالمجموعة بأكملها الا في بعض المقابلات الفردية التي جسمها الشعر الشعبي بصورة أدق . كالاهزوجة الشعبية (يا ابن الحر ممشاك براضة) [1] .

ومما جاء في وصف أبطال العرب وبلائهم في الحرب قول أبي المحاسن :

قوم اذا شبت وغى ترمي وتقذف باللهب
خاضوا الحمام كأن في خوض الحمام لهم أرب
من كل أشوس مادعا داعي الوغى الاوثب
ويميل من شوق الى رعد المدافع والصخب

فنيل الاماني عنده في مواجهة الموت وخوض غمار الحرب . كما يبرزها في صورة متحركة بوثبات واندفاعات تشاهدها مع بريق المدافع ورعدها ، وضجيج الحرب وصخبها وهي صورة مرعبة مقرونة بشجاعة فائقة ، فيها ضرب وتلاحم ، ودماء تغطي الثرى ، ودخان يكسو الفضاء ، يقدمها فى الصورة التالية للهجوم :

اني نذير الانكليز فيومهم منا اقترب
يوم يفيض دم الطلى وجه البسيطة يختضب
شمس الضحى بدخانه وهي المضيئة تحتجب [2]

أما محمد حبيب العبيدي : فالبطولة عنده قلم يعلو صريره ، وسيف لا يعود الى

---

(١) وقد قيلت بحق بطل الثورة (شعلان أبو الجون) فى الرميثة لما أخرجه جماعته من السجن ساعة الثورة ، ومعناها : أيها الحر تبختر في مشيتك دون خوف من اعدائك .

(٢) انظر : ديوان أبي المحاسن ص١٧ — ١٩ .

غمده ، وهي صورة منتزعة من الشعر الجاهلي . فقصيدة (العرب الكرام بين السيوف والاقلام) تحمل في كل بيت منها آثار البطولة المتيقظة مع اللمسات الفنية البديعة في الاوصاف الحسية للبطل . كوصفه بالصقر والباز وغيرهـا من الممحات المشرقة ، يقول :

لقد آن للاقلام يعلو صريرها ... وللاسد أن يبدو جهارها زئيرها
سلام على العهد القديم واهله ... وما جددت بعد البزاة صقورها
وقفنا على التاريخ وقفة ناقد ... وقد أرشد العميان منا بصيرها

ثم يؤكد قوله :

اذا الشعر لم يوقظ من القوم راقداً ... فلا قذفت در القوافي بحورها

ويختمها بقوله :

سلام على ذكرى لابطال يعرب ... وقد صافحت أيدي الكمات ذكورها
أقاموا على حـد الحسام بناءها ... وقد اسست فوق اليراع قصورها
ولا خير للاقلام فيما تخطه ... اذا لم تعزز بالسيوف سطورها

ثم ينتقل الى الحديث عن البطولة التي نلمس فيها السرعة فى الكر الى جانب معطيات اخرى تزيد من اضفاء صفات مخيفة للصراع ، كالموت والمنايا والسيف مشيراً الى المدى الواسع بين البطل وهو ممسك بسيفه والكوكب الذي يشير اليه وهو زحل ليزيد من جلال الموقف وروعته خاصة في قوله :

عبرنا على ظهر المنايا الى المنى ... ورب أمان للمنايا جسورهـا
سنسعى الى عز نصيب كؤوسه ... ولو أن ايدي الموت كانت تديرها
ولو زحل من دوننا كان حائلا ... أشار له بالسيف منا مشيرها[1]

(١) الأدب العصري ص١٣٤ — ١٤١ وانظر : ديوان العيدي ص٨٥ .

فالطرد والضرب والطعن وصفات الفروسية الاخرى زودت الادب العـــراقي بموضوعات شعر الحرب في اغراضه المتعددة كالوصف والهجاء والتفاخر والحماسة . وهي صور لم تبرز بوضوح الا بعد عملية خلق البطل المفـرد أو الابطال بصورة جماعات ، والتي منها المبدأ أو العقيدة والهـــدف الذي يسعون الى تحقيقه وهو الاستقلال .

فالبطل بالمظهر السابق له اهميـه كبيرة في هز الوجـدان العربي في العراق خلال فترة الثورة ، وعليه تدور حياة العراق لانه يحارب بشجاعته الفائقة من أجل العزة والكرامة ، ولهذا نجده يدور ويلتف ويندفع وينسحب ويختبىء . ثم يظهر فجأة خلف الكمائن وامام المدافع ونيران الطائرات بسرعة خاطفة أو بثبات جرىء وبخاصة فى المعارك الفاصلة في (العارضيات) و (الرميثة) و (الرارنجية) أو في الهجوم على الباخرة (فار فلاي) او قلع السكك الحديد والهجوم على القاطرات التي تحمل المؤن لجيوش الانكليز .

يقول الفرطوسي في ذكر بطولات الثوار :

ثاروا فأرهبت الدنيا عزائمهم ... وزلزلوا كل حصن كان مرصونا

سلي (القطار) وكم في طيه عبر ... لو كان يعتبر الطاغي بماضينا

غداة أرعد فانهالت صواعقه ... وعاد بالزهو مغروراً ومفتونا

من ذا رماه فارداه بعزمته ... فعاد باليأس والخذلان مقرونا

واستنطقي النهر عن تاريخ (باخرة) ... جثت لديه بزدك النهر تبيينا

هبوا شباب العلى للفخر واندفعوا ... لساحة الحرب ابطالا ميامينـا

والتي منها :

شوس فراعنة في البطش قد عقدت على مواضيهم غرى مساعينا
تصبو لرعد الظبا شوقا نفوسهم وليس تحسبه الا تلاحينا [1]

والشعراء يحاولون - وهم محقون - ابداء صورة مضخمة لمنفعة جيوش الاحتلال وقوتها ، نجد فيها الالفاظ الحربية المرعبة : كالنار والرعد واصوات القنابل والمدافع وضجيج الحرب والصواعق ليبرزوا المقاتلين من العراقيين في صور تحمل كل معاني البطولة ، لاننا نعرف ان البطل ما هو (الا ذلك الفرد الذي تتمثل فيه رغبات وآمال مجموع من الناس ، ما البطل الا ذلك الفرد الذي يدرك باحساسه المرهف وذكائه الوقاد وعبقريته النادرة مطامح مجتمعة وأمانيه فاذا به في طليعة من يسعى لهذه المطامح ويكافح لتحقيق هذه الاماني ...) [2] .

وبتزايد ميادين الثورة ، والقبائل التي ساهمت فيها يتزايد عدد الابطال وتنتصر فكرة الخير على الشر ، فالبطل في ميادين الفرات هو نفس الصورة للبطل في (ديالى) أو (السليمانية) أو (تلعفر) عدا ما تضيفه عوامل الطبيعة للابطال في الشمال والجنوب من امور في الاستحكام وصلابة التحصين ومنعة الدفاع بين هذا وذاك ، وهي لاتعدو كون البطل انساناً يسعى لتحقيق مبدأ أو سيادة فكرة ، وتقديم عمل مثمر يجسد أماني العراقيين جميعاً .

وكما اختلفت تلك الامور في الواقع الذي يجري فيه الابطال اختلفت كذلك وتباينت طرق أدائها لدى الشعراء كل حسب اسلوبه ومبلغ توسعه في الخيال وتزوده من خصب القريحة .

فالجواهري يعد أجرأ الشعراء واغناهم خيالا وأصعبهم اسلوبا ، والبطولة في

---

(١) انظر : ديوان الفرطوسي ج ١ ص١٨٩ — ١٩٠ مطبعة الغري - النجف ١٩٥٧
(٢) انظر : مجلة (الآداب) العدد الاول يناير ١٩٥٨ .

شعره تتألق أكثر من غيره كقوله :

وللفرات نهضة	مشهودة لا تجحد
هاجوا بها لا لعب	فيما أتوا ولادد
غطارف من الظبا	صرح لهم ممرد
وفتية على المنى	أو المنايا احتشدوا
ناديهم الحرب وصهوة الجياد المقعد	
لو وردوا على ظما	بذلة ما وردوا
من كل مشتد الحصاة	رأيه مستحصد

والقصيدة طويلة ، والبطولة فيها موزعة على مناطق الثورة اذ اعطى لكل من (العوجة) وهي الرميثة ، ووقعة (القطار) و (العارضيات) حقها منها ، وفى وصف زادته روعة نغمة القصيدة وبحرها وسيل الالفاظ الموسيقية فيها كوصفه لحرب القطار .

وللقطار وقعة	منها تغز الكبد
ماتركوا حتى الحديد سلسلوا وقيدوا	
مروا وقد تحاشدت	عديدهم والعدد
كأنما لسانه	خطيب جمع يزيد
تكاد من هيبته	صمم الجبال تسجد

وفيها وصف للبطل بمفرده في صورة الزعيم الروحي مع الابطال المندفعين حسب توجيهاته ، وفي هذا الجانب يبرز لنا الترابط بين الابطال والقيادة من جهة والحماس الديني الذي يهدفون من أجله القضاء على الكفار من جهة ثانية وهو

مما يقوى جانب البطـــل ويزيد من تعلق الشعب به . فيقول الجواهري في محمد تقي الشيرازي :

محمـد وهل يرى مثلك يا محمـد
القحتها شعواء لا يطاع فيها السيد
يرون أقصى مطمع في الحرب ان يستشهدوا
كأنما ليست لهم نفوسهم والولد [1]

وللجواهري قصيدة اخرى في البطولة نظمها في أعقاب الثورة عام ١٩٢١ — وسنأتي عليها في الفصل الاخير — وكان عمره لا يتجاوز العشرين عاماً آنذاك . ومما جاء فيها :

لقد عظموا قدرا وبطشا وانما على قدر اهليها تكون الوقائع
وما ضرهم نبو السيوف وعندهم عزائم من قبل السيوف قواطع
اذا استنكروا طعم الممات فأبطأوا اتيح لهم ذكر الخلود فسارعوا

فالبطل عنده قوي الارادة شديد البطش ، ذو عزيمة أقوى من السيوف مضاء ، يندفع وراء صورة الخلود الذي يطمح اليه حتى وان لم يستعذب الموت ، كما انه شجاع يلج المعركة وسط النقع وبريق السيوف :

كمى مشى بين الكماة وحوله نجوم بليل من عجاج طوالع
تثور به للموت نفس ابيـة وتأبى سوى عاداتهن الطبائع
يطارحه وقع السيوف اذا مشى كما طارح المشتاق في الايك ساجع [2]

---

(١) انظر : ديوان الجواهري ١ ٩٨ مطبعة النجاح ١٩٢٨ . (بين الشعور والعاطفة) .
(٢) انظر : ديوان الجواهري ٢/٤٣٧ ـ ٤٤٢ ط ٥ مطبعة الرابطة سنة ١٩٦١ .

وشعراء آخرون توجوا شعرهم في معرض الثورة بافاضات من الشعور والعاطفة الجياشة تجاه الثورة والثوار ، وحاولوا ان يجعلوا من ابطالها حديث المجالس والاندية لتكون صورة ناطقة لتاريخ العراق ، وليزرعوا التقدير والاجلال للثوار في نفوس الشعب باسلوب شديد الاسر يشدهم الى الحوادث الخارقة التي تمثل البطل أو مجموعة من الابطال على مسرح الثورة يتمتعون برضا الشعب واعجابه ، والشاعر المبدع أو الفنان هو الذي يضع البطل وجهاً لوجه امام جمهوره وبما يثير مشاعرهم ويستفز عواطفهم ، ومسرح الثورة ابطاله حقيقيون لم تدخل الاسطورة جزءاً مما نظم في هذا الباب ، كما لا نجد فيه خوارق تبتعد كثيراً عن واقع الثورة ، بل كل ما في الامر ان الثورة كانت مصنعاً للابطال ومعدناً للبطولة التي كانت متأصلة في نفوس ابناء القبائل العراقية . لان التاريخ العربي يشهد للعراق بذلك وبسرعة تفاعل العراقيين مع الاحداث ، والشجاعة التي هي من أهم صفات البطل تكاد تكون موروثة لدى الطبقات المتمسكة بالتراث العربي في قبائل العراق . حتى في المواطن التي تستدعي الراحة أو الوقوف بعيداً عن التيار نجد الكرامة الوطنية تستفز روح البطولة في كوامن النفوس يوم يعز وجود الابطال فيها ، كما يصور ذلك ابو المحاسن اذ يقول :

ويسرني اني على ضعف القوى ... كنت القوي بموقفي وجهادي

قالوا الا من باذل او مفتد ... فبذلت نفسي حين عز الفادي(١)

وحينما ينفجر بركان الثورة تنفجر معه قرائح الشعراء لتعيش في ظلال

---

(١) ديوان أبي المحاسن ص ٥٤ .

الابطال وربما معهم في ساحات الجهـاد ، فيكون الشاعر فارســاً مجاهداً ، كقول البصير :

اما العراق فتحميه اسنتنـا وماؤه بدمانا اليوم مختضب
لتضمنن لنا استقلالنا مهـج تحت السيوف من الاحرار تغتضب[1]

وهو يحاول ان يستعمل ضمير (الأنا) للجماعة لأنه يتكلم عن نفسه في تلك المواقف المتأججة ، ولكنه باندفاعه وسوقه الحديث عن نفسه يجعل كل عراقي يعتبر نفسه هو صاحب الرسالة التي يحملها البطل ، وفيها تأكيد على الذات في عنفوانية رائعة كقوله :

ولسوف اكسر غل عنقي جاهدا ان لا اسلمها الى الاطواق
فاشق من أسرى على تكرما يد آسرى يوما تحل وثاقي
لأسددن الى العـدو شواردا كالموت ما لطريدها من واق
ولتعصفن به شقاشق منـبر تسرى من الاعماق للاعماق(٢)

والذي نعتقده في ولوج الشعراء هذا اللون في شعر الثورة هو وحدة الشعور القومي ، ويقظـــة العرب ، وانفتاح السبل لحرية الرأي والتحدي امام الشعراء بالاضافة الى وجود الحافز الديني الذي شجع الشعراء على المجاهرة بالرأي ومقارعة العدو بالحجج البليغة وحمل السلاح بوجهه . وهو عامل من عوامل صنع البطولة في الشعر وخلقها بصورة أكثر اتضاحا مما هي عليه في الواقع ، وقد تبنى هـذه الفكرة معظم شعراء العراق فأغنت الأدب بموضوع البطولة وطبعته بطابع القوة

---

(١) امالي الاتحاد ١ـ٧٧ والبركان ص ١٧ .
(٢) امالي الاتحاد ١ـ٧٧ .

وجعلت الشعراء يجدون عوامل الشهرة ماثلة فيه فتسابقوا في اظهار أبطالهم بما تصل اليه خيالاتهم من الصور البليغة .

غير ان تلك المبالغات لا تبعدنا عن القول بأن الدافع الوطني سهل مهمة الشعر ، وجعل قول الشاعر الوطنى أبلغ فى موضوع البطولة ، لأنه يخرج من الاعماق وينفذ الى الاعماق ، وهو ما يؤمن به الشاعر وقراؤه ومستمعوه . ولذا نجد بطولة الثورة ماثلة فى أغلب القصائد التي قيلت يومذاك .

وفي شعر البطولة تبرز كذلك معالم القومية والدعوة اليها في غاية الوضوح لأن البطولة في الشعر العراقي جزء من الشعور بالتجمع العربي ، ووحسدة المصير العربي ، وبناء الكيان العربي الموحد ، فالبطل لم يخرج من الصورة العربية المثلى للفارس الجرىء المعاند ، السديد الرأي ، وصاحب العفة والشرف ، لا يقتل طفلا ولا ينهر شيخاً ولا يؤذي اسيراً ، وهو بهذه الصفات يلتقي مع العاملين لخدمة الامة العربية .

وامتنا العربية التي اتخذت السيف رمزاً لكرامتها وعدته رفيق جهادها لم ينسه شعراء العراق حتى وهم يحملون أسلحة أشد فتكا منه ، باعتباره لازمة من لوازم البطولة ، والحديث عن السيف حديث عن الحرب في النصر والهزيمة يقول عبدالغنى الخضري :

وعلى نغمة السيوف طربنا فخطونا لها خطى المتهادى
فرددنا السيوف منكسرات لم يفدها تتابع الامداد
وسقينا السيوف فى ساحة الحرب مذاب القلوب والاكباد

تلك اعمالنا تدل بأنا أمة حية برغم المعادي[1]

فالجزع والخور والهزيمة من صفات الجيش المقابل للابطال ، والاقدام والفروسية والتقدم نحو الحرب بثبات وجرأة من شيم الفوارس ، وشبح الموت لا يرعبهم بل يطربون له لانهم يطعمونه أرواح الاعداء .

والمنية والقدر دخلا شعر البطولة وولجا فيه ، وربما كان هذا من عوامل الحماس المتزايد لدى المحاربين ، لان أغلبهم من السذج الذين رسخت في نفوسهم المعتقدات الشعبية ، وربما كانت نتيجة التفكير الديني في الحياة والموت والقدر والخير والشر ، والسير بمقتضاها قد رجح وعزز جانب البطولة في نفوس عامة الشعب وهم من الفلاحين . غير اننا مع سذاجة البطل وبساطة تفكيره لا نعدم فيه الروح القومي المتأجج فهو يقول :

اننا أمة تعد المنايا في سبيل العلا أحب الاماني

وتراها اقل ما عندها اقحامها النفس في غمار الطعان(٢)

كما تعكس شعور البطل الاتسامي واباءه وعزته حتى وان عاكسته الظروف وجعلته بعيداً عن حلبة السباق :

ولسنا ـ وان اخنى بنا الدهر ـ امة لوت جيدها للذل أو عفرت خدا

لكونه يحلم بمجد امته ليبعثه من جديد ، وهو يعلم ان المنايا ترقبه :

في سبيل المجد سرنا هكذا بخطى متئدات للحتوف

فتناول الشعراء لموضوع البطولة بالصور التي مرت وعرضه في الاطار الفني

---

(١) انظر : ديوان الخضري ص ١٣ . المطبعة الحيدرية ـ النجف ـ ١٩٥٢ م .

(٢) ثورة العراق الكبرى ـ مسرحية شعرية . عبدالحميد الراضي ص ١٨ .

والغرض الهادف مهد لمشاركة الجمهور وجدانياً في تقبل تلك الصور وطلب المزيد منها لانها تنسجم والظروف الموضوعية التي كان يحياها الشعب ويجد فيها الوقود الكافي للمرحلة الثورية التي ينطلق فيها ليكون ميدان البطولة زاهياً ورائعاً بعنف الصراع من اجل التحرر .

وربما يتخذ الشعر وسيلة من وسائل النهوض بالشعب فى عرض صور البطولة في اطر اخرى تجدد العهد وتحيي خواطر الناس وتبعث فيهم الامل بعد اليأس والقنوط فتجد البطل بعيداً عن الميدان غير انه يحمل افكاره وأهدافه مع ثقل القيود وظلمة السجون ، ففى السجن منطلق آخر للنضال ، وهو لم يكن وسيلة لاخماد الروح الوطنية كما يفهمه الاستعمار ، بل هو تحشد وتجمع ، واستجماع للذكريات وبعث للاماني ورسم الطريق الآتي لمرحلة اخرى من مراحل الكفاح، ولهذا فقد بحث الشعراء عن البطل فوجدوه فى السجن ، وربما كان البطل هو الشاعر نفسه ينظر من خلف القضبان الى شعبه وهو في السجن الكبير .

يصور ذلك محمد جواد الجزائري يوم اعتقل وجيء به الى بغداد تمهيداً لارساله الى المنفى بقوله :

وصنا كرامة شعب العراق وكنا لعلياه حصنا مصونا
وخضنا المعامع وهي الحمام ندافع عن حوزة المسلمينا
وجحفل أعدائنا الانكليز يملأ سهل الفلا والحزونا

ويمضي في استرساله بوصف سلاح الانكليز ، وكيف كان يقابله ثوار النجف الى ان يقول :

وارجلنا طوع قيد الحديد تسيل دما يستفز الرصينا

ولم نلو للدهر جيد الذليل وان يكن الدهر حربا زبونا
وما ضامنا الاسر في موقف أطعنا عليه الرسول الأمينا[1]

فالبطل هنا يستمد قواه من تمسكه بالدين الاسلامي والرسول الامين (ص) وهو مادة حية تضيف الى قوة البطل المادية قوة معنوية .

كما انه ـ اي البطل ـ ان لم يفضل الموت في سبيل المجد ، فالسجن لعلمه ان الحياة بلا عز هي سجن بذاته ، كما يقول الصافي النجفي في قصيدته (اما تاج واما سجن) :

سجنت وقبلي في العلى سجنوا اخي وآمل في العلياء أن يسجنوا الابنا
اذا لم نورث تاج مجد وسؤدد لأبنائنا طرا نورثهم سجنا[2]

يذكر سجن أخيه محمد رضا الصافي وفراره هو من السجن وذهابه الى ايران حيث مكث هناك ثماني سنوات . اما أخوه فقد بقي في السجن خمسة شهور . وقد وضع الانكليز المشنقة أمامه تهديداً له لانه جعل بيته مركزاً لمؤامرات الثورة ، ثم أطلق سراحه ، وقد نظم خمسة أبيات في السجن خاطب بها أحد زعماء الثورة وقد زاره فيه . وبعد خروجه أرسل الابيات الخمسة الى اخيه احمد الصافي النجفي وطلب منه تخميسها فخمسها في حينها وأعادها اليه وهي من قصيدة عنوانها (العزم واليأس) :

اننا في سوى العلى ما رغبنا نملأ الكون رهبة ان غضبنا

---

(١) العراق في دوري الاحتلال والانتداب ١/٤٠ . ذكر الشاعر في ديوانه المطبوع عام ١٩٧٠ انها قيلت زمن الاحتلال البريطاني في شهر رجب ١٣٣٦ على اثر الحرب النجفية .

(٢) انظر : حصاد السجن ص ٩٧ـ٩٨ .

ما جزعنا للسجن يوم غلبنا ان من رام مثلما قد طلبنا

لا يبالي ان سيق للسجن سوقا

نحن قوم عن العلى ما قصرنا حيثما دار كوكب العز درنا

واذا جار حادث الدهر جرنا رخصت عندنا النفوس فثرنا

نطلب العز والعلى لا لنبقى

ففي الابيات الاولى من التخميس نلاحظ صورة البطل غير قائمة بمفردها وانما مع بقية الابطال وهي صورة جامعة للثوار ككل تزحف جميعها في تضاعيف الاحداث من الحروب الى السجون، وفيها من روح عمرو بن كلثوم الشيء الكثير ومن نفس أبي تمام أشياء. غير ان البطل ـ وهو الشاعر نفسه ـ يظهر فجأة في الجزء الثاني من التخميس :

ان ذلي موتي وعزي حياتي ما انثنت للعدو يوما قناتي

انا فرع من دوحة المكرمات أنا من اسرة كرام أباة

لا يرون الحياة في الذل أبقى[1]

فالذل والعز والموت والحياة اضداد متنافرة الا أنها تتألق في معرض الحديث عن البطولة لأن الضد يظهر حسنه الضد، ولتقريب الانموذج من اذهان القراء بتلك الالفاظ أو الالتجاء الى التأكيد على حسب البطل ونسبه وشرفه وصفات قومه وفضائلهم لانها من مستلزمات البطولة.

والسجن أدب وادباء من سالف العصور الى يومنا هذا فيه الشكوى وفيه التذمر وذم الدهر، كما فيه طلب المغفرة والرحمة، واستجداء عطف الحكام، غير

(١) انظر : حصاد السجن ص ٩٧ـ٩٨ .

أن هذا ليس من البطولة في شيء ، انه انهزامية الشعر والشعراء وفصل الحاضر عن الماضي ، والنظر للمستقبل بغير منظارهم السابق . وعليه فان في السجن أدباً رخيصاً الى جانب الأدب الثوري الذي نحن بصدده وهو الذي يعنينا في هذا الباب قبل غيره من سقط المتاع .

والشعراء الذين ذاقوا مرارة السجن والأسر والنفي جعلوا نفوسهم ترخص امام مستقبل العراق فابوا الخروج من السجن مقابل منصب أو جاه أو سكوت عن الحق ووقوف على التل . فهم يرون السجن ملاذ الاحرار والابطال حينما تحل المصايب لكنه شبح الموت للخصوم . وهو رمز للشموخ والكبرياء الوطني كقول البصير :

قالوا سجنت لرأي كنت تلزمه ... فهل يعوقك ما عانيت من غصص

فقلت هيهات سجني لا يغيرني ... ان الهزار ليشدو وهو في القفص[1]

ففيه التفاتة جميلة إلى شدو البلبل وهو سجين قفصه غير أننا نعلم أن البلبل لا يدرك ما حوله ، فلربما اطلق من قفصه ثم لا يلبث أن يعود اليه مفضلا العيش فيه لتوفر غذائه من ساجنيه ، أما الشعب المسجون ، أو البطل المعتقل فهو يحمل تاريخ أمة لا يباع بثمن .

وعلي الشرقي ينظر الى البطل وهو في السجن نظرة متفائل ، لأن الدماء التي اريقت تشع من خلالها صفحة الامل المشرق ، وان الماضي القريب الذي دفنته قنابل الانكليز يعيش مستعراً في قلوبنا . والشرقي يغلف شعره الوطني بالرمز الذي لم يكن بارزاً لديه في شعر ما قبل الثورة لأنه يتصارع في نفسه تياران ، تيار

---

(١) انظر : الشذرات ص ٢٤ .

الوطنية المكلومة ، وتيار الأمل في كسب قوته من الوظيفة ، ولذا نجده لا يسير دائماً فى خط تتضح فيه معالم الثورة .

يقول مخاطباً (بلبله) :

أيها البلبل المعلق فى السجن ... سلام عليك من متفائل
ان يكن يومك المضرج بحراً ... هائجاً فالغد المؤمل ساحل
ويح دنيا الماضي التي سجنتنا ... دفنتها وغيبتها القنابل
سنغني غداً بمزرعة الآما ... ل دنيا ملأى بسجع البلابل [1]

اما أبو المحاسن وهو فى السجن فيعيش على الذكريات غير مبال بالقيود لأنه يطمح الى العلى وهو صعب المرتقى لا ينال بدون تضحيات والسجن ابسطها ، ففيه هجمة للتفكير بمصير الشعب وتخلصه من الاستعمار ، يقول :

أنا والنجم كلانا ساهر ... غير أني مفرد بالشجن
لا أبالي والمعالي غايتي ... وصل أشجاني وهجر الوسن
فى سبيل المجد منا أنفس ... رخصت وهي غوالي الثمن
ليس غير الشعب واستقلاله ... لي شغل فهو أضحى ديدني
ان اكن احسب فيكم مجرماً ... فانا المحسن عند الوطن
لست أشكو السجن بل أشكره ... فهو بالاخوان قد عرفني [2]

فالبطل يسهر ويفكر ويطمح ولا يرقد كما يرقد الآخرون بعد عناء طويل

( ) عواطف وعواصف ص ٥٠ .

(٢) شاعرية أبي المحاسن ص ٧١ .

لأنه ينشد راحة طويلة ينعم فيها الشعب باجمعه . وفي السجن يجد من يشاركه آلام القيود التي تتضاءل أمام اجتماع الأبطال .

ان تناول الشعر لموضوع البطولة بمثل تلك العواطف الثائرة التي وجدناها في النصوص التي مرت في البحث تدل على استيعاب الشعر لها لا لأنها وليدة ظروف آنية ادخلتها في القصيدة ، ولكن طبيعة المجتمع العراقي ونفسية الفرد العراقي كانت وماتزال لا تتقبل الظلم والطغيان ولا كل ما يشير الى القوة أو التسلط عليه ، ولهذا حينما نتوغل في دراسة تاريخ العراق لا نجد فيه فترة استقرار تمتد لفترة طويلة ، كما لا نعرف عن الشعب العراقي أنه رضخ لمشيئة حاكم جبار أو هادن حكما جائراً أو بات على ذل . فالثورة لم تكن مستبعدة في أي وقت يسوده الفساد وتعمه الفوضى . ولا بد للأدب أن يهتز للاحداث وتنعكس عليه طبيعة المجتمع ـ في أغلب الاحيان ـ وما يسوده من اضطراب أو تحفز للوثوب ، كما ان نفسية الفرد العراقي المشبعة بالروح العربية كانت تقف حائلا دون أي تسلط عليه ، وتعتبر القوى التي تعترضها أقل شأناً منها ، واعتزاز العراقي بمجد السلف الصالح وتمسكه بالتراث خلق بطولة موروثة في نفسه فترجمها في أدبه وجاءت مثالا حياً للبطولة العربية . فهو يعرض لنا صوراً ناطقة للحرب الدائرة في العراق ، فيضع احداث الثورة امامنا ، وينقلنا مع الابطال من ميادين القتال الى السجون والمعتقلات والمنافي ، وربما تتدخل المأساة أكثر في هذا الباب فترينا نهاية البطل في شعر الرثاء ، كرثاء زعماء الثورة الروحيين أو قادتها من رؤساء العشائر أو الشباب المثقف او الفلاحين .

وليس بدعا في تاريخ الادب العربي ان نرى الشعر العراقي تتزاحم في ثورته

صور البطولة لأنه ملىء بالمشاهد المثيرة عبر العصور غير انها تختفي في فترات لتظهر في اخرى ، وربما كان شعراء العراق ينظرون الى تلك الصور فتعجبهم ، وهذا الاعجاب بالعرض الفني يلتحم معه اعجـــاب بالشجاعة النادرة التي يرونها تتمثل امامهم على مسرح الثورة .

وقد يحدث ان يكون البطل هو الشاعر نفسه ، وكثيراً ما رأينا مثل تلك الحالة فى الشعر ، وبهذا تجتمع ثلاثة امور لخلق البطل في القصيدة ، ثقافة الشاعر واطلاعه على أدب الحرب فى العصور المتقدمة ، وكونه هو الشخص المتحدث عنه ، وصدق الشعور الوطنى المغذي لالهامه ـ وقد مر علينا في البحث ما يثبت ذلك في شعر الجزائري وابي المحاسن ومحمد باقر الحلي واليعقوبي وغيرهم فقد كانوا ابطالا في الميدانين السياسي والعسكري ، يقابلهم ابطال حملوا اقلامهم بوجه المدافع من امثال البصير والهنداوي والعلاف والشبيبي ، وآخرون حملوا رسالة البطل الى امته من أمثال الجواهري وبحر العلوم والفرطوسي والخضري والعبيدي والبنـــاء والصافى النجفى واغلب شعراء العراق الذين لم يدركوا الثورة بل شاركوا في احياء ذكرياتها ، او الذين اخرجتهم سلطات الاحتلال من العراق قبيل الثورة ، او من كانوا بعيدين عن ميادينها ولم تسنح لهم فرص الاشتراك مع الثوار في الحرب . غير ان الجميع كانوا مع الثورة سواء بالدم او الفكر او بهما معاً ولكل اثره الفعال في استقلال العراق ورفع اسمه عالياً بين الامم ـ وان قامت الثورة في عصر يكون فيه السيف ـ اي القوة ـ هو الحكم الذي تحتكم اليه الشعوب في استرداد ما سلب منها :

فلا خير للاقلام فيما تخطه اذا لم تعزز بالسيوف سطورها

لأن الفكر بمفرده لا يجدي نفعاً مع الاستعمار ، ولا يمكن الشعب من نيل حقوقه اذا لم يعززه السيف ، كما ان السيف لا يعمل الا في يد البطل ، ولهذا اقترن ذكره في شعر الثورة بالبطولة وكان لازمة من لوازمها ، كقول الشاعر عبدالحسين الملا احمد :

يا شعب خذ بالسيف حقك فالورى تخشى المحارب
لغة السيوف يهابها الباغي وترهب كل غاصب[1]

ويشير الشاعر محمد باقر الحلي الى اننا قد حاربنا اعداءنا بقوة السيف وفعل الكتاب المجيد واستطعنا ان نردع قيصراً وكسرى بمثل هذا السلاح :

حملنا وفي اليمنى الحسام لمن طغى علينا ومنشور الهداية في اليسرى
حملنا فلم تمنع بقيصر قوة وما كان قد اغنت فوارسه كسرى[2]

والبطل فوق هذا وذاك يحارب من اجل الخير وفكرته هي عين فكرة الجمهور لذلك لم يكن الاستماع او الاستمتاع بقراءة الشعر للتسلية او الاطلاع بل لتأكيد الفكرة التي يحملها البطل وجمهوره وجميعهم :

من العرب الألى رفعوا وشادوا صروح علائم فوق الضراح
اذا غشى الكريهة ليل نقع جلاه سنا وجوههم الصباح[3]

والبطولة الغاربة لا تغيب أشباحها عن سوح الكفاح ، وتغمض العيون عن مرآها وهي تحلق في اجواء الفضيلة والخير والسلام الابدي بعد عناء الحياة . ولهذا

---

(١) انظر : ذكرى الثورة العراقية ص ١٠ .
(٢) انظر : شعراء الثورة العراقية ص ٨٢ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٢٤ .

اشاد الشعراء بفضائل زعماء الثورة وبطولاتهم التي خلدتهم في النفوس ، فكان فقد بعضهم وهم في عز الكفاح يجعل النفوس في شوق وتحسر عليهم ، كفقد الشيرازي الذي كان نكبة للبطولة العراقية والابطال تصطلي بنار الثورة ، فكان بكاء وندبة في كل مكان .

وفي ذلك يقول ابو المحاسن معدداً صفات البطل الراحل :

للحرب والمحراب من عزماته ... بطل ومنه القائم المتهجد
كانت سهام الليل من دعواته ... لا تخطىء الاعداء حين تسدد[1]

وذكر الحرب مقرون بذكر الصفات الروحية التي غلفت حياة البطل نجدها ماثلة في اغلب أبيات القصيدة ، ففيها التقوى والصلاح والتدين كما فيها الحماسة والثورة التي تشهد للشيرازي بالسبق وتقدمه على المجاهدين في طريق الثورة .

أو قول اليعقوبي :

ربع الحمى وخلا العرين المسبع ... وهوى من الدين العماد الأرفع
ذهب الذي كل الحناجر فوقه ... معقودة وله تشير الاصبع

ومنها :

يا ناهضا نحو الكفاح بأمة ... كانت الى استقلالها تتطلع
أيقظتها فتنبهت بعد الكرى ... تقتاف قائدها العظيم وتتبع[2]

فهو الأسد في لجة المعركة ، وعماد الدين في الاجتهاد والحفاظ على روح الاسلام ، وقائد نهضة العراق بعد طول رقاد .

---

(١) ديوان ابي المحاسن ص ٤٠ ـ ٤٤ .
(٢) شعراء الثورة العراقية ص ٤٥ .

وما قيل عن الشيرازي قيل عن الخالصي ـ من علماء الكاظمية ـ الذي نفته سلطات الاحتلال الى ايران فعاش فيها بطلا ، وعاد الى العراق نعشاً يضم علائم البطل ، وقد ذكره كثير من الشعراء ، وبكاه الشعب العراقي بأسره يوم احتشد في استقباله محمولا على خشبة الموت .

وفي ذكر البطولة الراحلة احتشدت ذكريات الثورة في قصائد الشعراء سواء في أيامها أو في ذكرياتها حتى وقتنا الحاضر حينما نودع ما بقي من قادة الثورة الذين لعبوا دوراً مهماً في توجيه المجاهدين كسعد صالح وجعفر ابي التمن ومحمد رضا الشبيبي وعبدالواحد الحاج سكر وشعلان أبي الجون وغيرهم من رجال الثورة .

وبعد تشتت أبطال الثورة في المنافي خارج العراق ، واختفاء بعض اصوات الابطال وراء القضبان وخلف الحدود واطباق الثرى على البعض الآخر يخيم على العراق البؤس والعبوس ، ولكن نار الثورة تبقى في النفوس وفي نفثات الأقلام ، وتبقى ومضات من الشكوى والمطالبة بعودة البطل الى داره وعرينه .

ثم يعود الاسرى من هنجام فيقف عبدالرحمن البنـــاء في استقبالهم مع الشعب قائلا :

أنت تهتز عجبا (باربالا) وترفل في غلائلها دلالا
أنت بالعز باخرة المعالى تقل المجد فخرا والكمالا
ومن هنجام قد حملت الينا رجالا لا تقيس بهم رجالا
وقد راحت تطير بهم شعاعا وتعقد فى النجوم لها احتفالا
باشراف العراق أنت تهادى وباستقلاله ترجو المنـالا

وقد كرهوا المقام بدار ذل كما كره الأبي الاحتلالا[1]

واستقبال البطل بمثل تلك الحفاوة يدل على الحب العميق الذي يكنه له الشعب وهذا دليل كونه يمتلك صفات البطولة التي بها استطاع أن ينتزع استقلال العراق من المحتلين .

وهناك الى جانب ما ذكرناه من الابطال اعلام آخرون سجلوا مفاخر كثيرة خلال الثورة ، غير أن النكبة التي حلت بالعراق بعد تشكيل الحكومة الفيصلية أثر اخماد انفاس الثورة حالت دون الالتفات الى مآثر الابطال ، ولكنها بقيت تختلج في الصدور :

نسيت مفاخرهم فلم ار مخلصا في ذكر ثورتهم صريحا قد نطق
فلذا احتفلت بذكرهم صمتا لأن لم يبق غير الاحتفال على الورق[2]

ان المجموعة التي لدينا الآن حول هذا اللون من أدب القوة والبطولة تدل على أن الشعر العراقي لم يتخلف عن مواكبة الركب العربي في معركة المصير الواحد لأن الثورة العراقية جزء من الثورة العربية الكبرى في مصر والشام والحجاز والمغرب العربي ، وهو حتى وان اشغلته احداث العراق في الاشادة ببطولاته لا ينسى معارك القومية ولم يتأقلم في نطاق القطر العراقي ، بل كانت تلك البطولة التي وردت في الشعر العراقي تعد رجال العراق أبطال العرب وهم يدافعون عن لغتهم ودينهم وتراثهم ، دون أن نجد في هذا الشعر اشارة الى الخضوع أو

(١) انظر : شعراء الثورة العراقية ص ٤٧ .
(٢) انظر : الحقائق الناصعة ١/ : .

الاستسلام اللهم الا شعر الشكوى الذي لا يدل على سلبية في الرأي ولكن اقرار بقوة الخصم بعد عنف الصراع وتقلص ظل البطولة امام بطش الانكليز .

ولدى الامعان في الشعر المنوه عنه تتجلى أمامنا بعض المظاهر الخاصة وهي :

١ــ وضوح الفكرة القومية والنزعة الانسانية فى أغلبه .

٢ــ اظهار الشعب بصورة عامة فى مظهر البطل بحيث تتلاشى أمامه بطولات الافراد وتفنى في الجماعة .

٣ــ اقتران المعتقدات الدينية في عملية خلق البطل .

٤ــ لم تسيطر عليه الروح الملحمية القديمة في الهروب من الحياة الى الخيال واللا معقول والخوارق لانه مرتبط بواقعية التاريخ العربي والنضال من اجل اسعاد المجتمع ونيل حريته .

وبالاضافة الى ذلك فشعر البطولة ليس مقطوع الصلة عن أدب العرب في القرون الماضية لاننا نلمح فيه ـ أو قل في بعضه ـ لمحات من المحاكاة والتقليد التي لم يخلص منها أغلب الشعراء ، سيما ونحن نؤرخ لفترة قريبة الاتصال بأدب الفترة المظلمة الذي لم ينطلق من قيود الماضي البعيد .

الفصل الرابع

ذكريات الثورة وامتدادها في الشعر

سجلت الثورة خاتمتها في العشرين من تشرين الثاني[1] ـ أكتوبر من السنة نفسها ١٩٢٠ م ، وبذلك طويت صفحة من صفحات الكفاح المسلح انتهت بعد ستة شهور من الصراع البطولي الذي خاضه الشعب العراقي ضد جيوش الاحتلال الانكليزي ، فكبدوها خسائر فادحة رغم بداءة السلاح العراقي ، وعدم تنظيم الجيش اذ كانت المقاومة شعبية قبلية لا تعرف التكتيك الحربي . ولهذا فلا عجب ان تكون نتائجها الخراب والدمار لمناطق واسعة من العراق رغم انتصار المعنويات ـ كما وقد قدرت اصابات الجيش البريطاني بـ ٢٢٦٩ اصابة منها ٤٢٦ قتيلا و١٢٢٨ جريحاً و ٦١٥ مفقوداً ، اما خسائرهم المادية فقد كانت تناهز العشرين مليون باون

(١) وكان آخر بلاغ حربي اصدره المندوب السامي عن الثورة هو البيان الصادر في ١٩٢٠/١١/٢٦ وهذا نصه : « اذاع قائد الفرقة الـ ١٧ بين أهالي لواء الشامية ان قبائل تلك المنطقة قد سلمت باجمعها واعطت عهداً عن عزمها الصادق على انجاز الشروط التي فرضت عليها ، وان العداء الذي كان قائماً في تلك المنطقة قد انتهى من تاريخ هذه الاذاعة ، ويرغب الاهالي الرجوع الى بيوتهم واستئناف اعمالهم بسلام ..الخ .. »
انظر جريدة العراق عدد ١٥٠ في ١٩٢٠/١١/٢٧ .

الحاج سكر ، وغثيث الحرجان ، وشعلان (ابو الجون) والشيخ ضاري ، وبعض قادتها من امثال محمد رضا الشبيبي ومحمد باقر الشبيبي ، والرجال الذين ساهموا فيها كسعد صالح ، وغيرهم .

٣ ـ الآثار التي خلفتها الحرب ، والمأساة التي حلت بابناء الوسط الفلاحي الذين تحملوا العبء الاكبر في القتال ، وما رافق حياتهم طوال سني العهد الملكي من بؤس وحرمان ، وتحكم الاقطاع .

٤ ـ الحملة على النظام السياسي ، ومقاومة الاستعمار ، مع الاشارة الى الاحداث السياسية المرتبطة بالثورة .

اتجاهات الشعر :

وقبل أن نخوض فى هـــذه الموضوعات ينبغي علينا أن نلاحظ اننا امام اتجاهين في شعر ما بعد الثورة ، فقد اختلف الشعراء فى طريقة التعبير والاداء ، فقسم منهم كان ذاتياً لا يخرج عن ذم الدهر والشكوى منه ، وذكر آلامه وما كان ينتابه من وساوس وهموم . وقسم آخر خرج عن هذا النطاق الى توجيه صرخته الى قومه وابناء وطنه مستغيثاً بهم ، طالباً نجدة الوطن المهيض ، فالشرقي والبصير وابو المحاسن كانوا من القسم الاول ، اما الجواهري وبحر العلوم والشبيبي والعلاف والبناء فكانوا من الجيل الذين وضعت فيه الثورة امانة الجهاد ، وشرف الدفاع عن الوطن .

ومن الامور التي برزت في المجتمع العراقي ، ظهور طبقة جديدة استأثرت بالحكم ، كما انزوت رجالات الثورة او ابعدت عن العـــراق ، والى جانب ذلك

ظهرت طبقة الاقطاعيين ، ووجود المستشارين الانكليز في الوزارات المتعاقبة ولد ضراما في النفوس ونفوراً من السلطة الحاكمة رغم ما أذيع عن وطنيتها .

وجميع تلك الامور بدت بصورة واضحة في الشعر ، فكانت اتجاهاً جديداً في النضال من اجل الحرية ، والدفاع عن الكيان القومي والوطني الذي كانت تهدف اليه الثورة .

وقد لجأ الشعر الى تحذير وتنبيه هـذه الطبقة الجديدة التي استأثرت بالحكم وكانت عوناً للاستعمار في تثبيت سيطرته وتقوية سلطانه ، عارضاً امامها صـوراً قائمة من الامس القريب ، مذكراً اياها بوعوده وزيفها ، لكي لا يقعوا في حبائله مرة اخرى . فكان دور اغلب الشعر ايجابياً فعالا في معركة اثبات الوجود القومي والوطني وبناء كيانه . فتهكم بالمستعمر في كل ما ادعاه من حب السلام وتوطيد دعائم للامن والاستقرار في العراق ، ولجأ الى كشف ألاعيبه ونواياه مهما حاول في تستره عليها ، وعطفه على الحكم الجديد .

موقف الشعر من حكومة فيصل :

وقد اشرنا في الفصول المتقدمة الى أن مشاعر العراقيين كانت مع الثورة العربية في الحجاز بصورة عامة ، ولهذا وجدنا اغلبية الشعب العراقي ، لا سيما في النجف وكربلاء وبغداد قد صوتت خـلال عملية الاستفتاء الى جانب العرش الهاشمي . وقد تردد اول الامر اسم الامير عبدالله كمرشح لعرش العراق . ولكن مجرى الاحداث ، وظهور الازمة في الحكومة السورية بين العرب والفرنسيين ، وطرد فيصل من سوريا اضافة الى حنكة الانكليز وتجربتهم في هـذا الموضوع

جاء في صالح فيصل بعد ان عرف بصداقته لهم . ثم ان المرشحين الآخرين لعرش العراق كانوا موضع شكوك من قبل السلطات المحتلة ، فالسيد طالب النقيب لا يؤمن جانبه ، وابناء الشيعة كانوا اول من اشعل نار الثورة ضد الاحتلال ، وعبدالرحمن النقيب رغم موالاته التامة للانكليز لن يغير من الامر شيئاً نظراً لكبر سنه ، ثم اعطاء العرش لاحد المرشحين من المنطقة الشمالية يضفي على الحكومة المستقبلة نوعا من الارتداد نحو العثمانيين ـ كما ظهرت اسماء اخرى خلال عملية الاستفتاء والتفكير بالعرش[1] .

واخيراً تم اختيار فيصل باغلبية كبيرة بعد بذل الحكام العسكريين الانكليز مساعيهم في انجاحه . وقد كان فيصل في تلك الاثناء في لندن يوالي اجتماعاته بالمسؤولين حول مستقبل العائلة الشريفية ، وتوزيع العروش عليها .

وصل فيصل مدينـــة البصرة في الثالث والعشرين من حزيران ١٩٢١ ، وقوبل بحفاوة وترحاب شديدين من لدن سكان البصرة . ثم تابع سفره الى بغداد ، وكانت الاستقبالات تجري لسموه في المدن والقصبات التي مر بها فاستقبله الشعب في بغداد في التاسع والعشرين من حزيران استقبالا حماسياً[2] .

وقد ذكر برو كلمان انه لم يستقبل غير استقبال متحفظ فانزل في المدن الثانوية التي مر بها في طريقه الى العاصمة .[3]

ولعله من المفيد ان نعرج على الشعر الذي استقبل به فيصل ، لنعرف الاثر

---

(١) انظر : محاضرات عن العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ـ عبدالرحمن البزاز ص ٢ وما بعدها .

(٢) أنظر : الثورة العراقية الكبرى ـ الحسني ص ١٨

(٣) تاريخ الشعوب الاسلامية ط ؛ ص ٧٨٥

الذي خلفته الثورة في نفوس الرجال، والآمال التي عقدوها في العرش الهاشمي. فقد وقف الزهاوي مرحباً بالملك بقوله :

انا محيوك فاسلم ايها الملك ومصطفوك لعرش شاده الفلك[1]

وفيها تنويه الى اختيار الشعب لفيصل، غير ان الزهاوي لم يكن في مثل هذا الاندفاع في تأييد الملك معبراً عن حقيقة ما يجيش بخاطره نحوه الا من ناحية اخرى وهي انه تصور ان العهد الجديد سينصفه، ويرفعه الى المكان اللائق به كشاعر أمة، ومفكر كبير ـ ولهذا لم يترك مناسبة من مناسبات التكريم للملك الا وأكد البيعة له. فمن قصيدة بعنوان (العراق يرحب) قال :

عج العراق مرحبا بك ايها الملك الجليل
والرافدان كلاهما لك ماؤه شكر يسيل
اما نهار الناس فهو وقد قدمت به جميل
حياك اهل الرافدين وفي حيالهما النخيل
واطاف شبان العرا ق وشيبه بك والكهول
الوافدون لهم هتاف حين تنظرهم يطول
سيعود منك الى العرو بة ذلك المجد الاثيل
بغداد بعد القائمين بعزها أم ثكول
فاعد لها الشرف الذي هو في نفوس القوم سول[2]

---

(١) انظر : تاريخ القضية العراقية - البصير ٢/ ٢٥٤ بغداد ١٩٧٤
والقصيدة كاملة في جريدة العراق عدد ٣٣٣ في ١٩٢١/٧/٢

(٢) انظر : جريدة العراق عدد ٣٣٢ في ١٩٢١/٧/١

وهي قصيدة طويلة ملأها بالذكر الحسن ، وحشد فيها كل ما يعرف عنه من المحاباة والتملق لمن يؤمل فيه غاية شخصية .

ولهذا لا غرابة ان يتقلب الزهاوي فى موقفه ازاء فيصل حينما خابت آماله في حكومته فيفكر في الامر ، ثم يبدأ دورة جديدة يدير ظهره خلالها الى الحكومة عله يظفر برضا الشعب ، ويظل يسخط ويتبرم ويشكو :

لم أر فى عمري على طوله ... عهداً كهذا العهد منحوسا
أضاع فيه الناس من جهلهم ... عزاً لهم قد كان قدموسا
ما نال في بغداد آماله ... الا الذي قد كان جاسوسا
هناك مرؤوس غدا رائسا ... ورائس قد صار مرؤوسا
وحاز وغد منصبا عاليا ... بحيلة تعجز ابليسا
قد نالها فاختال مستكبرا ... كأنه صار رعمسيسا (١)

والقصيدة على ما فيها من غرض معروف مسبقاً لدى الشعب لا تحوي اي لون من الوان الفن فالالفاظ بسيطة ، والتراكيب ليست جيدة ، والمبنى بصورة عامة جسد بلا روح . وهي لا تحوي من الشعر غير الوزن والقافية لكونها تعبر عن فكرة واقعية باسلوب علمي اشبه ما يكون بخطبة وعظية .

على أن الحديث عن الشعر الذي قوبل به فيصل منذ وصوله البصرة حتى استقراره فى بغداد لا يعني غير الشعور العربي السامي الذي ابداه العراقيون تجاه رجل من رجالات العرب جاءهم على اعقاب ثورة دموية ، وهم قد أملوا فيه الخير لهذا الشعب المنكوب اثر تلك الثورة التحررية .

---

(١) انظر : ديوان الزهاوي ص ٣٧٤

غير أن بعض الشعراء ـ ومن قبيل المغالاة ـ ذهبوا الى اكثر من هذا حينما اعتبروا الثورة وما رافقها من جهاد لم تقم الا من اجل البيت الهاشمي ، وقد فدوه بانفسهم واموالهم . لانهم لا يريدون غير حكم ديمقراطي سليم ليس فيه ضغط على الفكر ولا خنق للحريات .

من ذلك قصيدة كاظم الدجيلي « حقق مظنته مدى العمر » :

حيث علاك طلائع البشر ... يا مالكاً للنهى والامر
جئت العراق وفيك رغبته ... حقق مظنته مدى العمر
وانهض به للمجـد مرتقيا ... هام الفراخ وذروة النسر
يبغى الحيـاة بظل دولته ... من غير ما ضغط على الفكر
ان العراق وانت سيده ... يأبى الحياة بجانب الضر
ان العراق فدى النفوس لكم ... فافدوه يا دمتم من الاسر
نادى لكم من قبل دعوتكم ... ودعا لكم في السر والجهر
عقد العراق عليك خنصره ... فاعقد له تاجاً من النصر
وادر سياسته على نمط ... يأت اليك بطيب الذكر [1]

وكانت جريدة العراق المعروفة باتجاهها الاستعماري قد احتشدت صفحاتها بالاشادة بفيصل ، ومن الطريف في هذا الباب ان قدوم فيصل صادف مرور سنة كاملة على اندلاع نيران الثورة ، غير ان صحافة العراق لم تتطرق اليها بشيء يستحق الذكر فكأنما ذهبت تلك النفوس البريئة ادراج الرياح .

غير ان الثورة التي اظهرت بوضوح القوة المعنوية التي كان عليها الثوار ،

(١) انظر : جريدة العراق عدد ٣٢٩ في ٢٨ـ٦ـ١٩٢١

ومدى تماسك القوى الوطنية خـــلال الازمات ظلت كما هي من حيث الاتحاد واليقظة ازاء ما يجري في العراق من تبدل في المظاهر السياسية دون أن يغير شيئاً من الواقع الاستعماري الذي جاء بثوب جديد هو الانتداب . وان الملك الذي اختاره العراقيون وهلل له الانكليز لم يكن في الواقع سوى حارس امين لاصدقائه الحلفاء . ولهذا فان كبار الشعراء ومن بينهم الرصافي وقفوا موقفاً حازماً بوجـــه السلطة الحاكمة وفضحوا أساليبها في كبت الحريات وتزييف الانتخابات .

يقول الرصافي :

لنا ملك وليس له رعايا ... وأوطان وليس لها حدود
واجناد وليس لهم سلاح ... ومملكة وليس لها نقود
أيكفينا من الدولار انا ... تعلق في الديار لنا البنود
وانا بعد ذلك في افتقار ... الى ما الأجنبي به يجود
كلاب للاجانب هم ولكن ... على أبناء جلدتهم اسود [1]

وهو في هذا يفضح سياسة فيصل ، ومعاونيه من اعوان الاستعمار الذين ربطوا مصيرهم بالانكليز الذين نهبوا خيراتنا ، وتفضلوا علينا باليسير منها .

وموقف الرصافي من فيصل لم يكن بالجديد ، فقد كان على اختلاف كبير والاسرة الهاشمية قبيل الثورة ، ويدافع من ايمانه بالدولة العثمانية ، وقد أشرنا في صفحة سابقه الى هجائه للحسين بعـد اعلان الثورة العربية الى جانب الحلفاء . ولا غرابة ان يكون موقفه من فيصل موقف الند للند .

---

(١) انظر : جريدة الاهرام ٢٧ نوفمبر ١٩٢٢

وقد أورد مصطفى علي[1] الحديث التالي فى مهرجان الرصافي فقال :

« وفي مأدبة اقيمت بدار الامارة دعى اليها الرصافي فيمن دعوا فأنشـــد أبياتاً ، ولعله أراد أن يفهم الأمير القادم ان الشعب العراقي لم يبد سروره بمقدمه ، ولا أظهر حفاوته به الا لأنه يؤمل فيه أن ينقذه من الاحتلال الاجنبي البغيض ، وان يعمل مخلصاً لرفع مكانته ، واعلاء شـأنه ، وأن يبذل ما في وسعه من جهود صادقة فى سبيل تقدمه ورقيه ، ومن تلك الأبيات :

أفيصل أنت فيصل كل حكم	نريد به تقدمنا السريعا
نريد به لنـا ملكا كبيرا	وعزا في مواطننا منيعـا
لعرش عونقت فيه المنـايا	وسابقت الدماء له الدموعا
بيوم ظلت الطعنات فيـه	تعج على الثرى منا فجيعـا
حكى ورد الدماء به فجيعا	فمثل في المصيف لنا ربيعـا
فمرنا بالبدار الى المعالي	فلست ترى بنا الا مطيعا[2]

وهو يشير بذلك الى الدماء التي اريقت خلال الثورة من أجل بناء مجـد للعرب في العراق ، وقد بين موقف العراقيين من الملك الجديد في خيره وشره ، وستقدم له الطاعة اذا أطاع نداء الوطن .

ولو قارنا شعر الرصافي فى فيصل وشعر بقية الشعراء الذين استقبلوه لخرجنا بالنتيجة التالية : ان الرصافى يعرف مواطن الضعف في شخصية فيصل ويتذكر جيداً ماضيه ، غير أنه اراد ان يذكره بما يريده العراقيون من الحـكومة . « غير

---

(١) انظر : مهرجان الرصافي ص ٧٦

(٢) المصدر السابق ص ٧٦

ان الآخرين وقفوا مهللين مباركين وقد تغاضوا عن اخطاء فيصل وظلوا يعتبرونه بطل الثورة العربية الكبرى ورمزاً للوطنية »[٢] . كالذي وجدناه في شعر الزهاوي ومحمد باقر الحلي وابراهيم الراوي، وغيرهم من الشعراء الذين حفلت بشعرهم جريدة العراق في اطار الترحيب بفيصل .

والذي نود عرضه هنا ، هو ان الشعراء لما استقبلوا فيصلا أرادوا أن ينهوا المرحلة التي كان فيها العراق ، ليضعوا حداً للتمزيق الذي فرضه الانكليز على الشعب في اخريات أيام الثورة بعد ان استمالوا بعضاً من رؤساء العشائر وقدموا الاموال الطائلة لبعض العوائل المعروفة في بغداد والبصرة والحلة لاستمالتهم وتحشيد القوى المضادة للثورة ، وقد نجحوا في مسعاهم الى حد كبير ، مما جعل الثوار يقفون مواقف دفاع ، ثم استسلام في النهاية ، فكان لا بد من حل للازمة ، فسارع بعضهم الى استقبال فيصل علهم يجدون فيه الزعيم المنقذ ، ولهذا فالشعر في هذا الموضوع لم يعكس نوازع الامة بمختلف طبقاتها ، ولم يقدم لنا الصورة الكاملة لوجدان الامة جميعها .

وحينما تمضي الايام ، ويختفي رجال الثورة ، ويظهر في حكومة العراق رجال لم يعرفوا بماض وطني ، تنسى ذكريات الثورة على الصعيد الرسمي ، فقد حاول الحكام التخلص من كل أثر للحكم الديمقراطي الذي نص عليه الدستور ، ولكنهم جوبهوا بقوة الشعب يسندها الشعراء ويعرضون صورها امام الجماهير ـ فالشعراء لم يسكتوا ولم يهادنوا ، بل التزموا قضية الشعب ، وصرخوا بوجه الحكام

---

(٢) الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ـ عمر الدقاق ص ٣١٤ ط ٢ ـ دار الشرق حلب ١٩٦٣ .

مبتدئين بفيصل الذي توجوه على عرش العراق لرعاية مبادىء الثورة التي اختفت باختفاء رجالاتها .

يقول رشيد الهاشمي مخاطباً الملك والحكومة في احد الاحتفالات التي اقيمت في الكاظمية في قصيدة اسماها (عتاب من نار) :

يا لابس التاج تاج الملك هنيئا ان كنت حقا الى استقلالنا جيئا
نحن الذين بنينا من جماجمنا عرش المليك وثبتناه تثبيتا
شيخ الوزارة ميت لا حراك به ان جئت مجلسه تلقاه تابوتا [1]

وكثيراً ما تقرن مساوىء الحكم الجديد بالثورة التي ضحى من أجلها الشعب وقدم الدماء الزكية ، فأوجد هذا الحكم الذي انحرف بمبادئها وأدار ظهره للثوار .

ويبرز في هذه الفترة شعراء كبار في اسلوبهم ثورة ، وفي مواقفهم ثبات ، وفي رأيهم عناد من أمثال محمد صالح بحر العلوم ، ومحمد مهدي الجواهري ، ومحمد باقر الشبيبي ، وكذلك معروف الرصافي وان كان يختلف عنهم في طريقة المجابهة والتحدي ، لأن الشبيبي وبحر العلوم والجواهري كانوا يعيشون مع ذكريات الثورة وظلوا مشدودين اليها بعنفوانية تزيد منها الاحداث ضراما ، بينما لم يذكر ذلك الرصافي الا نادراً ، ومسألة الرصافي لا زالت تثير امامنا اكثر من سؤال حول اغفاله ذكر الثورة ، ولعلنا نلمح ضعفاً في مبدئه السياسي أحياناً ، وبخاصة في قصيدته التي قالها في رثاء الشيخ مهدي الخالصي احد رجالات الثورة :

---

(١) انظر : رجل الشارع في بغداد ـ محمود العبطه ص ١٧٧ وقد وردت في ديوانه ص ٧٠ والبيت الاخير غير وارد في الديوان ، وانظر : ترجمة الشاعر في « من شعرائنا المنسيين » عبدالله الجبوري ص ٤٥ دار الجمهورية ـ بغداد ١٩٦٦ .

انا ابكي عليه من جهة العلم ... واغضى عن خوضه فى السياسة
لا لأني أراه فيها ملوما ... بل لأني أعيب فعل الساسة
ليس فى هذه الهنات السياسيا ... ت الا ما ينجلي عن خساسة
قد أبت هذه السياسة الا ... ان تكون الغشاشة الدساسة
فلهذا أجل عنها رجالا ... شغلتهم علومهم بالدراسة [1]

والسؤال عن موقف الرصافى يثار ايضاً عن موقف الشرقي اذ قيل ما قيل عن اتجاهه السلبي في الثورة ، فانه كان يذكرها كما يرى الدكتور يوسف عزالدين [2] معززاً رأيه بقوله : « ان الثورة مقدسة واهدافها سامية وانا من خدامها والعاملين لها من يومي حتى الساعة ، وان الشعب العربي كان ولا يزال في أشد الحاجة لها ، واني والصفوة من اصحابي كنا نريدها ثورة قومية شاملة ، ولا نريدها اقليمية اذ في الاقليمية مضيعة للهدف ، وانتثار للقلادة » .

وحينما خسرت الثورة قال الشرقي :

يا ثورة اعقبتها ندامة الثوار
كم فى سرارى عتب لو تسمعون سرارى
هذا اختيارى ولكن بالجبر اصل اختيارى
تدارك الله شعبا يهم بالانتحار [3]

يظهر من ذلك ان الشرقي كان يدعو الى ثورة عربية موحدة تشمل ارجاء

---

(١) ديوان الرصافي ج ٢ ص ٣١٢ - ٣١٣
(٢) انظر : الشعر العراقي الحديث ص ١٥٨ وتاريخ الرسالة ١٩٥٧
(٣) جريدة العراق عدد ١٨٥٣

الوطن العربي ، وهو في هذه القصيدة ينظر الى نتيجة الثورة التي عمت مأساتها العراق بأكمله لانه لم يكن مستعداً لها .

وقد عرفنا الشرقي ثائراً قبيل الثورة ، ومنذ ساعات الاحتلال الاولى حينما كان يعمل جنباً الى جنب مع الشبيبيين والحبوبي غير انه « اعتزل العمل السياسي فاختلف الشبيبيان عنه وظل على مشايعته للسيد الحبوبي حتى انتقاله الى العالم الآخر »[1] لكنه عاد بعدما نجحت الثورة في توجيه الشعب الى التمسك بالوطنية ونيل حقوقه ودعم كيانه ، فهجا الاستعمار ، وندد بالظلم ، وقد وجدنا ذلك في كثير من (عواصفه وعواطفه) ـ فقد قال في احرار العراق المنفيين الى هنجام عام ١٩٢٢ في نفس الوقت الذي لبث العراق فيه واجماً لهذه الحادثة :

على شجر الصفصاف زقزق عصفور ... فقال غبي القوم قد نفخ الصور
ارى القوم طارت من صفير قلوبهم ... وجبن أبطال العراقين زنبور
أبغداد للدهماء فيك تموج ... غفير وللابطال نفي وتسفير
هل الهيكل المنجور يعرف شكله ... اذا انتزعت من جانبيه المسامير
حمامات اغصان العراق تهامسى ... فقد اسكت الاصوات حجز وتحجير
خذي الشعر من عفو القريحة انه ... افاضات وحي لا اعتصار وتقطير[2]

وفي ديوانه كثير من القصائد التي تعبر عن الخيبة ، وتحمل طابع الشكوى والتذمر من سوء الاوضاع وجبروت الحكام ، كما انها تدق على اوتار النهوض والتيقظ ، وفيها نفثات وجدانية عارمة ، رغم اننا لم نعثر له على قصيدة واحدة

---

(١) شعراء الغري ٥/٧
(٢) عواطف وعواصف ص ١٩٣

خلال الثورة يبين فيها رأيه في الاحداث الجارية بصراحة ، ولكن اخلاصه للوطن حقيقة لا تدحضها الاتهامات التي وجهت اليه . اما رأيه بحكومة فيصل والمستشارين فقد اعلنه حينما تحامل على سياسة الانتداب وفرض قانون الانتخاب:

بالذي املى على الامة صك الانتداب
والذي عدل في بغداد مجرى الانتخاب
والذي ابقى له في سورنا سبعين باب
علمونا كيف نرجو عمرانا من خراب ؟ (١)

وغيرها من القصائد الحافلة بالصور الرمزية المعبرة عن معاناة الشاعر وقسوة الظروف التي يحياها .

ان الثورة بمبادئها ، وأحداثها الدامية ، ونتائجها بقيت ماثلة في الشعر العراقي الحديث حتى يومنا هذا ـ وقد اصبحت مدار حديث الناس في البطولة والتضحية ، والذود عن الوطن ، كما انها رسمت للشعراء طريق الجرأة والتحدي ، وامدت في شعرهم روح المقاومة . كما ارتسمت ميادينها فيه وظلت ماثلة خلال سني النضال ، وايام الانتفاضات الشعبية التي هزت بأحداثها العراق خلال العهد الملكي الذي اساء الى الثورة كثيراً ، وحاول اماتة الشعور بها ، او الاحتفال بذكراها كل عام . غير ان زيادة الوعي ، وصلابة الوطنيين أحيت في النفوس تلك الذكريات وجعلتها رمزاً لكل نهضة جديدة .

يروى الدكتور مصطفى جواد(٢) ذكرياته عن الثورة في الجزء الشرقي من

---

(١) الثورة العراقية الكبرى ـ عبدالله الفياض ص ٣٤٢

(٢) انظر : مجلة المناهل العدد ١٩ من السنة الاولى ١٩٦٤/١/٢٤

العراق في منطقة (دلتاوة) التي اعلنت الثورة على الانكليز في الثامن من آب ١٩٢٠ الموافق للخامس والعشرين من ذي القعدة ١٣٣٨ هـ واحتلت دوائر الحاكم العسكري وعينت حكومة مؤقتة فيها ، وقد شهد جواد ما حل بالمدينة بعد اعادة احتلالها من قبل الانكليز وهو صبي . يقول : ولما شببت وملت الى الشعر تذكرت ما أصابها ، وتخيلت مصابها ، وجاشت نفسي بقصيدة .... » جاء فيها :

أليلى ما لدمعك قد تجارى ... ومن عينيك ذا الشرر استطارا ؟
فان كنت امتلأت أسى وغيظا ... فقلبي مفعم حنقا ونارا
عهدتك جلدة في كل خطب ... ففيم نطقت بالشكوى جهارا
ألا ليت الخطوب تعاف قوما ... تمنوا لو يموتون انتحارا

ومنها :

اراهم عند خستهم صحاة ... وعند خلاص موطنهم سكارى
اناس لم اجد فيهم رؤوفا ... ولا شهما رحيما أو غيارى
أراهم اظهروا الاخلاص قولا ... ويقترفون آثاما كبارا

ومنها في ذكر بطولات الثوار في ديالى :

فسل عنا ديالى عن حروب ... لنا لما شهدناها صغارا
ثبتنا في مواقف محرجات ... ولاقينا مدافع وانفجارا
وذدنا عن حمى وطن كريم ... ورمنا في معاركنا انتصارا
وثرنا ثورة المسجون ظلما ... ولم نرهب طعانا أو حصارا

والقصيدة على ما فيها من ثورة وقوة لم نجد فيها من الصور الفنية ما يجعلها في مصاف الشعر الجيد غير انها تعبر عن تجربة من المعاناة مر بها الشاعر ولا سيما انه قد صور فيها ما يختلج في صدور بعض الناس من مشاعر ازاء الكارثة التي حلت

بهم بعد الاحتلال ـ ولعلها القصيدة الثانية التي خرجت من تلك البلدة ـ دلتاوة ـ بعيد ثورتها التي اعتبرت جزءاً مكملا للثورة في الفرات الاوسط ، وافادت من حيث إلهاء الانكليز في ناحية مهمة من العراق وهي الجزء الشرقي اذ سيطرت على طرق المواصلات التي تربط العراق بايران ، وكان من المحتمل ان تصل الامدادات العسكرية الى الجيوش المحتلة عن هذا الطريق .

والصدق الشعوري الذي يشع من قصيدة مصطفى جواد يثير في النفوس الشكوك حول موقف الزهاوي من ثورة ديالى حين قال :

لقد تشتت من خوف ومن ندم جيش حوالي ديالى كان محتشدا [1]

اذ صور جواد بطولات الثوار وبلاءهم في الحرب ، وان انتهوا مثل تلك النهاية المحزنة فلم يكونوا من خوف ولا ندم :

اذا العرب انهووا من أجل عز فما لبسوا بذا ثوبا معارا

اما القصيدة الاولى التي احتلت الصدارة في شعر الثورة في دلتاوة فهي قصيدة الشاعر عبدالكريم العلاف [2] ، ولعله سبق مصطفى جواد في ذكر ثورتها ، ورافقها منذ ان كانت همساً ـ ومطلع القصيدة :

اين اهل الحفاظ اهل الحمية أين احفاد قادة القادسية ؟

والحملة على النظام السياسي في العراق كانت تهدف الى تذكير الحكومة بمبادىء الثورة واهدافها والسير بمقتضاها . وقد حاول الشعراء ان يظهروا مساوىء الحكم الجديد بين حين وآخر مستوحين ثباتهم وعزيمتهم من ثورة

(١) انظر : ديوان الزهاوي ص ١١٠

(٢) انظر : ترجمته في لب الالباب ـ السهروردي ص ٤٥٦ـ٤٥٧

العشرين. فكانت الانتخابات النيابيـة وما يرافقها من تزوير شائن مدار بحث واستهزاء بالحكومة ـ كما كانت الاتفاقيات التي أبرمت دون أخذ رأي الشعب هي الاخرى لاقت معارضة شديدة من جميع الاوساط الشعبية، وقد ركز عليها الشعراء في كثير مما اذاعوه من شعر بين الجماهير وخاصـة محمد صالح بحر العلوم واليعقوبي وكاشف الغطاء وابو المحاسن والعلاف والبناء وغيرهم. من ذلك قول العلاف في معاهدة ١٩٣٠ وهو يوجه نظر نواب الامة اليها: ـ

ان المعاهدة التي قد أبرمت ... قسراً تبوء بصفقة الخسران
او ما علمتم ان وضع حليفكم ... ينساب بين الشعب كالثعبان
والشعب بركان وان هو صامت ... فلسوف تسمع صرخة البركان (١)

والقصيدة في الفاظها ومعانيها لا تحوي اي تجـدد في الاسلوب، بل كل مافي الامر ان الشاعر انتهى من حيث ابتدأ لأن جميع ما قاله في الثورة وما بعدها ليس فيه من جديد غير التأكيد على الحرية والدعوة الى الثورة بوجه الاستعمار، وبنفس الاسلوب السابق، وجل ما قاله في حياته من شعر كان وقفـاً على القضايا الوطنية ولهذا جاء اغلبه تكراراً لمعان طرقها والفاظ أعيدت بنفس قالبها، ولكنها لا تخلو أحياناً من اجادة سبك، ودقة ملاحظة رغم الضعف الذى وقع فيه من حيث جعله الجملة الاسمية المحضة جملة شرط.

اما الرصافي فقد قال في المعاهدة:

والعهـد بين الانكليز وبيننا ... كالعهد بين الشاة والرئبال

---

(١) انظر: ديوان العلاف ـ مخطوط ـ ص ٦٤

من ذا رأى ذئب الذئاب مصافحا بتودد حملا من الأحمال[1]

اما في المجلس النيابي وكيف رشح اعضاؤه وفازوا بالتزكية فيقول اليعقوبي :

للانتخابات قامت معارك ومعامع
لكل حزب هتاف تسنك منه المسامع
سوق الضمائر فيها ما بين شار وبائع
وليس يربح الا من رشحته (المراجع) (٢)

أو قوله :

أرى البرلمان ونوابه سكوت به سكتة الاخرس
تماثيل ينحتها الانتداب وتعرض فى قاعة المجلس(٣)

وفي الحديث عن شهداء العارضيات يقول اليعقوبي :

كيف ينسى بالعارضيات يوم عارضت فيه كل جيل أتاها
دحرت كل قوة للأعادي ملأت ارضها بها وسماها

والقصيدة طويلة لأن الشاعر لم يكتف بذكر الكفاح في جبهة واحدة بل انتقل مع الثوار بامتداد الجبهات مبتدئاً من العارضيات ومارأ بالسماوة والرستمية والحلة والوند وشط الكوفة فيقول :

ثم عرج نحو (السماوة) واسأل من اباد العدى ومن أفناها

الى ان يأتي فى النهاية على الذين جحدوا فضل رجال الثورة :

قل لمن راح جاحداً لمساع ناصعات كالشمس رأد ضحاها

---

(١) محاضرات عن الشعر العراقي الحديث ـ عبدالكريم الدجيلي ص ٦٠ القاهرة ١٩٥٩
(٢) ديوان اليعقوبي ص ٧٠
(٣) المصدر نفسه ص ٨

بعض هذا وذاك ينبيك عما خلدته من سؤدد لا يضاها
كيف تسلو البلاد ذكر كرام جعلوا النفس والنفيس فداها؟ (١)

وفى حديثه عن الثوار يستوحى احداث العالم العربي والعراق ايام الثورات التحررية منددا بسياسة المحتلين، مهيبا بالعرب ان ينهضوا من جديد ويبعثوا ما اندثر من حضارتهم.

ونلمح في شعر الذكرى اهتماما اكثر بالاسلوب مما كان عليه قبل الثورة وهذا يعود الى الظروف المستقرة أو شبه المستقرة التي جعلت الشاعر يهدأ بعد طول نصب رافقه خلال الثورة، يصدق هذا القول على شعر اليعقوبي والبصير ومحمد باقر الحلي وابي المحاسن - غير ان هذا الهدوء والاستقرار لا يلبث ان يرتفع مع الاحداث في صورة ثورية لاهبة حينما يتأمل الشاعر ما يدور في فلك السياسة، وما يمهد للاستعمار من عوامل مشجعة على تمركزهم فى البلاد..

يقول اليعقوبي: -

بالشعب قد عاثت يد عاتية فجددوها نهضة ثانية
واستقبلوا الاعداء فى وقفة فيها نعيد الوقفة الماضية
خانت عهوداً قد وفينا بها واظهرت غدوتها الخافية
بالأمس قوضنا ذرى عزها من حيث لم تبق بها باقية
هل نسيت ما حاق في جيشها منا ولا أحسبها ناسية
في معرك عجت له (لندن) بالنوح من ناع ومن ناعية
حتى بنينا صرح مجد على اشلائها والرمم البالية

(١) انظر: ديوان اليعقوبي ص ١٧٢

شبت على العرب لظى حربها فسوف تصلى نارها الحامية [1]

والقصيدة طويلة ، وفيها استعراض لما كان يجري في العراق وما يبيت له من أمور لاحكام ربطه بعجلة الاستعمار الانكليزي ، كما فيها اشادة بالروح العالية لدى المصريين ووقفاتهم البطولية بوجه الانكليز . ولا تخلو من نزعة انسانية عرف بها الشاعر في مختلف قصائده الحربية التي اوقفها على الثائرين على الظلم في كل بقعة .

ومن الشعراء الآخرين الذين أوقفوا شعرهم لقضية الشعب بعد القضاء على الثورة محمد باقر الحلي . فمن قصيدة له يعبر فيها عن هذا الاتجاه في شعره يقول :

سأبقى وان لم يعبأوا بارادتي أضج الى ان يسمع الحق سامع
أردد صوتي مرة بعد مرة ليحسن فيما بعد ما أنا صانع
أطالبكم ان تصدر الصحف حرة وتكثر في هذى البلاد المجامع
أطالبكم بالعفو عن كل مجرم بزعمكم اذ كان عني يدافع
وان ترفعوا عني محاكم شكلت من الجند جاءت من لدنها الفظائع [2]

وغيرها من القصائد التي كانت تؤكد حق الشعب في الحياة الحرة المتمثلة في المجالس النيابية الحقيقية ، وحرية النشر ، والتعليم ، والتعبير عن الرأي ، والغاء المحاكم العسكرية .

كما أشار بعض الشعراء الى من سجن من زعماء الثورة أو أبعد عن العراق ، مطالبين باعادتهم الى صفوف الشعب والغاء اوامر حجب الحرية عنهم لكونهم

(١) ديوان اليعقوبي ص ١٦٧
(٢) انظر : مجموعة الاستاذ ابراهيم الوائلي ص ١٣

أحق من غيرهم في قيادة الأمة . وفي هذا الموقف تأكيد لوجود مجابهة قوية ضد الاحتلال والحكومة التي جاء بها للعراق .

الشعر في رجال الثورة وذكرياتها :

ولنعد الى ذكرى الثورة من زاوية اخرى هي رثاء رجالها ، فقد قيل الشعر الكثير في مصارع الرجال في ايام الثورة ، كما وقف الشعراء طويلا في تأبين العلامة الشيرازي الزعيم الروحي للثورة اذ توفي والثورة لا زالت في بدايتها . وقد أشرنا الى الشعراء الذين أبنوه . أما بعد الثورة ، وخلال وقفات الشعراء في تأبين الخالصي ، ومحمد الصدر ، وجعفر ابي الثمن ، والشيخ ضاري ، وسعد صالح وغيرهم من الرجال ، فاننا نلمح الثورة متأججة في النفوس ، حينما تشيع علماً من اعلامها اختزنته ليوم جديد .

ولم يتقدم من الشعراء من ينكر على علماء الدين اشتغالهم بالسياسة سوى الرصافي في تأبين الخالصي ، وقد أشرنا اليه سابقاً .

وفي هذا الباب نجد العلاف في صوته المعروف قبيل الثورة واثناءها يملأ اجواء الكاظمية دوياً يوم التأبين .

فيقول في الخالصي :

يا أمة شمتت أعداؤها فيها ... بموت من كان حاميها ومهديها
لقد فجعت بمن ضن الزمان به ... على الليالي التي خابت أمانيها
بالعالم الفذ من كنا ننير به ... ليل الخطوب اذا ما جن داجيها
فما دعته بنوها ان يخلصها ... الا وكان بغالي النفس يفديها

والقصيدة باكية شاكية ، أتى فيها الشاعر على ما كان للمؤبن من منزلة سامية في نفوس العراقيين حينما كان ركناً من اركان الثورة في بغداد والكاظمية وشرق العراق اذ كان يبعث رسله وولده الى تلك المناطق حاثاً إياهم على الثورة ـ حتى تمكن منه ساسة الانكليز فنفوه الى ايران ومات هناك .

وفي القصيدة التفاتة حسنة ، حينما خاطب باكية القوم بقوله :

لا تعتبي انما الايام عادتها ... ان لا تراعي وان كنا نراعيها
مهما استبدت وجارت في تصرفها ... فالجور مصدره من مستبديها
والناس صنفان هذا جل غايته ... موت البلاد وذا بالعلم يحييها
وليس من يخدم الاوطان عن ثقة ... مثل الذي يخدم الاوطان تمويها(١)

اما البناء ففي رثائه للخالصي أنه عميقة ، وشعور بالأسى جعله يطالب المرثي ان يقف من جديد بوجه الاعداء :

يا نائماً وخيول الخصم جائلة ... فقم وطالب عداك اليوم بالثأر
انا عهدناك لا تلهيك لاهيـــة ... عن الدفاع ولم تخضع لجبار
كم معرك خضته والجو معتكر ... والموت ما بين اقبال وادبار(٢)

ومن الواضح ان الخالصي رجل علم ومرجع ديني ، له الكلمة المسموعة ، والقول المطاع بين صفوف المجاهدين ، فلا غرو ان تأتي قصائد الرثاء متشابهة في معانيها ، متباينة في صياغتها والفاظها .

وقد جاءت قصيدة اليعقوبي متضمنة نفس المعنى الذي قاله البناء :

---

(١) انظر : ديوان العلاف ـ مخطوط ـ ص ٧٥
(٢) ذكرى الخالصي ج ١ ص ٣٩

خلا ذلك الوادي الذي كان مسبعا ... واصبح مرعى للسراحين والحمر
فقم وأقم من كبوة الدهر أمة ... رماها الردى قسرا بقاصمة الظهر [1]

وقوله :

يا ناصر الاسلام ان زحفت له ... نوب الخطوب السود في خدماتها
فعلت براعتك القصيرة بالعدى ... ما ليس تفعله طوال قناتها
قنطت عداك من الوصول لغاية ... واليوم قد وصلت الى غاياتها [2]

ومما نلاحظه في قصائد الرثاء انها تجمع على ذكر فضائل قادة الثورة في الميدانين الديني والسياسي ، وهو دور جليل قاموا به خلال زعامتهم الدينية التي جمعت بين الدين والسياسة ، ولكون العراقيين في تلك الظروف بحاجة الى من يجمع شملهم باسم الدين وما يتبعه من فرائض وواجبات لا يمكن بأية حال من الاحوال ، ولأي شخص ان يتقاعس عن ادائها ، ولهذا قامت الثورة باسم الدين ، وغرست الروح الوطنية في عدة أجيال باسم الدين ، ودافعت المستعمر باسم الجهاد ، فنجحت في توحيد صفوف الشعب ، وبعث ما اندرس من مبادىء الاسلام في تلك الربوع .

وحتى في شعر الرثاء لم نلق أي تجديد في الاسلوب فقد ظلوا مشدودين في تقليدهم فى الشكل للقصائد العربية القديمة ولهذا بقيت التجربة عندهم غير مكتملة لافتقارهم الى التصوير والخيال الواسع بدلا من الاخبار والتقرير لان جل ما قيل في رثاء رجالات الثورة كان من وحي شعراء قاموا بوظيفة الخطيب اكثر من قيامهم بوظيفة الشاعر .

---

(١) ذكرى الخالصي ص ٥٧
(٢) المصدر نفسه ص ٥٨

وما قيل في رجال الثورة من رثاء لا يختلف عما قيل في رجالها من العائدين الى الوطن من المنفى الا من حيث الموضوع ففي الرثاء حسرة وألم وفي المديح أمل وانتظار . كالذي قيل في عبدالواحد الحاج سكر ، ويوسف السويدي، والسيد محمد الصدر والاحرار الذين عادوا من هنجام .[1]

وشعر الذكرى كان مباراة وطنية تسابق فيها كثير من الشعراء ، فهزوا بانغامهم اوتار القلوب . وجعلوا النفوس في حالة تهيج واستنكار لجرائم الانكليز غير انه من الناحية الفنية كان شعر مناسبات ، وان كانت الصبغة الوطنية جعلته حياً في النفوس تستعذبه كلما حنت الى النضال . فالثورية التي شملت اسلوبه بقيت حية لم تمت بذهاب المناسبة بل كانت تزداد روعـــة كلما هزت ذكرى الثورة مشاعرهم وكلما حرم المستعمرون الاحتفال بذكراها زادوا في التشوق لاستماع هذا اللون من الشعر .

وفي شعر الذكرى نقف امام شاعر كبير غنى للثورة كثيراً اذ نشأ معها ، فكان لها ولثورة النجف عام ١٩١٨ « اثرها المباشر في نشأته الثورية ، وتكوين حقده العريق العميق على الاستعمار »[2] .

انه محمد صالح بحر العلوم[3] الذي نشأ في النجف وشب في لهيب الثورة في بيت ثوري من بيوتاتها المعادية للاستبداد التركي والاستعمار البريطاني ـ له شعر

---

(١) انظر : شعراء الثورة العراقية ـ خضر العباسي ص ٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧

(٢) انظر : مقدمة عن الشاعر في ديوانه « الروائع ج ١ » مخطوط في مكتبة الشاعر ص ٥

(٣) انظر : ترجمته في شعراء الغري ٣٢١/٩

كثير وانتاج ادبي غزير ما يزال معظمه مخطوطاً في دواوين تضمها مكتبته .[1]

ولقد عاشت ذكرى الثورة في ذهنه وقلبه ، فلم ير الثلاثون من حزيران الا وله ثورة فكر تنبض بالالم والحقد على باعة ثمار الكفاح ، وصورة الشعب المضطهد شاخصة امام ناظريه :

حمدا لشعب سقاني الكاس صافية ... كنفسه وعلى أعدائه الكدر

أحببته مذ رأيت عيناي صورته ... طفلا وشيخاً وفي بيتي له صور

لو ان لي الف روح افتديه بها ... لكانت الالف منها فيه تعتذر[2]

ومن الطريف انه في اغلب ذكريات الثورة كان يحييها وهو في السجن ، فالسجن يستقر فيه ويلتذ به اكثر من بيته ، فلم يخرج منه الا ليعود اليه ثانية ، وفي كل عهد نجده يتفاءل بالاصلاح ، ثم ينظر الى الحكومة فلا يجد فيها بارقة أمل فيعلن رأيه فيها ، وهكذا كان مبدؤه الذي اختطه لنفسه .

وحبه لشعبه ووطنه هو الذي دفعه الى ان يكون من اصحاب مذهب الالتزام في الادب والحياة .

وقد استفاد كثيراً من حياته النضالية الغنية بالتجارب ، ونال حب الشعب وتقديره ، ولقب في تلك الفترة بشاعر الشعب . ولثورة العشرين بصورة خاصة ذكر حسن في شعره .

ففي مطلع شبابه وفي يوم ٣٠ حزيران عام ١٩٢٣ وبمناسبة الذكرى الثالثه للثورة قال في قصيدة عنوانها (زفة التاج) :

---

(١) كتبت عن حياته وشعره دراسات وبحوث عديدة وترجمت بعض قصائده الى اللغات الروسية والفرنسية والصينية والاسبانية والاذربايجانية والفارسية .

(٢) الروائع ١/٥

اين ظلت اهداف شعب حزبران واين الكرامة الوطنية ؟
زفت الموبقات تاجا لبغدا د على رأس غادة اخلبيه
واستفادت من البريق الذي فيه (عيون) اجفانها (عربية)
ما انتفاع البلاد من زفة التا ج ؟ وفيها مآتم الحرية[1]

وهكذا تجد شعره وهو في مثل تلك السن يتأمل في الناس الذين استقبلوا فيصلا ولما يمضي على تلك الثورة والتكريم سنتين حتى عرفوا عنه ما أراد ان يخفيه عنهم ، اذ بقي القديم على قدمه ، وتقدم الجواسيس من عرب العراق الى موائد الوزارة .

كل ذلك يمثله بحر العلوم فى شعره الحافل بالوطنية . ويحق لنا ان نعتبره شاعر الثورة في ذكرياتها لانها استأثرت بنصيب وافر في شعره .

وسواء ذكر الثورة صراحة ام ضمناً فهو لم يغفل التسبيح بحمد من اخلصوا للوطن ، وذم من باعوه الى الاجنبي . كقوله في العرش :

وتعجب كيف يولى الغراب اميراً على البلد العامر
وكيف تكون دماء الشباب شرابا لطاغية فاجر
واشلاء من اخلصوا للبلاد جسورا لخائنها العابر[2]

وكما أشرنا في فصل سابق الى انه شديد التعلق بالفلاحين اذ جعل الثورة ثورتهم ، وقال في الفلاح الشعر الكثير . فهو لم ينس ان يجعل منهم ابطالا لنهضة الفرات التي اظهرت قوة شعب أعزل امام جيش مسلح بانواع السلاح الحديث .

---

(١) الرباعيات ١/٢١
(٢) انظر ـ ديوان بحر العلوم « مخطوط » ص ١٥٤

فمن قصيدة بعنوان (نشيد الثورة العراقية) قال :

يا دم الثوار خلد ذكر آساد الفرات
يوم سلوا المنايا السود بيض المرهفات
ولاجل الشعب ثاروا واستعدوا للممات
ليعيش الشعب حرا لامسا معنى الحياة (١)

ومن قصيدة (قتل الشعور) التي القيت في احتفال ذكرى الثورة العراقية في النجف الاشرف يوم ٣٠ حزيران ١٩٣٤ ، وقد سعت الحكومة يومذاك لعدم عقد هذا الاحتفال فلم تنجح قال : ـ

يا قلما خط بحبر الدما خارطة الحكم لهذى الدمى
ان رمد الراسم في أمسه فليتق اليوم رماد العمى
اكواخ من ثاروا اعدت الى من لبسوا الدور حياة القصور
وجسر من باتوا لنيل العلى أوجد للاحياء (قصر الزهور) (٢)
يا قصر ضيعت جهود الألى صانوا الحمى من غزوات الشرور
طرحت للفاتح (عهد الولا) ورحت تستهدف قتل الشعور (٣)

وهكذا يعطينا شعر بحر العلوم صورة حافلة بالمشاعر الوطنية المتأججة في نفسه دون خوف أو وجل ، وتظهر اهمية ذلك في عرضه لاحداث الثورة بايماضات من الشعور لتذكير السلطة بموقفها الشائن بحق الوطن . وتبدو اكثر اشراقا حينما

---

(١) انظر : الروائع ٦٥/٠
(٢) هو مقر الملك
(٣) الروائع ص ٨٥

يستعرض حياة طبقتين من الشعب طبقة الفلاحين باكواخهم ، وطبقة الحكام بقصورهم بكل ما في الاثنتين من مفارقات .

وفي تتبعنا لشعر بحر العلوم وقفنا على الكثير مما قاله في ذكرى الثورة في السنوات التالية لها والمتأخرة حتى هذا العام . ولا نود عرضها هنا ، بل تكفينا الاشارة الى بعض ما قاله في سجون بغداد وبعقوبة ونقرة السلمان ومعتقل خلف السدة وغيرها من السجون التي انبعث صوت الشاعر منها .

وقد اطلعنا على جميع شعره ، فوجدناه يسير في خط الثورة باستمرار لا يلوى خطاه على حاكم جائر الا واوسعه هجوا ومزق اقنعته واطار صوابه في اسلوب تنحدر فيه الثورة من بيت لآخر بالصور المشرقة من كفاح الشعب الطويل . ولهذا فقد ارعب السلطات التي لا تنعم برضا الشعب وهو اسير سجونها.

اما اشهر القصائد التي كانت في حينها اكثر تردداً على شفاه الجماهير ومازالت يستشهد بها في دروس الوطنية ، فهي قصيدة محمد باقر الشبيبي خطيب الثورة وشاعرها وصحفيها ، والذي كانت مهمته اشبه بمهمة وزير الارشاد ففي هذه القصيدة عرض فاضح لاول حكومة اعقبت الثورة :

قالوا استقلت فى العراق حكومة ... فضحكت اذ قالوا ولم يتأكدرا
أحكومة والاستشارة ربها ... وحكومة فيها المشاور يعبد ؟
الحكم حكمهم بغير منازع ... والامر مصدره هم والمورد
المستشار هو الذي شرب الطلا ... فعلام يا هذا الوزير تعربد ؟ (١)

أو قوله مخاطباً أهل الفرات لاخذ دورهم في المعركة من جديد بوصفهم أول

(١) انظر مجلة الاديب العراقي ـ عدد ١ السنة الثانية ١٩٦٢ ص ٢٨

من أوجد كيان العراق وحافظ عليه ، وثبت أساسه ، لكنهم لم يستفيدوا من تضحياتهم وبطولاتهم بل تنعم غيرهم بنتائج غرسهم :

أهل الفرات أعيدوا الدور ثانية ... وقاطعوا الظلم في هذى الادارات
المستفيد سواكم من مغانمها ... والمغارم انتم والعقوبات
اي الرجال التي اضحت جهودهم ... مضاعة عند اشباه الرجالات
ما مزق الشعب الا ضعف قادته ... على الخطوب وضعف فى المفادات
ليت البلاد التي ثارت مجاهدة ... قامت على الهيكل البالي بثورات[1]

ويعد الجواهري ابلغ شاعر ذكر الثورة فى شعره ، باسلوب بلغ فيه القمة بين الشعراء رغم صغر سنه حينما نظم اول قصيدة فيها :

ان كان طال الامد ... فبعد ذا اليوم غد
ما آن ان تجلو القذى ... عنها العيون الرمد
اسيافكم مرهفة ... وعزمكم متقد
هبوا كفتكم غبرة ... أخبار من قد رقدوا

وفى القصيدة جانب لغوي قويم يظهر براعة الشاعر فى اختيار الالفاظ التي كان قاموسه الشعري غنياً بها لكونه رهيف الحس ، شديد الانفعال يصحبه شمول في التجارب ، وقوة في التأثير وروعة التناول واستكمال الادوات والوسائل اللازمة لكل شاعر ...

---

(١) شعراء العراق المعاصرون ٢-١٣ مطبعة الشباب - بغداد ١٩٥٧ ، شعراء الغري ١-٤١٢ والبيت الاخير فى « الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشبيبي » ص ١١٦ عبدالرزاق الهلالي بغداد ١٩٦٥

وفى شعره عذوبة تنساب الى اعماق النفس . كما انه استطاع في قصائده التي ذكر بها الثورة او في شعره الآخر ، ان يهيء الحرارة اللازمة والجو المناسب لتحريك المشاعر واثارة الانفعالات . فهو يتمتع بثروة لغوية لا يدانيه فيها احد من شعراء عصره . ففي تعبيره روح وحركة واشعاع .

وفى هذه القصيدة لا تلمح شكوى ولا بكاء ولا خنوعاً واستسلاماً بل تجد فيها دروساً فى الاباء والوطنية وزعها على مناطق الثورة مبتدئاً (بالعوجة) أي الرميثة يقول : ـ

وثورة بل جمرة ليعرب لا تخمد
أججها اباؤهم والحر لا يستعبد
لا تنثني عن بلد حتى يشب البلد
خفوا الى الداعى وفى الحرب جبال ركدوا
من كل مشتد الحصاة رأيه مستحصد
ناشد بذاك عوجة ومثلها يستنشد
هل اشتفت من العدى أم بعد فيها كمد
وهل درت ابناؤها ان الثنا مخلد
هم عمروها خطة الى اللقاء تحمد
خالدة ما ضرهم انهم ما خلدوا

ويأتي فيها على جميع الموضوعات التي مرت في الثورة والاحداث التي دارت ببطولة نادرة في الفرات الاوسط ، والهجوم على القطار ، ودعوة الشيرازي الى المجاهدين ومبادىء ولسون ، ثم يختصها بقوله :

صبرا وما طاب لكم مرعاكم والمورد
صبرا وما عودتموا من قبل ان تضطهدوا
ان رفعت رواقها الـ حرب فأنتم عمد
وانتم اذا الوغى أعوزه من يوقد
نيران حرب يصطلى الادنى بها والأبعد[1]

وهو حتى في رثائه لشخصيات العراق والبلاد العربية يرتفع كثيراً عن جو المناسبة ليصب نقمته على السياسة الاستعمارية الجائرة ، وفضح اساليب المستعمرين وسياسة الحكام باسلوب جزل تمتزج فيه العاطفة بالتأمل والخيال امتزاجاً يهز المشاعر ويثير الوجدان . وفي هذا دليل على الاصالة الفنية في شعر الجواهري متمثلة في دقة التصوير وبراعة الاستهلال وحسن الانتقال ، وحتى القوافي لم يكن يفكر بها بل هي التي تنساق اليه انسياقاً اذ لم نجد في شعره ما ندعوه حشراً أو ضرورة شعرية ، ولا حتى اقتفاء للقافية الا نادراً .

الصياغة اللفظية عنده انيقة والاشارات بعيدة الغور في كل ما قاله في المجال الوطني والقومي باسلوب يلائم روح العصر ويوائم النزوع الفكري في التحرر والثورة .

وفي هذه المقدمة القصيرة لشاعرية الجواهري نقول : انه في تعبيره وتعمقه للحدث ، وسعة تجاربه وتمكنه من الموضوع اثبت بجدارة واستحقاق شرف شاعر العرب الاكبر كما تميز فيه من خفقات فنية رائعة وتعبير « يتسع لكل ما يختلج في الوجدان من انفعالات وكل ما يثور في النفوس من نوازع واسرار ، وكل

(١) انظر : ديوان الجواهري « بين الشعور والعاطفة » ١-٩٧ مطبعة النجاح بغداد ١٩٢٨

ما يدور في الفكر من خواطر واحاسيس ، وكل مايجري في الحياة من تناقضات ومفارقات »[1] .

اما في القصيدة الثانية والتي نظمت في اعقاب الثورة عام ١٩٢١ ، وكان الشاعر لا يتجاوز آنذاك العشرين عاماً ، فهي ارفع في اغراضها واخيلتها من سابقتها ، وكان لهذه القصيدة وقع قوي في الاوساط السياسية والصحفية في بغداد ، والشاعر يقيم آنذاك في النجف مسقط رأسه ، ومن الذين اثارتهم تلك القصيدة الشيخ مهدي الخالصي احد كبار العلماء الذين اشعلوا نار الثورة وتعرضوا لأذى المحتلين والسلطات العراقية نفسها في اوائل الحكم الملكي ، وقد عبر عن تأثره بها بهدية علمية نفيسة ارسلها الى الشاعر هي مجلدات دائرة المعارف للمرحوم فريد وجدي . واليك بعضاً منها :

لعل الذي ولى من الدهر راجع ... فلا عيش ان لم تبق الا المطامع
غرور يمنينا الحياة وصفوها ... سراب وجنات الاماني بلاقع
نسر بزهو من حياة كذوبة ... كما افتر عن ثغر المحب مخادع
هو الدهر قارعه يصارعك صفوه ... فما صاحب الايام الا المقارع

ثم يوجه كلامه في خطاب مؤثر الى النشء العراقي المعول عليه في المستقبل ، وهم بناته ورجال الغد .

وفيها التفاتة ـ كغيره من الشعراء ـ الى ميادين الثورة ، ولكنه ابتدأها من الكوفة باعتبارها اقرب مدينة الى النجف وربما كان الشاعر من الحاضرين ايام نكبتها .

---

(١) جريدة الشعب « الاصالة الفنية في شعر الجواهري » عدد ٢٥ السنة الاولى ٤ نيسان ١٩٦٨ .

يقول :

وفي الكوفة الحمراء جاثت مراجل ... من الموت لم تهدأ وهاجت زعازع
أديرت كؤوس من دماء بريئة ... عليها من الدمع المذال فواقع
هم انكئوا قرحا فاعيت اساته ... وهم اوسعوا خرقا فاعوز راقع
بكل مشب للوغى يهتدى به ... كما لاح نجم في الدجنة ساطع

ولا نريد ان نأتي عليها ، فقد استنفدت تلك المواقع طاقات الشاعر فملأها بالفاظ الحرب : كالنضال ، والقراع ، والكر ، والفر ، والتدافع .

وهناك نقطة جديرة بالاهتمام ، وهي ان الشاعر قد عبر عن كل ما كان يجيش بخاطره من افكار تجاه مواقع الثورة في منطقة الفرات الاوسط مهد الثورة وميدانها الرئيسي ـ ففيها شبت وفيها انتهت .

ومنها يعرج على الفرات :

وان انس لا أنس (الفرات) وموقفا ... به مثلت ظلم النفوس الفظائع [1]

ولسنا الآن بصدد دراسة مستفيضة عن الشاعر ودوره في الحركة الوطنية ، وفترة الضنك والقلق التي مرت عليه وبدأت انفعالات الجواهري في هـذا الجو المشحون بالقسوة والعنف تأخذ طابع التمرد على الحياة ومفاسدها سيما في فترة كثر حساده واعداؤه فيها ، ومن مثل الجواهري يخلو من حساد .

وبعد عشر من السنين ، والازمة السياسية والاقتصادية الخانقة ، تعـود الذكرى بالجواهري الى الثورة العراقية ، والى الدماء التي أريقت من اجل ان يستقل العراق ، ولكن أين تلك الدماء ، وأين الاستقلال ؟

(١) انظر : ديوان الجواهري ط ٥ ٢ـ٤٣٧ وما بعدها

قبل ان تبكي النجيع المضاعا سب من جر هذه الاوضاعا
سب من شاء ان تموت وأمثا لك هما وان تروحوا ضياعا
سب من شاء ان تعيش فلول حيث اهل البلاد تقضي جياعا
بعد عشر مشت بطاء ثقالا مثلما عاكست رياح شراعا
عرفتنا الآلام لونا فلونا وأرتنا الممات ساعا فساعا
لو سألنا تلك الدماء لقالت وهي تغلى حماسة واندفاعا
ملأ الله دوركم من خيالي شبحا مرعبا يهز النخاعا
وغدوتم لهول ما يعتريكم تنكرون الابصار والاسماعا
تحسبون الورى عقارب خضرا وترون الدروب ملأى ضباعا
أهذا هرقتموني واضحى ألف عرض والف ملك مضاعا؟
مشت الناس للامام ارتكاضا ومشينا الى الوراء ارتجاعا
طعنوا فى الصميم من ركن الشعب اليه ونصبوا القطاعا
شحنوهم من (خائن) وبذىء وكذوب شحن القطار المتاعا
وجهود سحقن فى حين ترجت منها البلاد انتقاعا
فكأن الاحرار طرا على هذى النكايات أجمعوا اجماعا (١)

وبهذا فقد سجل الجواهري فترة من فترات اليأس والقنوط في تاريخ العراق الحديث غير انه لم يقف عند هذا اليأس طويلا ، كما انه لم يذم الدهر ويشكو الزمان فى موقف سلبي كبعض الشعراء بل كان يؤثر الثورة والتمرد على الخضوع والاستسلام وقد توصلنا من دراسة شعره الى انه لم ينحصر اثر الشعر عنده في

(١) انظر : الشعر والشعراء ص ١٤٠

الظرف المحلي الآني من غـــير أن يمتزج بالشعور الوجداني أو يخرج الى الشمول الانساني .

الفـلاح والثورة :

ان ثورة العراق عام ١٩٢٠ تختلف اختلافاً بيناً عن الثورات الاخري خارج الوطن أو انتفاضات الشعب العراقي التالية لها ، من حيث جوهرها واليد الفعـالة في قيادتها . فالتنظيم السياسي والتـكتيك العسكري ، والضبط الاداري ، وغيرها من التشكيلات المنظمة الاخرى كلها أمور تتوفر في الهيئات والجماعات المشرفة على تنظيم وقيادة أية ثورة في أي بلد . وأغلبها يتم عن طريق الضبط والتجميع العسكري . غير ان الذي عرفناه من أمر الثورة العراقية أنها قامت على أكتاف جماعة من أوساط الشعب غير المثقفة تحلت بالتنظيم القبائلي الذي كان مظهراً رائعاً من مظاهرها ، وقد زادت روعته حينما تقابل مع جيش منظم ومدرب على أحدث وسائل الحرب والتدمير ، ومع هذا فان الفلاح العراقي في وسط وجنوب العراق وقع عليه العبء الأكبر من الجهاد بسلاحه البسيط وأدبه المجهول . فقـد وقف الفلاح في (الرميثة) و (العارضيات) و (الهندية) و (الكوفة) و (أبي صخير) و (السماوة) وسائر مناطق (الديوانية) كما وقف في (ديالى) وما جاورها ، وترددت أهازيجه في (الفلوجة) و (خان ضاري) بعواطف وطنية دفعته للقيـام بواجبه الوطني في صد جيوش الاحتلال .

ومما قوى نضاله ، وأذكى روح الثورة في نفسه تلك الفتاوى الروحية التي كان يصدرها المرجع الديني الأعلى في النجف ، فيتفانى في تطبيقها والعمل بمقتضاها

ولو أدى ذلك الى الاستشهاد ، وهو أرفع وسام يلاقى فيه ربه .

ويكفينا هنا أن نشير الى الاجتماعات العشائرية وصور المذكرات التي حملتها وفود العلماء الى الفلاحين وهم في حقولهم تطلب فيها منهم الجهاد في سبيل الله ، كما أشرنا سابقاً الى الدور الذي قام به زعماؤهم فى نقل مبادىء الثورة اليهم ، والذين لمع فيهم اسم الشيخ شعلان أبو الجون صاحب الشرارة الأولى في الثورة ، وعبدالواحد الحاج سكر ، وداخل الشعلان ، ورايح العطية ، ومرزوك العواد ، وعطية الشعلان ، والشيخ ضاري ، والشيخ حبيب الخيزران ، بالاضافة الى عشرات الشخصيات التي برزت من ذلك الوسط الفلاحي لتقود الثورة في أولى مراحلها ، وتشمخ بها قرابة الستة شهور في انتصارات هائلة سجلتها دماء الفلاحين التي رفعت بيارق النصر في سواد العراق مرددة الأنشودة الشعبية التي لا تغيب عن بال كل عراقي حتى الآن . وهي (الطوب احسن لو مكواري) [1] .

والوطنية في شعور الفلاح صورة من صور النزعة القبلية المتمسكة بالحمى والدفاع عنه ، والحفاظ على نقاوة العنصر العربي الذي تنتمي اليه كل قبيلة ، وقد قادها هذا الشعور الى الاتحاد في ثورة جماعية ضد الانكليز وهم ليسوا من أهل العراق ولا من العرب ، بالاضافة الى كونهم من الاقوام الكافرة ـ حسب مفهوم الفلاحين ـ التي تستوجب القصاص .

ولهذا نعد اندفاع الفلاح في الثورة أقوى من اعتناق الفئات المثقفة لفكرتها وايمانهم بها ، لأن في دفاع الفلاح استماتة روحية يغذيها الاسلام ، وقومية تتخذ طابع القبلية ، وارتباط بالزعامة العشائرية أقوى من الارتباط بالهيئات الحكوميه

---

(١) يقصد بالطوب : المدفع ، والمكوار أو المقمع قطعا صغيرة لها رأس من القير .

أو السلطات الادارية ، وهـــذا عنصر مهم من عناصر الانتصار على جحافل الاحتلال أحرزه الفلاح العراقي ، وان كنا لا ننكر دور سكان المدن وخصوصاً بغداد في المشاركة في الثورة والاعداد لها فكرياً واحياناً عسكرياً ، وهم واجهة أخرى للثورة ساندت الفلاحين وأمدتهم مادياً ومعنوياً . فقصائد الشعراء وخطب الخطباء ومقالات الصحف الوطنية كانت سيلا جارفا الهب الحماسة وأمد في روح الثورة الثبات والاستمرار .

ومشاركة الفلاحين في الثورة شملت مناطق واسعة من العراق وبخاصة منطقة الفرات الأوسط اضافة الى قبائل ديالى في شرق العراق ، ولهذا قيل « ولولا ديالى لكانت الثورة فرانية بحتة »(١).

ومن شديد اعتزاز القبائل بالوطن انها تركت مزارعها في أوقات الحصاد وقبل جني الحاصل لتساهم في الثورة وتضاعف من خسائرها في سبيل انجاحها بطرد الانكليز من العراق ، فقد أبت كرامة الفلاح العراقي ان يراهم برطانتهم الأعجمية يملأون العراق ، ويستولون على خيراته .

وأبلغ ما وجدته من الاحساس بهذا الشعور قول الشيخ (شعلان أبو الجون) للكابتن (كلوب) في قصة رواها سلمان الصفواني صاحب جريدة اليقظة يوم مر الثلاثة بالعارضيات فأمر شعلان السائق بالوقوف ، وبعد ذلك خلع كوفيته وعقاله وأخذ ينظر الى السهول والهضاب المحيطة به وقد بدأ الاضطراب على وجهه حيث احتشدت ذكريات الثورة في ذهنه وهم يجتازون ميادينها بين (الرميثة) و(الديوانية)

---

(١) انظر : العراق في دوري الاحتلال والانتداب ١/١٧٧ .

وبعد سرد الوقائع للرجل الانكليزي ـ وهو خبير بها ـ يستمر شعلان بقوله :

« أن هذه الأرض لا تشبه بقية الاراضي ، انها حمراء قانيـــة من الدماء مشحونة بالاشلاء أفتدري لم كل هذه التضحيات يا صاحب ؟ ولم ينتظر الجواب بل أجاب نفسه بنفسه ، لتؤسس للعراق حكومة عربية مستقلة ، وبعدما أجاب (كلوب) بقوله : لقد تم لكم ذلك يا شعلان فلكم الآن حكومة ودستور وبرلمان ووزراء وموظفون فماذا تريدون غير هذا ؟ فعلق عليه شعلان بقوله :

(ولكنهم يرطنون) ثم لطم جبينه بكفه »[1].

يتبين من سياق الحديث أن الشعور بالنقمة على المحتلين كان نابعاً من الروح العربية المتأصلة في نفوس جميع العراقيين ، فقد اتضح من عبارة الشيخ شعلان (أنهم يرطنون) أي أنهم يتكلمون بغير اللسان العربي ، أي الوزراء وعملاؤهم ومستشاروهم في دوائر الدولة ممن نصبتهم السلطات الانكليزية وسلطتهم على أبناء الشعب من العرب المخلصين .

ولذلك وجدنا لثورة الفلاح صوتاً مدوياً في أدب الثورة فقد لهج بشكره أغلب الشعراء ، وكانت مفاخره عنوان القصيد ، وبطولاته مداد الشعراء ، وكانت مأساته ونضاله وشقاؤه وصراعه مع المحتلين والاقطاعيين فيما بعد ثورة في الشعر العراقي الحديث تسابقت الأقلام لتصويرها وعرضها على الشعب وفي دواوين الحكومة لتكون نقطة انطلاق الأحرار من أسرهم . آخذين بنظر الاعتبار دوره البطولي في ثورة العشرين ومدى تفاعله بالأحداث مركزين على النواحي الايجابية في سلوكه وحسن استغلاله ، وان كان ما لمسناه من شعر الثورة خلال أحداثها

---

(١) انظر : ذكرى الثورة العراقية ـ منشورات حزب الاستقلال ص ٩ .

يختلف في بعض الجوانب عما قيل في الفـــلاح بعدها من حيث القوة ووضوح الغرض ، فالانتقال السريع من المؤثرات الاجتماعية الى السياسية ومخاطبة العواطف كان من سمات الثورة أما التبسط في شرح وعرض المشكلات الاجتماعية لاستخلاص الغرض السياسي منها فكان من أبرز مظاهر الشعر العراقي الحديث الموجه الى الفلاح بعد الثورة ، وهو ما نجده في شعر الشرقي والصافي النجفي ، بينما نضع شعر محمد صالح بحر العلوم على خط يفصل بين الاسلوبين ، لطرحه المشكلات الاجتماعية في عرض عاطفي حاثا على الثورة في كثير من المناسبات بأسلوب يتساوى قدر الانفعال فيه مع امتداد نفسه في القصيدة [1] .

اما عبدالرحمن البناء وعبدالغني الخضري فالفلاح في شعرهما لا يعني غير الجندي في المعركة ولهذا فقد أكدا على الجانب الثوري في عواطف الفلاح قبل أن يستعرضا مشاكله الاجتماعية وربما كان وضوح تلك المشاكل في مفهوم الشعب أدى الى ولوجهما في الغرض مباشرة .

وتبرز احياناً صورة اخرى نلمحها في أسلوب ضياء شكارة وجواد السوداني نتفق فيها مع الأول لنزعته الاخبارية في سرد محاسن الفلاح وذكر فضائله في الحرب والسلم . ونطلب المزيد من الثورية من الثاني لعدم توجيه الخطاب الى الفلاح مباشرة بل يتوسط لدى الحكومة في الاخذ بيده .

وما سنجده في الشعر العراقي من هذا الفن الذي خدم قضية الفلاح يعكس لنا صورة حقيقية لوجه الثورة الفكري وعماده الفلاح . ولذا فقد حق لبعض الشعراء

---

(١) سنتنقل الى الاستشهاد بما يدعم قولنا بعد هذا العرض الموجز

أن يتباروا فى شعرهم لخدمته ، فهو الذي أوجد كيان العراق وأقام دولة باسم عرب العراق لأول مرة في التاريخ الحديث .

وفلاح العراق كان أول مصباح أضيء في ليل الكفاح كما يقول ضياء شكارة مخاطباً إياه :

ان عز في ليل الخطوب صباح ... فلأنت أنت صباحه الوضاح
تتطلع الدنيا لعزمك رهبة ... والعزم عندك فكرة و كفاح [1]

وجميع من ذكروا الفلاح أشادوا بنضاله المرير من أجل استقلال العراق و بناء عرشه . ورغم ذلك فالفلاحون يعيشون فى أكواخ واهية هم وحيواناتهم ، بينما ينعم طغاة بغداد في قصورهم التي ارتفعت على اشلاء الفلاحين البائسين . نجد ذلك في صور فنية أبدعتها قرائح الشعراء في رسم صادق يتسم بالوطنية التي غذتها آلاف الفلاحين بعصارة الأرواح ، وطول الشقاء .

يقول جواد السوداني في قصيدته التي أسماها (الفلاح) :

خذوا بيد الضعيف فقد اقيمت ... كراسي حكمكم بيد الضعيف
اكل متاعب الفلاح تجبى ... اليكم وهو يحلف بالرغيف
فدى الكوخ الحقير وما حواه ... زخارف ذلك القصر المنيف [2]

فهؤلاء الضعفاء ـ في نظر الحكام ـ هم الذين أقاموا كراسي حكمهم بأيديهم يوم حملوا الخنجر والفالة والهراوة والبندقية القديمة ، وغنموا بها استقلال العراق

---

(١) انظر : محاضرات عن الشعر العراقي الحديث ـ الدجيلي ص ٧٤ .
(٢) المصدر نفسه ص ٧٦ .

ولم يدر بخلدهم أنه سيئول الى تلك الرؤوس الجوف ، فأين الثمن للدم المراق ، ومن سيكافىء جنود الاستقلال ؟

ليس غير الشعراء من أهداهم المكافأة درراً من الشعر ، وفي هذا ما يكفي الخلود ويرفع اسم الفلاح ويجدد عزمه على المضي في طريق الثورة ، فلبحر العلوم والشرقي والرصافي والجواهري والحبوبي والصافي وحسين كمال الدين ومحمد رضا المظفري وآخرين لا يحيط بهم الحصر من الشعراء الذين كثر ترداد ذكر الفلاح في شعرهم جولات في هذا الباب .

ولربما وجدنا غالبية الشعر الملتزم لقضية الفـــلاح مبعثه النجف وكربلاء والعمارة ومناطق الفرات حيث كان الشعراء يعيشون تجربته ويحملون نفس الشعور المتقد في نفسه ، وهي تجارب أدبية صبغت الشعر العراقي بدهان المعاناة من ارزاء المشكلات الاجتماعية التي برزت في العراق بعد خنق الثورة .

وكان محمـد صالح بحر العلوم في مقدمة الشعراء غزارة في الانتاج الحافل بذكر الفلاح وفي اسلوب هادر ، وان كنا لا نلمح فيه ذلك البيان المشرق أو التعقيد اللفظي والمعنوي فهو واضح الاغراض سام بالخيال ، جاعلا مقياسه دائماً قصور الساسة وكبار الاقطاعيين والمتنفذين في البلد ، حاثاً الفلاح على اعادة دوره في الثورة غير مبال من النقمة والسجن ـ يقول في احدى سنوات الذكرى :

حزيران عادت ذكرياتك يحتفى ... بها الشعب والوادي يحف به البشر
يسامرك النجوى وفي غمراتها ... من النور غمر يقتفي اثره غمر
فتبدو رؤوس الاحتلال مصابة ... بذعر ومن أكواخ ثورتك الذعر
وقد تثب الاكواخ في وجه ظالم ... فيسقط مفتوحا بوثبتها القصر

وما لغة التحرير الا انتفاضة تفنن في استعمالها المنطق الحر (١)

وقد أبى الشاعر في كثير من المناسبات الا أن يجعلها ثورة الفلاح ، وفيها تقدير منه للفلاح قربه كثيراً الى الأوساط الشعبية وجعله ينطق باسمها دوماً وهو شعار خطه لنفسه على طول الحياة .

فمن قصيدة أسماها (ثورة الفلاح) يخاطب فلاح الرميثة قائلا :

قف بالرميثة وانشد الفلاحا هل نال من ماضي الجهود فلاحا ؟
ادمت نواظره النوائب واصطلت أحشاؤه تتناوب الاتراحا
قد كبلته يد الصروف وأطلقت لذوي المطامع في البلاد سراحا
يتنعمون بكده ووجودهم لولا عنايتـــه لزال وراحا
تاريخ ثورته الشهيرة لم يزل في ذمـة استبساله وضاحا
نظر احتلال الفاتحين فراعـه وضع يزيد عتـوه استقباحا
لما تفاقمت الخطوب وجردت لهوانه (وهو المحال) صفاحا
لم الجموع وقاوم الصقر الذي أغواه زهو الارتفاع فطاحا
ومشى على شرف الاباء لموته باسم العروبة سيداً جحجاحا (٢)

ولعلنا نجد في شعر بحر العلوم وصفا دقيقاً للحالة الاجتماعية للطبقة العاملة في العراق خلال و بعد الثورة ، وهي طبقة الفلاحين بكل أبعادها ومحتواها ، وقـد أفاض الشاعر بوصف بؤسهم وشقائهم واستغلالهم ، وهو لم يقف عند هذا الحد من ابراز الصورة المثيرة للعواطف بل دعا الى الثورة صراحة . فحينما ناقش المشكلة

(١) انظر : ديوان بحر العلوم . المجموعة الثانية (مخطوط) ص ١٥
(٢) العواطف ـ بحر العلوم ص ٨٩

لم يناقشها كجزء كما أنه لم يجد خلالها غير الثورة ، قاصداً من ذلك خلق مجتمع أفضل مما يجده متمثلا في المجتمع الفلاحي ضمن المجموعة العراقية .

فالاطار الفني لشاعر الشعب تتكرر فيه الصور الشعبية الممثلة لحالة الفلاحين كلما قابلنا بقصيدة من هذا اللون ولذا فلا نجد تجديداً بيناً في شعر بحر العلوم غير ما قدمه في قصائده الأولى في الثورة ونسج على نفس المنوال فى جميع ما أعقبها ، وربما كان التزام الشاعر لفكرة سياسية معينة واندفاعه في ابلاغها جعله يقف عند هذا الحد ، وان كنا نراه قد فاق غيره بكثرة الانتاج بالاتجاه صوب الفلاح في ثورة عارمة كقوله :

يا ابنة الريف اجمعي لي حطبا وخذي من زفراتي ضرما
واحرقي كل ظلوم غاشم يجد اللذة فى أن يظلما
واتركي الرحمة فالناس هنا همج يحتقرون الرحما [1]

ومن يرجع لشعر بحر العلوم فى السنوات التالية يجده حافلا بمثل تلك الصور التي لا تبرح كوخ الفلاح ، فهو شاعر الفلاح بحق ، وبنظرته الى الفلاح لا يغالي في قوله ولا يبلغ مرحلة الخيال التي تبعده عن الصورة الحقيقية لكفاح الفلاح ، الفلاح الذي وجد فيه طاقات كامنة للوطنية يمكن تفجيرها في أي وقت تثقل فيه وطأة الاستعمار على الوطن .

واعترافاً للفلاح بجهوده المضنية فى الخلق والبناء الاقتصادي والسد الدفاعي للوطن ، رأينا بحر العلوم يوقف شعره أو جل شعره في سنوات النضال عليه .

---

(١) العواطف ـ بحر العلوم ص ١٤٦ .

وخص ثوار الفرات ـ وهم من الفلاحين ـ بالشيء الكثير من شعره، يقول في قصيدته (العبودية والاغلال) :

كونت اشلاء ثوار الفرات ... دولة يرأسها العضو الأشل
فاقتنت بالحسنات الماضيات ... ضعة الحال وضيع المقتبل[1]

أو قوله :

من (الرميثة) لاح الفجر مبتسما ... على الفرات فحياه الغريان
وأشرقت شمس هذا الشعب مشرقة ... أنوارها بنجيع الثورة القاني
يوم بحثت على ثان يضارعه ... في الرافدين فلم اعثر على الثاني[2]

وقوله مشيداً ببطولة الفلاح في ثورته :

يا ثورة الفلاح كم من فم ... أخرسه الفلاح في ثورته
وكم سقى استقلاله من دم ... اراقه حرصا على حرمته
و (فالة) الفلاح في حكمها ... أسكتت المدفع والمدفعي[3]

وهو دائماً يؤكد أن الثورة للفلاحين البائسين العراة من أبناء الفرات ويركز على تلك النقطة كثيراً ليلفت نظر حكام بغداد بأن مجدها الذي ورثوه في العهد الملكي لم يكن الا ثمرة نضال أولئك الفلاحين :

قبور قومي بضفاف الفرات ... قد منحت دجلة هذي (القصور)

---

(١) الروائع ج ١ ص ٤١ « مخطوطة الشاعر » .
والبيت الأول في (العواطف) ص ٣٣ :
كونت اشلاء ثوار الفرات ... أثراً ضيعه العضو الأشل
(٢) الرباعيات ص ١٥٥ « مخطوطة الشاعر » .
(٣) الروائع ١/٢٤٠ .

وصبر ثوار الفرات العـراة ألبس بغدادك (تاج الغرور)[1]

ولا نريد أن نكثر من ايراد الأمثلة الكاشفة عن دور الفلاح فى الثورة الوطنية الأولى الذي ورد في شعر بحر العلوم لأن شعر هذا الشاعر أحق بأن يسمى (ديوان الفلاح) والرجوع اليه يخرجنا بمئات الشواهد التي لا تتسع الرسالة لذكرها جميعاً .

وتاريخ العراق السياسي يشارك تاريخه الأدبي فى بيان أحقية الفـــلاح بالثورة ، وبده الطولى في ميادينها لا ينكرها المؤرخون . فكما أن علماء العراق وقادته السياسيين رسموا خطوط الثورة فالفلاحون كانوا جنودها والمصطلين بنارها قبل غيرهم .

وقد قال المؤرخون ـ بالرغم من اختلاف وجهات نظرهم ـ ما قالوا فى الثورة ودور الفلاح فيها بما لا يقبل الشك في ان موقفه في الفرات وعلى ضفاف ديالى قد أمد من عمرها وقلل من هيبة الاستعمار البريطاني الذي اكتشف خطأه في تقدير تلك القوة العربية الصامدة والتي لم يألف لهـا مثيلا في جميع المستعمرات ، يشهد بذلك مؤرخو الانكليز أنفسهم .

غير أن الذي وجدناه تجاهل الحكام طيلة العهد المباد دور الفلاح في الثورة ، فتمر الليـالي والأيام ويتوالى الزمن ، وهو رازح في القيود ، والفقر والجهل والشقاء ، يعيش الثورة المكبوتة الملتهبة في نفسه وهو يرى مشاهد الأحداث تمر من أمامه ومن خلفه ، وقد هانت ازاءها أحداث ٢٤ـ٩ـ١٩٢٠ يوم دخلت قوات الانكليز مدينـة الفلوجة وأرسلت جيوشها الى أراضي عشيرة (زوبع)

---

(١) الروائع ص ٥٦ .

فأحرقوا الزرع والبيوت وقتلوا النساء والأطفال، كما قطعوا الماء عن اراضي الشيخ ضاري فمات الزرع عطشاً [1]. وقبله أحداث الفرات الأوسط بأكمله اذ دمرت القوات الانكليزية الحرث والنسل وأحرقت القرى الآمنة.

بيد أن ذلك كله يراه الفلاح أهون عليه من الذي يتمثله بعيد الثورة، ففي أيامها رأى ان الايدي التي امتدت اليه فقطعها أياد انكليزية الدم واللحم، أما ما بعدها فوجوه عربية وقلوب انكليزية.

لذا وجدنا انتفاضات الفلاح الاخرى لا تقل عن انتفاضته في ثورة العشرين غير أنها موضعية وأحداث الثورة شاملة بالاضافة الى استعداد المتسلطين بمعونة الانكليز ووقوفهم لها بالمرصاد واجهاضها قبل أن تتنفس.

ولعل (ملحمة الثورة العراقية) التي نظمها علي البازي واستعرض فيها الثورة المقدسة ورجالها الأبطال وذكر الذين شاركوا فيها والمواقع التي التحم فيها الفريقان أحسن رمز لجهاد الفلاح والتي مطلعها:

قف بالرميثة واسأل ما جرى فيها غداة ثارت بشوال ضواريها
وعن سواعدها قد شمرت وقضت ان تستعيد بماضي العزم ماضيها [2]

وهي أشبه بتقرير تاريخي يتضمن أسماء القرى والعشائر التي شاركت في الثورة، والمواضع التي تمت فيها المعارك الفاصلة، وأسماء رؤساء وزعماء القبائل الثائرة بالاضافة الى العلماء أصحاب الفتاوى.

اما أسلحة الفلاح التي وردت في الشعر فهي السيف والخنجر والفالة والرمح

---

(١) شعبنا - يوسف العاني ص ٤٦. مطبعة شفيق - بغداد ١٩٦١
(٢) شعراء الغري ٤١٢/٦ - ٤١٧

والبندقية كما وردت بعض الاشارات الى المدفع الذي غنمه الثوار في احدى المواقع من القوات الانكليزية وضربوا به الباخرة (فايرفلاي) الراسية في شط الكوفة بعد اصلاحه . وقد عدها العراقيون مفخرة للفلاح الذي حملها بكل جرأة وبسالة ليرد بها الانكليز بمدافعهم ورشاشاتهم وطائراتهم ومختلف أسلحة التدمير الاخرى، وهو يهزأ بها لأن قوة سلاحه المستمدة من قوة ايمانه أقوى من اسلحتهم الفتاكة ، يقول علي الوردي في (وقفة على الجسر) :

يا دماء سجلت مهرقة ... آية النصر سموا وارتقاءا
ذكرتنا (فالة) الفلاح اذ ... طوحت بالمدفع الداوي فناءا
ذكرتنا اننا من أمة ... لم تطأطىء للطواغيت انحناءا [1]

اما محمد جواد المعمار فأشار الى رماحهم المشرعة وبنودهم الخفاقة حين عاودته ذكرى ثورة الفلاح بقوله :

فتلألأت في الرافدين رماحهم ... حتى استقل وبنده خفاق [2]

تلك الرماح التي لم يقف بوجهها اسطول أو مدفع أو طائرة :

لم تحم طائرة العدو جيوشه ... منهم ولا أسطوله والمدفع [3]

وبما ان لغة السيف هي المفضلة لدى العربي ، فقد وجدنا الشاعر في العراق يحاول ابرازها كثيراً في صور متداعية وأساليب متسقة ، تجري فيها الحوادث مع بريق السيوف ، وقد أعجبته غاية الاعجاب ، فرأى في استبسال الفلاح خير موضوع

---

(١) أماسي الاتحاد عدد ١ ص ٥٤ ـ ٥٩
(٢) محاضرات عن الشعر العراقي الحديث ص ٥٦
(٣) ديوان اليعقوبي ص ١٩٤

لعرضها في انسجام وتوافق مع الهدف الذي يسعى اليه .

وعلى هذا الاساس خلد السيف العربي في الكثير من قصائد عبدالغني الخضري . يقول في احداها :

يا ابنة التيمس اذكري يوم هجنا ... في وجوه الاعداء كالاساد
كيف ثرنا من قبل اسدا غضابا ... نطلب العز في ظهور الجياد
وعلى نغمة السيوف طربنا ... فخطونا لها خطى المتهادى
فرددنا السيوف منكسرات ... لم يفدها تنابع الامداد
وسقينا السيوف في ساحة الحرب مذاب القلوب والاكباد[1]

فمن شدة اعجاب الشاعر بالسيف وجدناه يحشر اللفظة في ثلاثة أبيات متتالية حشراً يفقد معه روعة القصيدة لاتصال النغمة الواحدة وترجيعها وايلافها لدى السامع او القارىء .

ان ما صوره الشعراء عن بطولة الفلاح يعد ملحمة رائعة ، ومفخرة للعرب جميعاً ، اذ لم يحمل الفلاح العراقي سلاحه ، ليخوض الحرب الا باسم العرب ، ولم يقو عزمه ومضاءه الا نشيد العرب . وفي هذا يقول احمد الصافي النجفي شارحا حالته في غدوه ورواحه ، وما يلاقيه من عناء التعب ، وجهد العمل في سبيل غيره ، وهو دامي القلب واليدين :

رفقا بنفسك ايها الفلاح ... تسعى وسعيك ليس فيه فلاح
لك في الصباح على عنائك غدوة ... وعلى الطوى لك في المساء رواح
هذى الجراح براحتيك عميقة ... ونظيرها لك في الفؤاد جراح

---

(١) ديوان الخضري ص ١٣

في الليل بيتك مثل دهرك مظلم ما فيه لا شمع ولا مصباح
فيخر سقفك ان همت عين السما ويطير كوخك اذ تهب رياح
هذى ديونك لم تسدد بعضها عجزاً فكيف تسدد الارباح[1]

ويستمر على هذا النفس المتصل بآلام الجراح، وسواد النكبة التي يعيشها الفلاح جراء مأساة الاقطاع في بيت مظلم يطير مع الريح ، كما يتطاير الثمر الى جيوب الاقطاعيين . وتمر الايام عليه وهو يرزح بثقل الضرائب المطالب بأدائها زيادة على الديون التي تراكمت عليه من سوء التقدير ، اذ كثيراً ما يقدر حاصله قبل أوان الحصاد بأكثر مما يستثمر فتكون النتيجة ديون متراكمة على الحاصل التالي . . وهكذا تستمر تلك المهزلة وتتجدد كل عام ، والثورة تسرى في عروقه. خاصة وان الشعر لا يغفله ولا يتركه لوحده في المعركة ، بل كان يتابع سيره ويجسد له مأساته علّه يكتب فصل النهاية لغاصبيه قوته ، والذين لا يعرفونه الا وقت جباية الخراج ، ولا يعنيهم أمر حقوله ان اخضرت أو اجدبت كما يقول الصافي :

لا يعرفونك ان حقولك اجدبت بل يعرفونك اذ يحين خراج[2]

وكلما دار ذكر الثورة ، فلولب الحديث هو الفلاح ، وكلما اشير الى (الفرات) ونهضته ، قرن الحديث ببسالة الفلاح ، واذا ما تقدم الشعب الى الحكومة بمطلب ، كانت فقراته الاولى حول تحسين وضع الفلاح وما ذلك الا لان للفلاح قدراً غالباً في نظر الشعب . فلفأسه ومسحاته ومجرفته جهاد مع الارض أيام السلام ، ولها شموخ وتطاول مع المحتلين في سنوات النار .

---

(١) شعراء الغري ج ١ ص ٤٠٨
(٢) شعراء الغري ج ١ ص ٢٧٩

فالفلاح في شعرنا الحديث رمز النضال والتضحية والفداء ، وعنوان ضخم للوطنية والاخلاص ، فقد عرفناه مجاهداً منذ الفترة المظلمة ، وقف بوجه الغزاة من أي لون كانوا ، وصراعه مع الفرس والاتراك ومن ثم الانكليز مشهود له في تاريخ العراق الحديث . فحول لغة الادب من الشكوى والتستر الى القوة الهادرة والثورة الجامحة ، لان الوطنية المنطلقة من احساسه المرهف بالولاء لقبيلته وأرضه الى التغني بتاريخه وامته جعلته ميدان القصيد وخاصة بعد الثورة ، اذ وضعت الامة آمالها عليه بعد أن وجدته يتقدم الصفوف في معارك الفرات الكبرى التي نظر اليها الشعراء بعين الاكبار والتبجيل ، موجهين خطابهم لارض الفرات علها تدفع فلاحها لملاحقة الدخيل بعد أن ضمت اشلاء اخوانه الطاهرة ، كما يقول الشاعر (برق) :

يا أم يا ارض الفرات تكلمي : كيف احتضنت طواهر الاشلاء
كيف احتملت خطى الدخيل وناره تنصب فوق حماتك الطرداء ؟
قسما بمجدك لا يكل مناضل حتى تبيد مظالم الدخلاء
والمجد غرس لا تطيب ثماره الا اذا رويته بدماء [1] !

اما محمد علي اليعقوبي ففي شعره اعجاب بوقفة الفلاح في (العارضيات) و (السماوة) و (الرستمية) و (الوند) وان لم يذكر اسم الفلاح صراحة فنحن نتطلع الى قصده من تشخيصه لمواقع الحرب اذ كانت رايات الفلاحين هي المرتفعة في تلك الانحاء كقوله :

كيف ينسى (بالعارضيات) يوم عارضت فيه كل جيش اتاها

---

(١) ذكرى الثورة العراقية ص ٢٠

دحرت كل قوة للأعادي ملأت أرضها بها وسماها
تلك بالطائرات والمدفعيات وهذى ببيضها وقناها
ثم عرج نحو (السماوة) واسأل من أباد العدى ومن أفناها
حي فيها فتيان صدق أجابت داعى الحق للوغى مذ دعاها
ورجالا (بالرستمية) شبوا نار حرب غير العدى ما اصطلاها
وبغربي (بابل) وقفات قد أشابت اهوالها من رآها
واعد نظرة الى (الوند) واعجب من هياج الاسود في هيجاها [1]

فهو ينتقل من هنا وهناك في وصف دقيق لماجريات الحرب المقدسة، وبلاء الفلاحين فيها، واضعاً لكل جماعة منهم نصيبها في الجهاد، شأنه في ذلك شأن الشعراء الآخرين الذين ركزوا على ذكر الفلاح في الشعر واستلهموا وحيهم من كفاحه وتلك غاية يدركها من يستمع ويستمتع بشعر الحرب.

وهكذا نجد ثورة الفلاح واضحة في شعر شعراء النجف ومن عاشوا مأساة الفلاح بعد الثورة، لانهم من تلك الطبقة. وان لم يكونوا من الفلاحين فهم أقرب الناس اليهم وشعورهم هو شعور الفلاح نفسه، ولهذا لا نستغرب من مجيء اغلب الشعر في منطقة الفرات الاوسط مصبوغا بدماء، الفلاحين مسجلا كل ما يدور في اوساطهم من الهمس الى الثورة، وفي نفس الوقت نجد الشعراء الآخرين في العاصمة ومراكز المدن الكبرى، يصارعون الاستعمار البريطاني بسلاح آخر وان التفتوا ايضاً الى الفلاح الا انهم اكثروا من الشعر في الدعوة الى القومية وعز العرب بعد ان انطلقوا من الدعوة الى الجامعة الاسلامية، والنزعة

(١) ديوان اليعقوبي ج ١ ص ١٧٠

الشرقية كالذي لاحظناه في شعر البناء والزهاوي والرصافي والعبيدي وعيسى عبدالقادر ، وهم محقون في هذا الاتجاه الذي سلكوه في رسم الطريق المباشر للنهوض بالامة العربية ، لعدم اتصالهم الوشيج بالفلاح او لضعف اتصالهم به ، ولقربهم من مصادر الثورة العربية ، والاتصال الفكري بها . بينما طريق شعراء النجف والفرات ظل حتى بعد الثورة متمسكا بمشاعر الفلاح . ولهذا كان حظ الفلاح من معركة الادب كبيراً وعظيماً عظم الثورة التي خلدت ذكرها الاجيال . وهو أدب يسمو بعواطفه الثائرة وعمق تجربة المعاناة ، وموضوع الوطنية والقومية، فغدا ذكره حديثاً للشجاعة والشهامة .

ان ما قيل عن الفلاح وما صور عن احساسه الوطني العميق المنبثق عن اصالته في طراده وحدائه يعكس لنا مشاعر الجزء الاكبر من المجتمع العراقي ايام الثورة وبعدها . وربما كان انفصال الفلاح الطويل وبعده عن مفاسد الحضارة والمدنية الحديثة ، وعدم اختلاطه بالشعوب الاخرى اورثه ذلك الشعور الوطني ، والذي هو جزء من الولاء للقومية العربية التي اتضحت في شعر شعرائه ، وفي لغته الدارجة المتمثلة في اهازيجه الشعبية وغنائه الريفي المحافظ على تراثه القديم الذي لم تستطع سلطات الاحتلال في مختلف العصور النيل منه .

فقد كانت الاهازيج الشعبية ولا تزال المعبر الحقيقي عن تاريخ الحرب لدى الشعوب والاقوام لانها تنطلق من افواه المحاربين وبلسانهم الخاص . فتحمل أكثر من دلالة على ان (الفولكلور) فن واقعي اصيل وتاريخ بليغ لتراث الشعوب لا يمكن للامم ـ مهما تسامت ـ ان تنسى دوره في النقل الواقعي لحياتها عبر العصور ، وما اعتورها من صراع وتناقض في الاخلاق والقيم والطبقات .

ومع علمنا بأهمية الشعر الشعبي ودوره الكبير في حركة الادب والتقائها بالثورة فقد رأينا انه ليس من المفيد ان نأتي عليه في هذا البحث لانه يستحق دراسة منفصلة عن موضوع الرسالة ، وان كنا قد وجدنا فيه مادة ضخمة شاركت في بنائها المرأة العراقية في الريف ، كما وجدنا فيه مسحة فنية معبرة ، وصوراً رمزيه وايحائية تبين مقدار الثقافة الفطرية التي بلغها الفلاح العراقي والتي تطلعنا على خياله الخصب المتفاعل مع شعوره الوطني والقومي . فمن الشعر الشعبي يمكننا ان نحصل على صورة قبلية لحالة تنظيم الثوار البدائي وهم يحاربون بأسلحتهم القديمة جيشاً مدرباً تدريباً حديثاً ، كما تبين لنا من هذا الشعر مبلغ احاطة الفلاح بأسماء المسؤولين العسكريين من الانكليز ، فقد وردت اسماء قادتهم وحكامهم مقرونة بالظلم والقسوة .

قال أحدهم يهجو الميجر (ديلي) حاكم لواء الديوانية السياسي لما هرب منها بعد ان احتلها الثوار :

شارد من أهـل الفوس مالك يديلي
جربت يوم الكون حيلك وحيلي[1]

وعندما أسقط الثوار طائرة بريطانية قال قائلهم بهذه المناسبة :

يالنرعد بالجـو هز غيرى

ولما انهزم الجيش الانكليزي في (الزارنجيـــة) قال شاعرهم مخاطباً الجيش المنهزم :

رد مالك ملعب ويانـه[2]

---

(١) انظر : الثورة العراقية الكبرى ـ الفياض ص ٣٤٣
(٢) المصدر نفسه ص ٣٤٤

وغيرها مما قيل في الثورة وشعور الفلاح نحوها في شعره الشعبي .

وقد تجاوزت بعض قصائد الشعر الشعبي المائة بيت كقصيدة علي البازي ، وقصيدة عبود النجفي . وشعراء آخرون نظموا في هذا اللون من الأدب من أمثال عبدالسادة القصاد ، وعباس العذاري الحلي ، ومحمد آل صيته ، وجعفر النجفي ، وكاظم حميد النجار ، وحسين الحلي ، وآخرين من الذين عاشوا أحداث الثورة أو هللوا لذكراها [1] .

نخلص من هذا كله الى القول بأن ورود لفظ الفلاح في الشعر ضمن لحركة الادب موضوعاً واسعاً يدور حول :

١ــ علاقة الفلاح بالارض وبالاقطاع .

٢ــ مشاركة الفلاح الفعالة في الثورة ، وما قدم من تضحيات في المال والارواح .

٣ــ دعوة الفلاح الى القومية منطلقاً من النزعة القبلية .

٤ــ جلاء الوجه الفكري له ، واكتشاف طاقاته الادبية سواء أكان ذلك في الفصحى أم العامية .

٥ــ التجرد من النزعة الفردية والاندفاع نحو المصلحة العامة .

٦ــ البطولة وكل ما له علاقة بها من اسلحة وخيول ، وهجوم ودفاع ، وتنظيم ، وأخيراً المفاوضات التي جرت بين العشائر التي بدأت بالثورة وحكومة

---

(١) من المفيد أن نشير هنا الى بعض المصادر التي توفرت على نشر الشعر الشعبي مثل : « الأدب الشعبي ــ خليل رشيد » ، « فنون الأدب الشعبي ــ علي الخاقاني » ، « الاغاني الشعبية ــ عبدالرزاق الحسني » ، « مجلة التراث الشعبي ــ ابراهيم الداقوقي » ، « املي الاتحاد ، مجلة الاديب العراقي ــ اتحاد الادباء العراقيين » ، « جريدة كل شيء ــ عبدالمنعم الجادر » وغيرها من الصحف والمجلات التي بدأت تعي أهمية الأدب الشعبي .

الاحتلال ، فكانت تلك العشائر آخر من أعاد الحسام الى غمده بعد ان أملت شروطها على الانكليز فيما يختص بعدم دفع الضريبة أو المساس بالاستقلال ، وغيرها من الامور التي بحثت خلال المفاوضات . وهو موقف بطولي وقفته قبيلة (الظوالم) التي اطلقت أول رصاصة في الثورة .

ومن اجل ذلك اعطى الشعر في الفلاح العراقي للقصيدة مضموناً مشحوناً بالثورة والتحدي تارة ، وبالمأساة الاجتماعية تارة اخرى .

مشاهد البؤس في شعر الذكرى :

بعد انتهاء الثورة شهد العراق عهداً جديداً من الظلم وسياسة البطش والارهاب . فقد شهدت الثورة نهايتها القاسية بيد جنود الاحتلال بعد الذي ذاقوه من مر القتال وبسالة العراقيين . ولم تكن تلك النهاية الا نذير شؤم للفاتحين ، وفاتحة مأساة للعراقيين . فقد بقيت روح الثورة مضطرمة في النفوس تملأ قلوب المحتلين بالرعب والفزع ، كما أدمت النكبة مشاعر الشعب لما خلفته من آثار محزنة في نواحي العراق المختلفة .

بدأ الانكليز باخماد انفاس الثورة المتبقية في بعض قبائل الفرات الاوسط بعد ان تمت السيطرة على العراق بأجمعه . وذهبت افواج من الشهداء فداء له ، ورحلت جماعات اخرى الى السجون والمنافي ، وشردت آلاف العوائل وبقيت في العراء وهي تنظر الى الانكليز وهم يدوسون على كرامتها ويزرعون الفزع في النفوس . فكان في العراق أرامل ويتامى ، واقطاع وعبيد ، ومشانق وسجون وفقر وجهل ، وخنق للحريات . ظهرت فيه بعيد الثورة كأثر سيء للحكم الجديد

الذي خلع لباس الاحتلال باسم الانتداب . وصنع عرشاً للعراق باسم الحكومة الوطنية ، وشجع الطائفية ليضمن ضعف الشعب واستمرارية سيطرته عليه .

وقد هزت تلك الارزاء مشاعر الشعراء وأهاجت عواطفهم ، فجاءت قصائدهم حافلة بفصول المأساة . فالشاعر ينظر الى آثار الحرب وما خلفته من دمار ، فيجسم مشاهد البؤس ، ويعرض صوراً حزينة للمجتمع العراقي اثناء الثورة وما بعدها . وهو يجد في ذلك شواهد على جرائم الانكليز تدعو الى الرثاء والشكوى مصحوبة بنغم حزين يسري فى اوصال القصيدة . وقلما وجدنا شاعراً يخلو شعره من تلك الصور .

وحينما يتأمل الشاعر فيما حوله تتصارع فى نفسه الآلام وتقطع انفاسه الحسرات ، ولكنه يقف ازاءها مشلول القوى لا يستطيع ابداء اية مجابهة حينما يجد سوط الجلاد مرفوعاً بوجهه . وقد ينفجر حينما لا يستطيع صبراً على الذل والشقاء ، فينطلق لسانه فى تصوير نوازعه وما يقاسيه من عذاب .

نجد مثل هذا الشعور عند سعد صالح حينما تنتابه ذكريات الليالي السود التي تخفى معها في نفس الشاعر كل امل بالحياة السعيدة ، فيقول :

أبوارق الآمال والآلام ... لوحي لعلك تكشفين ظلامي
فلقد بدا شبح الهموم على الدجى ... حلكا ركاما قام فوق ركام
متوسطا شبحين ذاك لمحنة الوطن الاسير وذا لفرط سقام
فلعلني شبح رهيب كالردى ... ولموطني شبح جريح دامي
نجوى تثير مشاعري وحفيظتي ... وتزيد من ألمي ومن أسقامي

فيقول لي شبح الهموم قد انطوت هذي الحياة وآذنت بختام[1]

وعندما فر سعد الى الكويت عقب الثورة ظلت احداثها ماثلة امامه ، فقد روعه واصحابه قصف المدفعية الثقيلة ، ومنظر مئات الالوف من الثوار ، واللاجئين الى النجف بعيالهم وأطفالهم ومواشيهم من (المسيب) و (كربلاء) و (طويريج) و (الكفل) .

وقد قال هذه القصيدة وهو يجتاز خطوط النار الى الكويت :

سئمت العيش في وطن يضام يذل يضطهد
محته يد القضاء فراح لا روح ولا جسد
عفت تلك الربوع فلا قديمات ولا جدد
رياض صوحت ومها ذعرن ومجمع بدد
ربوع غير سرح الوحش لا يأوى لها أحد[2]

فهو ينظر الى بعض ميادين الثورة التي اجتازها ، وقد أقفرت من اهلها ، ولم يبق فيها غير آثار الحرب ، ووحوش القفار وجنود الاحتلال .

اما الشاعر محمد سعيد الراوي فلا يتحدث عن العراق الا ويردد نغمته الشرقية لأنه يعتبر انتهاك الشعب العراقي ضيماً للشرق كله ، فيقول مخاطباً ابنة الشرق :

ألا حدثيهم يا سعاد عن الشرق وقولي لهم قولا بنم عن الصدق
ولا تمسكي عن قول حق فانما تطيب حياة المرء في مرتع الحق

---

(١) سعد صالح ـ محمد علي كمال الدين ص ١٣٩ .
(٢) المصدر السابق ص ١٣٦ .

وقصى عليهم ما جرى في ديارنا فقد فعلوا فيها أفاعيل لا تبقى
هم حرموا رق العبيد واطبقوا على حل رق الشرق من غير مارفق[1]

وفى تتبعنا للكثير من شعر الثورة سواء في أيامها ام بعد نهايتها وجدنا أن هناك فارقا في الاسلوب بين ما القى من الشعر خلال الحرب ، وما قيل بعد مأساتها، لأن الاضطراب السياسي قد أوجد قلقاً فكرياً واجتماعياً غير من معالم الحياة الأدبية والاجتماعية ، وأحدث فى الفكر العراقي هزات عنيفة وجدت آثارها في الشعر وسواه من الفنون الادبيه[2] .

غير ان هناك اجماعاً أو شبه اجماع لدى الشعراء في ذم الوضع اذا ما نظر الى بعض الشعراء الذين حاولوا أن يكتفوا من الضباب الذي أسدلوه على مآسي الثورة وهم قلة .

والاختلاف الذي وجدناه لدى شعراء الثورة اختلاف فى الاسلوب لا في الهدف ، فهم يهدفون الى فضح جرائم الاستعمار بحق الشعب العراقي ، غير انهم يفترقون في تناولهم لاجزاء المأساة . فشاعر يمتلىء حقداً ونقمة وغضباً فيأتي شعره انذاراً شديداً الى الانكليز . وآخر يغلف اسلوبه بالشكوى وذم الزمان ، والبكاء على الماضي المجيد وان كان لا يخلو من حقد على المستعمر لكنه لا يخرج عن هدوئه حينما يتجه الى ذكر نتائج الثورة .

وفي كلا الاسلوبين لا نبتعد عن جوهر الموضوع وهو كشف الواقع الذي

---

(١) شعراء الثورة العراقية ص ٧٨ .

(٢) انظر : نظرات في التيارات الأدبية الحديثة في العراق ـ جميل سعيد ص ٦ . مطبعة دار الهنا ـ مصر ١٩٤٦ .

يعاني بأساءه معظم أبناء الشعب . لأننا نلمس فيها أنين الجرحى ، وعويل الارامل واليتامى ، وشقاء الفلاح .

ومن بين عشرات الشعراء الذين استنزفت المأساة طاقاتهم وعواطفهم يقف الزهاوي خائفاً من هول الحرب ومصائبها ، مرتعداً من كوارث القتال . ولكننا لا نلمس في جميع قصائده التي قالها أيام المحنة اية اشارة أو لمحة نستدل منها على انه يلوم الانكليز أو يذمهم على ما جنوه في العراق . بل يجعل الشعب بصراحة هو الجاني ، ويسمي الثورة بـ (الفتنة العمياء) . لذلك فهي تفقد التأثير النفسي لدى القارىء ، وتجعل الزهاوي واحداً من اجزاء المأساة .

وقصيدته هي :

ما أنس يوم بدت في القطر حادثة ... من الحوادث تنسى الوالد الولدا
واذ ألمت به دهياء كارثة ... فأورثته الجوى والحزن والكمدا

والتي يذكر فيها :

قالوا عسى ان تنيل الشعب ثورته ... سعادة غير أن الشعب ما سعدا
لو قدروا الامر ما ثارت عجاجتها ... ولا شكت عنهم من خوضها الرمدا
ورب وارد ماء جاءه قدر ... فما أساغ له الماء الذي وردا
فيا لها فتنة عمياء ثائرة ... قد عذبت من بنيها الروح والجسدا[1]

ونحن وان كنا نقر الزهاوي على نظرته الى الثورة من كونها حدثت في ظرف تحتاج فيه الى التأني ، وانها حرب غير متكافئة ، ولكننا لا نتفق معه في قصيدته هذه لما فيها من تحامل على الثوار واستهزاء بالآمال التي وضعوها نصب

(١) انظر القصيدة في ديوان الزهاوي ص ١٤٥ـ١٤٦ .

أعينهم حينما قاموا بها كما اننا من جهة اخرى لا يمكننا اغفال الحزن الذي الم بالشاعر وهو ينظر الى مشـــاهد الدمار التي احدقتها حتى بمن كانوا بعيدين عن ميادينها . لذا ففي مرثاته لشهداء (الرميثة) نهج نهجاً آخر اتضحت فيه قسمات وجهه وهو يعبر عما في قلبـه من ألم دفين على تلك الاشلاء المتناثرة في أباطح الفرات ، يصور ذلك فى أسلوب حزين ورقة تقربه من اسلوب شعراء المنـبر الحسيني وهم ينعون الشهداء . وكأنه قد استعاد ذكريات واقعة (الطف) ومصرع الحسين ، مع ما في القصيدة من قفزات فنية غير موفقة في عرض الصور والانتقال من مشهد الى آخر بصورة فجائية وبدون تمهيد كسرعة تقلبه السياسي . فيقول :

ماذا بضاحية الرميثـة ... من غطارفة جحاجح
ولمن أقيمت في البيوت ... على كرامتهـا المناوح
قوم الى دار البوار مشوا ... فمن غاد ورائح
ولقد أصاب القوم ما ... أبكى العيون من الفوادح
ترك العدى فتيـانهم ... صرعى على طول المسارح
لهفى على الغر الشباب ... مجندلين على الصحاصح
ولقد تفور جروحهم ... بين الترائب والجوانح
بعـد الذين تجندلوا ... بالامس وجه الدهر كالح[1]

ولعل أثر المشاركة الوجدانية لدى القراء والمستمعين لهذا اللون من الشعر تجعل الشعراء يندفعون فى ابراز قابلياتهم . فنرى العاطفة الجياشة تتحكم فى نسق القصيدة وتسلسلها المنطقي بحيث تسرى فيها موسيقية الشعر بصورة مؤثرة ، تنخفض

(١) شعراء الثورة العراقية ص ١٢٠ ، الأدب الجديد ١/٥٢ .

وترتفع حسب وقفة الشاعر امام المأساة . ولهذا قيل ان الرصافي هو أول من أدخل مشاهد البؤس فى الشعر العراقي الحديث ، وقالوا انها من أشد الدواعي فى النظم[1] .

ونحن نقول : ان المأساة تكمن في قلب كل انسان تهز انسانيته رزايا الدهر فتثير فيه روح المشاركة الوجدانية ، وتدفع بها الى لهيب الحماس ، وربما تقودها الى الثورة على كل وضع شاذ يهدد كيان الامة .

والرصافي على حق في هذا الاتجاه لانه عاش على هامش المجتمع وأحس آلام البؤس والشقاء ، ولكنه يقول :

انما هذه الحياة جروح أثخنتنا والموت مثل الضماد

وذلك لكثرة ما مر عليه من المصائب :

كم أغرقتنى الليالي في مصائبها فعمت فيهن من صبري بدلفين

ومما يزيد من كابوس المأساة استشراء الظلم ، وبطش السلطان الجائر وهو عين ما ذكرناه عن حالة العراق بعيد الثورة اذ اتضحت لدينا معالم ذلك فى القرية والمدينة فتداولته اقلام الشعراء وشدت القراء والمعجبين اليهم بكل قوة ترى ذلك في مراثي الرصافي وسياسياته واجتماعياته ، ومنها :

وكم عند الحكومة من رجال تراهم سادة وهم العبيد
كلاب للاجانب هم ولكن على ابناء جلدتهم اسود
وليس الانكليز بمنقذينا وان كتبت لنا منهم عهود
ولكن نحن فى يدهم أسارى وما كتبوه من عهد قيود[2]

(١) الأدب العربي الحديث ـ أنور الجندي ص ٢٩١ .
(٢) ديوان الرصافى ص ٤٥٢ .

فالمأساة بكل أبعادها تتجلى في اغلب شعر الرصافي الذي شارك الشعب فيه آلامه لأنه لا يملك غير الشعر .

وينبغي ان نلاحظ في هذا الباب ان الصور الشعرية تتكرر عند اغلب الشعراء ، اذ هناك صورة الحرب بكل ما فيها من ضجيج وأهوال ، وما تركته من آثار دامية ، غير ان هـذه الصور تكون مكبرة وواضحة في قوة الاسلوب وجماله ، وقد تكون لمسات الشاعر فيها خفيفة لا تترك في خيال الآخرين أثراً راسخاً لفترة طويلة والشاعر الناجح يستولي على مشاعر قرائه بانتزاع الصـورة الممزقة للمأساة من الوسط الفلاحي المكتوي بنار الثورة وعرضها في اطار فني جذاب ينقلهم الى ذلك المحيط كما كان يفعله بحر العلوم والجواهري والشرقي .

يقول بحر العلوم :

سر على اسم الشعب يقظان الضمير تجـد القصـر كما تضمره
وخـذ العزم دليلا في المسير تنتفـع أضعـاف ما تخسره
وانظر الفـلاح معدوم النصير ليس في السلطة من ينصره
جهد يومه بقرص من شعير يابس في حجـر يكسره

في الوقت الذي كان الفلاح قبل الثورة راضياً من حياته التي يحياها دون ان تمتد اليه أيدي الحكام الذين نجروا كراسيهم من حنايا أضلعه ، وبنوا قصورهم من الضرائب التي استوفوها من محصوله ، فهو ينظر اليهم حذراً في الليل على ضوء المصباح الاثري ـ ان وجد ـ :

كيف حالي ان دجا الليل ولم يك عندي غير مصباح ضئيل
كل ما يذكيه كبريت الألم يستقى من رئتي زيت الغليل

وابنتي هيجت الصخر الاصم بعويل دونه كل عويل
تحرس الكوخ بعين لم تنم حذراً من سطوة (اللص الدخيل)[1]

ومشاهد البؤس في شعر بحر العلوم تقترن دائماً بالدعوة الى الثورة ضد الاوضاع الفاسدة ، ويؤكد دوماً على الفلاح لأنه عماد النهضة ، فيضع خطوط المأساة ، المتشابكة في الاكواخ المتداعية لتكون عند ندائه :

الكوخ يصرخ وانعكاس صراخه ملأ الحنايا رنة ونياحا
أنا بعت آلاف النفوس وقصر من خان البلاد يحصل الارباحا
أين العدالة والتساوي والاخا ؟ يا من وضعت لوهمها أشباحا
هي في جنان الاغنياء تركتها ليشاطروك على أسمها الاقداحا[2] ؟

ولا معدى للقول هنا من ان نذكر بأن تداول الشعراء للموضوع قد أفلت في كثير من الاحيان من الصور الحسية الى الصور الخيالية التي حركتها العواطف للظفر بمشاعر الجمهور الملتهبة ، لان المرحلة الراهنة تتطلب حشد أكبر مجموعة من الشعب في موقف موحد ، واعتبار أية دعوة الى المهادنة أو الاستسلام ولو بستار الوطنية عملا غير وطني . ومن هنا بدت علائم الرمزية تغزو أساليب الشعراء ، وظهر الوجوم والنظرة التشاؤمية لدى البعض الآخر وهي تطغى على ما كان لهم من آمال وأحلام قبل الحرب ، فكان شبح الحرب مخيفاً يتجلى بين كثيف من الدخان وشظايا القنابل . ولكن قد تتداخل أحياناً مع تلك الصور الرمزية ايماضات من الامل وبوارق الاحلام بعودة السلام وانتصار المبادىء التي دفعتهم الى الحرب ،

---

(١) انظر : الروائع ج ١ ص ٤٦ - ٥٠
(٢) المصدر نفسه ص ٦٧ وما بعدها

وربما لجأوا الى ذلك ليبقوا الجمهور مشدوداً اليهم ، ويغمزوا الحكام من طرف آخر علهم يتذكرون .

يقول حسن قشامش :

طالت ليالي بؤسها وشقائها حتى كأن شهورها أعوام
عم البلاء فلا ترى من مورد الا عليه للبلاء زحام[1]

فالصورة هنا قد انتزعها الشاعر من خطوط النار حينما هيجت ذكرى الحرب كوامنه فأضاف اليها شيئاً من نظرته القاتمة الى الحرب ، وعمل فيها الخيال بعض الشيء ليخرجها مكثفة تنفر منها النفوس وهي تحمل صور المأساة بكل ابعادها .

ولعل اليأس والقنوط بعد مشاهد الحرب والدمار وأحداثها المروعة وما اعقبها من نتائج حالت دون الوصول الى أهدافها اوجد في نفسية الشاعر شعوراً ذاتياً عبر فيه بسخطه على الزمن وشكواه من الدهر وتبرمه بالقضاء وقسوته وظلم الحياة ومرارة العيش . وربما خرج من الشكوى الى الالتجاء الى المجد الضائع ، كالذي نلمحه في هذه القصيدة وهي للشاعر حميد النجار :

حم القضاء وهل تراني ناقضا ما أبرمته يد القضاء المبرم
كم رحت أبحث عن شؤون اسدلت من دونها حجب الزمان المظلم
فلمستها في جنب قلب بائس وسمعتها في أنة المتظلم
ورجعت لاصول ولا قول فهل شدت يدي بالعدل أو سدت فمي؟
ولقد وجدت بكل صرح قائم أنقاض قلب من بنيك مهدم
وسمعت فيك بكل جوف رنة قطعت أواصر مجدك المتصرم[2]

(١) انظر : شعراء الغري ج ٣ ص ١١٨
(٢) المصدر نفسه ص ٣٣٥

وكثيراً ما نجد في شعر الشكوى وثبات شديدة الانفعال لانها تتعرض لمشاكل المجتمع التي واجهها خلال الثورة وبعدها ، وقد يستغل الشاعر ذكرى الثورة ليجدد الامل في النفوس على نهضة اخرى تغير من اسس المجتمع القائم على الفقر والجهل والمرض والاستبداد كقول محمد باقر الشبيبي :

واصبحت في أوطان قومي مروعا كأني في غاب من الارض مسبع(١)

وعلى هذا النحو يسير الشعراء معرضين بسياسة الحكام والانكليز في العراق عن طريق عرض صور الثورة في اطار المأساة لتحقيق امرين هما : التفاف المعارضة حول زعمائها ، وتضعضع مركز الحكومة الاستعمارية المطعمة ببعض العناصر المحسوبة على الوطنيين والتي ما يزال لها رصيد شعبي ، وحملها على التمسك بمطلب الشعب في اعطائه حريته كاملة واعادة المنفيين واجراء انتخابات برلمانية وفق قانون يضمن وصول الاحرار الى المجلس ليمثل الشعب حقيقة بلا تمويه .

ان النماذج التي مرت تعبر بصدق عن مدى تأثر الشاعر بالاحداث ، ولا يشترط ان يكون من الفرسان الذين حملوا السلاح في الحرب حتى وان رأيناه يقرب من الواقع في تلمس خطاها باستعماله ادوات القتل وانتقاله من مشهد الى آخر حينما يمثل فصول مأساة الثورة . وقد يكون من شعراء الشيعة خصوصاً من سكان النجف وكربلاء والكاظمية والفرات الاوسط فنلمس الحس العلوي في تجسيد مأساة الحسين واضحاً في شعر الثورة وقد التجأ الكثير من شعراء الثورة الى هذا اللون لانه يستفز عواطف الشيعة ويثير شكواهم . وما التجاؤهم الى الامام علي بن ابي طالب أو المهدي المنتظر وبقية الأئمة الا صورة لشدة الترابط بين شعر

---

(١) شعراء الغري ج ١ ص ٤٠١

المنبر الحسيني وشعر الثورة ، لعلمهم بأن هذا يضع الحق الى جانبهم ويقوى من عزماتهم في موقفهم من حكومة ما بعد الثورة ، كالذي نجده في شعر اليعقوبي وجواد الشبيبي وباقر الشبيبي والجزائري والبازي وابي المحاسن والفرطوسي وجميع شعراء النجف وكربلاء .

فاليعقوبي يجد الاستسلام بالامر الواقع عاراً اي عار :

حسب الغيور سبة أن يرتضى ... مستعمراً يحكم في بلاده
فعج معي نحو العراق باكياً ... (بصرته) ونح على (بغداده)
تلك غدت ضياء قوم ولجوا ... غابا من العز على اساده
وهذه موحشة تبكي امى ... لمجدها الغابر وافتقاده [1]

اما الشرقي فيؤلمه ان يطبق الدجى على العراق بعد خنق صوت الثورة فيقول :

ليت هذي الجماجم الحساسة ... شرحت للعراق معنى السياسة
أهي ان يلزم السكون ويبقى ... واجما وهو راكس فى التعاسة
ما لنهر الفرات ساخ على الضيم ... خضوعا من بعد تلك الحماسة
بعد أن كان شامخ الانف عزا ... اخرجت هذه الليالي عطاسه [2]

ان هذا الوجدان الجماعي الذي وجدناه فى شعر الذكرى يعطينا نماذج حية للادب الهادف او الملتزم لقضية الشعب . والشاعر كون بمفرده ، فهو المصور والفنان وهو المحارب الشجاع ، كما انه الشريد عن الوطن او السجين الذي ترهقه القيود ، واحياناً البلبل المغرد في رياض الوطن .

---

(١) مجلة العرفان ج ١٠ ص ١٠٦١
(٢) شعراء الغري ج ٧ ص ١١

وفي هذا المجال يقول خيري الهنداوي :

سئمت ببغداد المقـــام لأنني أرى لي فيها موقعاً غير موقعي
بكيت على عزي وما أنا والبكا لدى الخطب لو لم يعصر الذل أدمعي
سأنأى ولم أترك لدى القلب من هوى الى الدار إلا لفتـــة المتوجع

مع ما في قلبه من شموخ وصمود أزاء أحكام القدر القاسية :

يريد زماني أن يجرب طاعتي لأحكامه لكنني غير طيع[1]

بعد أن :

جرى اليسر دفاقاً الى غير أهله وحلت بأهليه المجاعة والعسر[2]

كما يقول باقر الشبيبي .

ويؤكد أغلب الشعراء على أن المأساة التي حلت بالعراق شارك فيها بعض أبنائه الذين ارتبطت مصالحهم والانكليز . فهم كانوا في يوم من الأيام مع هذا الشعب فجفوه وعملوا على تمزيقه كما يقول جواد الشبيبي :

قطعوا البلاد ومنهم أوصالها والقطع يؤلم في أكف جناة[3]

ونجد أحياناً خلال القصائد التي تتلمس جوانب المأساة شعراً تعليمياً متمثلا في الحكم والنصائح والوعظ يقف لدى بعض الشعراء في مثل تلك الروح من الشعر ، غير أن ذلك لا يقاس عليه ان وجد في أمثلة قليلة أدرجت في ثنايا القصائد الوجدانية لحكمة تجلت في ذهن الشاعر فأبرزها كوجه من وجوه القصد مع احتفاظه بالوحدة الموضوعية للقصيدة وانسياق العاطفة فيها .

---

(١) الأدب العصري ص ١٦ .
(٢) شعراء الغري ١ /٤٢٠ .
(٢) شعراء الغري ٢/٤١٢ .

فالشاعر ناجي القشطيني في قصيدته (وطني) يذكر المحنة ناصحاً:

حتـــام دمعك ينسفح ... وإلام سـرك ينفضـح ؟
أضحى يراقبـك الشقـا ... ء فما برحت وما برح !
وغدا عليك بكل مـا ... تهوى سياسته ملـــح
وطني اليك بغـير مـا ... يحـوى ضميري لم أبح
فـلانصحنك مـا حييت ... عـــاك يوماً تنتصـــح
وطني لقد فتشت ميـدا ... ن الحيـــاة المنفسح
لم ألق غـيرك في الورى ... ذا محنـــة الا منـــح[1]

ولعل اتجاه الشاعر العلمي وطغيان روح هذا المنهج قد أثر على اسلوبه الأدبي فجعله يحوم حول الموضوع باتزان ومساس للعواطف عن طريق النصح مرة والافتخار بنفسه مرة أخرى.

وما عدا بعض النصوص التي ركنت الى الهدوء في تلمس المأساة فاننا لا نعدم الروح الثورية في النصوص الأخرى وهي تعرض الموضوع في تلك الفترة.

والأدب العراقي كما وجدناه في نقل وقائع الثورة صريح في أغلب الأحيان، بعيد عن التملق والمحاباة. وأهم خصائص الادب العراقي هي امعانه في الصدق[2].

وهكذا يعطينا الشعر في الذكرى صورة تبدو اكثر اشـراقاً أمام الصورة التي قدمها لنا في التعبير عن مشاهد المأساة وأجزائها لما فيها من قوة في الاسلوب وربط بين الحاضر والماضي كما يقول جواد الشبيبي مثلا في قصيدته (فثقف معوج الضلوع احتلاله) والتي منها:

---

(١) شعراء الثورة العراقية ص ٩٠.
(٢) الادب العربي الحديث في معركة المقاومة والتجمع أنور الجندي ص ٢٦٨.

غدا الوطن المحبوب جزءاً موزعاً نوادبه أطلاله وظلاله
بمن يدفع الجلى وهذى يمينه من الزند جذت يوم بانت شماله
بكيت على الماضي وان كان مسلمي لحاضر وقت ليس يدري مآله
هجير من البأساء شق امتداده وظل من النعماء عز انتقاله[1]

فيبدو فيها قلب الشاعر الجريح وهو يئن من هول المصاب، ويتخذ من عرض مواطن الشقاء طريقاً لتحشيد ذكريات الثورة وبث الحماس في نفوس الجمهور. ومن ثم يتقدم بأسلوب جريء وسخرية لاذعة من الحكام وأسيادهم فيقول:

ولا تخل أنهم حراس مملكة فطالما تسرق الكرم النواطير
من الغرائب ان الهر في وطني ليث يدل وان الليث سنور[2]

يقول ذلك وهو في معرض تجسيمه لفصول مأساة الحكم الجديد الذي تمخض عن الثورة. ولم يكن هذا الاحساس بالظلم خاصاً بشاعر أو مجموعه من الشعراء، وانما كان موضوعاً هاماً من موضوعات أغلب الشعراء الذين ذكروا الثورة، وحملوا على النظام السياسي في العراق بعدها. من أمثال بحر العلوم والجواهري وآل الشبيبي والشرقي والبناء والعلاف وغيرهم من كبار شعراء العراق الذين امتد لهب الثورة في شعرهم الى الأجيال اللاحقة لهم فكان درساً في الوطنية، وغذاء فكرياً يتمثل به كلما مرت انتفاضة او وثبة في تاريخ العراق الحديث، كقول علي الشرقي الذي تعرض فيه لنظام الوصاية:

---

(١) شعراء الغرى ٢/ ٤٠٠.
(٢) المصدر نفسه ٤١٩.

يا حارس البستان دع شجري فما يحتاج حارس
من ليس تلدغه الأفاعي كيف تلدغه الخنافس[1]

وختاماً لهذا الفصل نذكر ما تجمع لدينا من انطباعات حول القصيدة البائسة أو شعر المأساة وجدناها متمثلة في :

١ — التأكيد على عنصر الاثارة والتوافق الوجداني
٢ — الاغراق في تصوير الجانب المعتم من الحياة .
٣ — استمرارية النغم الحزين في القصيدة .
٤ — الاكثار من الصور الرمزية .
٥ — التكرار والاقتباس .

ولذلك فقد وجدنا تقارباً ملموساً لدى اغلب الشعراء لأنهم أجمعوا على ذكر النقاط السالفة وأبرزوا صوراً حزينة للثورة وأحداثها الضخمة ، قاصدين من هذا وضع مفهوم الاحتلال السيء أمام الشعب ، وقد أغرق بعضهم في تبيان تلك المساوىء الى الحد الذي جعل أساليبهم تسف وتهبط مستوياتها الفنية ، ومع هذا الاسفاف والضعف في الأسلوب وجدنا لشعر الثورة وما قيل في ذكرياتها مكانة حميدة في نفوس العراقيين لان الاثر النفسي الذي خلفه في المجتمع كان أداة من أدوات الحماسة ، ومنبعاً ثراً للوطنية ، وتياراً جارفاً للشعور القومي ودفع الناس للمطالبة بالاستقلال . ولعله كان عاملا من عوامل استمرارية الثورة في المجتمع العراقي .

---

(١) جريدة الفيحاء عدد ١٣ في ١٩٢٧/٤/٣١

الخاتمة

وبعد فان ما قدمته من دراسة لشعر الثورة العراقية وجدته يلقي ضوءاً على تاريخ تلك الحقبة الادبية التي ولدت في العراق حركة فكرية مشهودة منذ اعلان الدستور العثماني، وبدأت تتميز بطابع الثورة والتمرد على القديم كلما وجدت لها متنفساً في احداث العراق والامة العربية.

ولقد قمت بتتبع الاحداث العنيفة التي مرت على العراق خلال الحرب العالمية الاولى حتى ثورة عام ١٩٢٠، وان كان ذلك بشكل موجز غير انني حاولت كشف جوانب الموضوع بكل دقة وامانة وحرصت على ان تكون الاحداث التاريخية غير طاغية على موضوع الرسالة ازاء حركة الشعر التي مهدت لها تلك الاحداث.

وكانت هذه الدراسة محاولة لضغط الموضوع ببحث مستقل يكون عوناً لمن يعنيه تاريخ تلك الفترة وأدبها.

ولدى تتبعي لشعر الثورة استجليت بعض النتائج التي عكست لنا صورة للوضع السياسي والاجتماعي والثقافي خلال حركة الدستور والحرب العالمية الاولى وجدت فيها ان الشعر العراقي الحديث كان متخلفاً عن الركب العربي غير ان حركة الدستور والحرب العامه طبعته بالقسوة والتجدد وأثرت في خلق الوعي الوطني والقومي في النفوس، وجعلتها في حالة استعداد وتهيوء للثورة، كما افاد الشعر بعيد الاحتلال الانكليزي في خلق شعور عام بالكراهية للانكليز وبعث الامل في الشعب لحكم نفسه بنفسه دون حاجة الى وصاية أو ارشاد من جهة اخرى.

وكانت الشواهد الشعرية التي اوردتها في هذا المجال قد اثبتت تلاشي النزعة الفردية وذوبانها في اطار المصلحة العامة ، كما حاولت ان أبرز دور القادة في الثورة بما يناسب مكانتهم في النفوس خلالها من الشعر فصورت جانباً من الاجتماعات والمشاورات الى قيام المظاهرات في بغداد وكربلاء والنجف ، وأظهرت دور علماء الدين وأهميتهم في انجاز المرحلة الاولى من الثورة في تهيئة الاذهان وربطها بها ، ومن ثم بداية الثورة واشتعالها وتأثير الشعر فيها .

وبالاضافة الى الاتجاه الوطني الذي حفل به الشعر العراقي الحديث فقد اثبت ان الروح الاسلامية ، والمفهوم القومي ، والنزعة الشرقية كانت روافد متلازمة في اطار الحركة الوطنية في الشعر الذي مهد للثورة .

أما بعد قيام الثورة فقد حاولت اظهار حركة الشعر بصورة أجلى مما كانت عليه في دور التمهيد لها ، فتبينت معالم الحركة الشعرية التي رافقت الثورة وابعادها ، وموقف الشعراء منها ، وانتهيت الى ان الشعراء وقفوا الى جانب الثورة بفكرهم ولم يشذ عنهم الا زمرة قليلة تخفوا باسماء مستعارة منذ بداية الاحتلال وبخاصة ما وجدته منسوباً اليهم من الشعر في جريدة (العرب) و (العراق) ومجلة (دار السلام) عدا الزهاوي الذي اعلن رأيه صراحة في الثورة فهاجمها اكثر من مرة وعدل عن رأية مرات ، كما وجدنا خلال البحث بعض الشعراء وهم من الكبار وقد اختفت اسماؤهم خلال الثورة كالشرقي والرصافي لخوفهم او لبعدهم عن العراق ، او انشغالهم بابلاغ رسالة الثورة خارج العراق كالشيخ محمد رضا الشبيبي . وعدا هؤلاء فان معظم شعراء العراق ساهموا في الثورة وبرزوا في ميدان الحركة الشعرية المناهضة للاحتلال .

وبعد تتبعنا لشعر الثورة وجدنا أغلب الشعراء قد انساقوا اليها كما انساق الفلاح وعامة الشعب بمقتضى فتاوى رجال الدين ، ومن هنا تبرز أهمية العامل الديني في قيام الثورة وان كنا لا ننكر دور الشعر في ذلك ـ فقد عرضنا للاتجاهات العامة لشعر الثورة وبينا مقدار احاطة الشاعر بما كان يجري في وطنه من احداث ، وما حدث فيه من تحولات في السياسة والاجتماع خلال فترة الصراع الفكري والعسكري بين الغرب والشرق .

وخلال الحديث عن النزعة الشرقية والمفهوم الديني والروح القومية في الشعر قلنا انها كانت قدراً متساوياً لدى شعراء الثورة وان اختلفت لغة الشعر بينهم فأثرت في قوة الاسلوب او ضعفه في ابلاغ رسالة الثورة واهدافهـــا الى اوسع الجماهير ـ غير ان الروح القومية ظهرت بعيد الثورة بصورة أكثر وضوحاً من السابق وطغت على الشعر الذي قيل في ذكرى الثورة والاحداث المرتبطة بها .

لقد أذكت الثورة جذوة الشعر لدى الشعراء بعد ان ظل ردحاً من الزمن يجتر ماضيه ويعيش على موضوعات سابقة تناولها الاقدمون ، وفتحت امام الشعراء أبواباً كثيرة كانوا يلجون من خلالها الى اغراضهم الشعرية ومن خلال فكرة الحرب التي خاضوها ضد قوى الاستعمار .

وامام هذا الزخم الشعري وقف شعراء لم يكن يسمع لهم شعر من قبل هم الذين اسميتهم بالشعراء الآنيين ، لقد أفزعتهم روعة الحدث ودهشة المناسبة فهبوا للجهاد وبدافع من الشعور الديني وقاوموا المحتل بكل ما يملكون من طاقات .

أن هؤلاء الشعراء الذين انطقتهم الثورة ليسوا من الشعر في شيء لانهم لم يكونوا يقولونه عن حب القريض ولا لمعرفة بأصول الفن ولكن المناسبة هي التي

أملت عليهم وحي الشعر ومن امثال هؤلاء : عيسى عبدالقادر وفاضل الصيدلي وعبدالمجيد البكري وغيرهم ممن لم نجد لهم ذكراً في تاريخ الادب العراقي لاختفائهم بانتهاء الثورة . فلم يذع شعرهم ذيوع الشعراء المتمرسين ولم يكن لهم رصيد فني يمكن لشخصياتهم الادبية ان تظهر وتبقى مستمرة في تقدمها . غير اننا لا ننكر دورهم في المعركة لانهم حشدوا طاقاتهم في سبيل الفكرة العربية في اطارها العراقي .

هذا الشعر الذي يصور لنا استجابة حرة وطليقة لتجارب نفسية مرت باصحابها لا يمكننا تجاهله من حيث الاستشهاد به كنصوص تاريخية ترقى الى عهد قريب من تاريخ العراق الحديث . كما انه شعر مقطعات لا تتجاوز ابياتاً معدودة نظمت في حالة من الانفعال العاطفي وصارت بين الناس مسيراً مقبولا في حينها ، ولكنها متشابهة جميعاً في التعريف بشخصية اصحابها الفنية وما انطوت عليه من بساطة ووضوح .

أما القسم الآخر من الشعراء فهم الذين يمكن ان ندعوهم بشعراء الجيل الاول وهم من الشعراء الكبار الذين واكبوا الثورة منذ فترة الاعداد لها حتى اندلاعها ، الا ان التطور الفكري في العراق دخل اساليبهم الشعرية وأحدث تغييراً في أغلب الصور التي كانوا عليها قبل الثورة ولهذا فنحن نلمح تأثير الثورة في شعرهم بصورة أكثر وضوحاً خلال الحكم الملكي وبعد استقرار الاوضاع وتبدل الاحوال السياسية في العراق وهذا التطور ناجم عن تفاعلهم بموجات التحرر في البلاد العربية ، وعن الجديد في الحياة الاجتماعية والسياسية ، بالاضافة الى تطلعهم الى الفكر الانساني الذي دخل العراق بعد الثورة بصورة اوسع وأشمل . ومن هؤلاء محمد علي اليعقوبي وابو المحاسن والبصير والشبيبي والزهاوي والرصافي .

اما شعراء الجيل الثاني وهو الجيل الذي جاء على اعقاب الثورة وسار في طريقها فلا نجد فيه كثرة من الشعراء بل قلة من الشعراء ذكروا الثورة في شعرهم وربما كان بعضهم ممن تفانوا في ذكرها والاشادة بابطالها كمحمد صالح بحر العلوم والجواهري ومحمود الحبوبي ، وممن استوعبوا الحدث صغاراً واعطوه اهمية كبيرة في ذكراها مصطفى جواد[1] ومحمد سعيد الراوي وهما ليسا من الشعراء ولعل مناسبة الذكرى أوحت لهما قرض الشعر بدافع من الوطنية .

ويمكننا اعتبار بحر العلوم الشاعر المجلي من شعراء الجيل الثاني اذ استوعب فكرة الثورة وظلت عالقة بذهنه حتى يومنا هذا فقد نذر نفسه لخدمة مبادئها واعتبرها منطلقاً اساسياً في الكفاح الوطني .

وفي عرضنا للشعر في مختلف مراحل الثورة خرجنا بالنتيجة التالية :

بساطة في التركيب ووضوح في المعاني ووضع للقصد امام مفهوم العامة لان الشعراء لم يقولوا مثل هذا الشعر لطبقة خاصة وفي ظروف اعتيادية بل همهم ان يلقوه للجماهير الثائرة ليكون زاداً للثورة ، ولم نستثن الا الجواهري اذ كان قمة في الاسلوب وفخامته وروعته بالاضافة الى استعماله للمفردات الغريبة والمعجمية ، ولكن وضوح الغرض جعلها لا تستغلق على المفهوم العام .

وفي شعر الثورة بعض الهنات والمآخذ ، والتي منها ضعف في الاسلوب وقلة في التجربة الشعرية تظهر لدى بعض الشعراء من امثال عيسى عبدالقادر وعبدالمجيد البكري وفاضل الصيدلاني وغيرهم من صغار الشعراء الذين لم تتضح بعد اساليبهم الشعرية في فترة الثورة ، وربما كان الانسياق العاطفي هو الذي دفعهم الى نشر الشعر قبل النضج .

---

(١) هو الدكتور مصطفى جواد ـ توفي مساء الاربعاء ١٧/٢/١٩٦٩

وللحقيقة نقول ان بعض الناظمين بل وحتى الشعراء الذين كتب لهم الرواج خلال الثورة لم يكونوا من المحلقين في سماء الشعر ، فقد وجدنا اخطاء نحوية وصرفية وعروضية كثيرة لديهم كاستعمال ضمير المؤنث للمذكر وبالعكس أو خروج على الاشتقاق العربي في بعض الاسماء والصفات ، او اختلال فى وزن القصيدة وكثرة الزحافات ، وكذلك ضعف وركة الاسلوب ، كالذي وجدناه لدى فاضل الصيدلاني وعبد المجيد البكري ومحمد سعيد الراوي .

او كقول عبد الحسين الملا أحمد :

قتلوا الشعور بموطني يا ورق عشاق المناصب

فاستعماله لواو الجماعة في (قتلوا) لا يقاس الا على لغة (أكلوني البراغيث) وكذلك استعماله (ايها) للمؤنث بدل (ايتها) .

ماذا جنينا ايها الور قاء من تلك الملاحم[1]

كما ان في شعر البناء والبصير اسفافاً وضعفاً يغتفر للاول لجهله اصول اللغة ويعاتب عليه الاخير لكونه من المشايخ والمطلعين على اللغة والادب .

ونبرر موقف الشعراء الذين لم يوفقوا الى الاجادة ـ وهم ليسوا قلة ـ بعامل الزمن اذ لم يسبق فترة النظم استعداد ذهني فى جو ايحائي بل ان لم تكن ارتجالا ففي وقت قريب جداً من المناسبة ، بحيث جاءت المفردات الفصيحة من الاستعمال العامي ، فليس فيها اقتناص أو اختيار بل عفوية وبساطة ـ ما عدا شعراء النجف فأغلبهم عاشوا التجربة الشعرية وتحكموا في الشعر واصبحت القصائد تنقاد اليهم بسرعة خاطر ، فأضحى شعرهم رقيق الحاشيه مشرق الديباجة تذوب فيه روح الشاعر . او كما يقول الشبيبي (محمد رضا) :

---

(١) انظر القصيدة في (ذكرى الثورة العراقية) ص٠ ٠

ليس هذا الشعر ما ترووونه ان هذي قطع من كبدي[1]

مع علمنا بانه مقل لا ينصرف الى الشعر الا متأثراً . لذا جاءت قصائده كما يقول بطي :

ـ صورة حساسة حيه تعبر عن وثبات النفس ونزعاته السامية ـ يشاركه في تلك العواطف اليعقوبي وابو المحاسن والجزائري ، لكونهم تلاميذ مدرسة واحدة هي المدرسة النجفية في قرض الشعر .

ونجد في شعر الثورة الصورة العباسية المشرقة تحت ظل السيوف كما في قول اليعقوبي وهو يخاطب الثوار في (الرميثة) وقد بعث بالقصيدة اليهم :ـ

وكيف تطيب في الدنيا حياة للفتى في ظل شعب مستباح
كأن منادي الهيجاء وافى يناديكم بحي على الفلاح
فليت نداء معتنق المنايا جباناً بات معتنق الملاح
وخير من رجال في قصور شباب يستظل شبا الصفاح
وما سيان كأس دم الاعادي وكأس طلا يطاف بها وراح[2]

ففي القصيدة جانبان جانب تتحكم فيه لغة السيوف فيه جلبة وضوضاء وأنين وجانب تصدح فيه أغاريد الحسان مع تعالي رنات الكؤوس ، وهذا الانتقال من الصورة الاولى ألى الثانية كثيراً ما يحدث في الشعر العباسي ، فهو صورة للطبيعة العباسية في ترفها اللاهي وجدية الحرب المدمرة .

وربما لم يكن اتباع الطريقة العباسية ناتجاً عن تأثر الشاعر الحديث بشاعر عباسي لاننا نستبعد مثلا ان يكون عبدالرحمن البناء في قوله :

---

(١) الادب العصري ٢/١١٥

(٢) ديوان اليعقوبي ص ١٦٤

وانا اناس ذوو رفعة بغير الرياسة لم نقنع[1]

قد تأثر بأبي فراس الحمداني في قوله :

وانا أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

لعلمنا بان البناء لم يكن مثقفاً او مطلعاً على التراث العربي لأي عصر من العصور عدا الفترة التي كان يحياها .

وقد كان شعر الثورة عارماً عنيفاً خلال اشتعال الحرب لذا فقد وجدناه لا يؤمن بالسلم اذا بدأ الطرف الثاني الحرب ، وفي هذا تقليد ومحاكاة لشعراء العرب في العصر الجاهلي اذ كانت النزعة القبلية مدعاة لاثارة الحروب لانها مسخرة لفخر القبيلة والمباهاة بأبطالها وتمجيد اعمالهم . لكن شعراءنا في العراق لا يبدءون مع الشاعر العربي :

بغاة ظالمين وما ظلمنا ولكنا سنبدأ ظالمينا

غير انهم لا يتوانون عن خوضها ان بدأت كقول كاظم السوداني :

بني العرب خلوا السلم قد حانت الحرب وانتم بها أولى وأجدر يا عرب
الستم وأيام الوغى شهدت لكم لدى الروع منكم يعرف الطعن والضرب
دعوا الضيم عنكم واطلبوا بحقوقكم فقد غصبت قسراً وضيعها الغصب
الى الآن جيش الظلم وسط بلادكم وما انتاشى في اوساطه السلب والنهب[2]

ففيها دعوة الى الحرب وعودة ألى المجد العربي القديم . بينما يعللها شاعر آخر تعليلا لطيفاً ، فهو يدعو قومه الى الحرب غير انه يعتبرها دعوة للقضاء على الحرب ،

---

(١) ديوان البناء ص ٢٤

(٢) انظر جريدة الاستقلال محمد عبدالحسين (نسخة مصورة في المجمع العلمي العراقي) العدد ٧ في ١٩٢٠/١١/١٢

انه عبدالكريم الندواني حيث يقول في قصيدة القاها بين المجاهدين في اطراف قضاء (الحي) :

ما الانتظار وقد بدت للرائي هذي البطاح تغص بالاشلاء
كونوا لنار الخصم ماء دافقاً فالنار يخمدها رشاش الماء (١)

واستعماله (للماء) مقابل (النار) لا يدل على تعمق في اختيار الصورة الشعرية غير انه لا يبعد عن مفهوم الفلاحين الذين يخاطبهم في (الحي) بمثل هذا الشعر .

وفي موضوع الحرب لاحظنا ظاهرة جديرة بالوقوف عليها ومؤاخذة الشعراء . وهي تكرار ممل لبعض الالفاظ كلفظة (السيف) التي أشرنا اليها في موضوع البطولة فقد طغت على مشاعر جميع الشعراء ، وعدوها وسيلة الانتصار ، وهذا عائد الى كونهم يعتزون بالتراث القديم ، وانهم لم يقطعوا الصلة بالماضي . ونحن لا نؤاخذ الشاعر على ايراده للفظه ولكن تكرارها يعود بالسامع او القاريء الى السأم منها وخاصة اعادتها في القصيدة الواحدة . كالذي نجده في قصيدة (أمة تطلب الحياة) لعبد الغني الخضري اذ حشرها في ثلاثة ابيات متتالية . أما لفظة (الفرات) و (الرميثة) فتكاد تجمع قصائد الشعراء على ذكرها . فنادراً ما وجدنا قصيدة قيلت في الثورة لم تتطرق اليهما وتعيد كل لفظة في اكثر من موضع في القصيدة . وفي اعتقادنا ان هذا افضل مما لو كرر شطراً من بيت او جزءاً من شطر كالذي نجده في قصيدة (مسير ومصير) لكاظم الدجيلي اذ كرر لفظة (يا سواد العراق) اربع مرات في اربعة ابيات متتالية :

(١) محاضرات عن الشعر العراقي الحديث ص ٥٥

يا سواد العراق بيضك الجذ ... ب فصرت البياض وسط السواد
يا سواد العراق فيك كنوز ... يعلم الله ما لها من نفاد
يا سواد العراق امحلك القو ... م وقد كنت روضة المرتاد
يا سواد العراق شلت يمين ... ذات اثم دلت عليك الاعادي[1]

وقد كرر عبدالرزاق بلال (علمي الانكليز) في قصيدته (في وهج الثورة) ثلاث مرات متوالية وهو مما يستكره في الشعر :

ضفة النهر لا مناص من الذود ... عن القطر فاستفزي وذودي
علمي (الانكليز) ان لغى التحرير ... موت لكاذبات العهود
« « ابلغ درس ... لغة النار والسنا والحديد
« « ان الاماني ... ليس مطراب بشرها بالبعيد(٢)

وكالذي فعله فاضل الصيدلي في قصيدته (لو ينفع القول) اذ كرر لفظة (سلام على ....) خمس مرات متتالية :

سلام على الدنيا اذا عنك اعرضت ... ولا اخصبت ارض ولا رحب النزل
سلام على الايام ان مسك الردى ... ستندبك الاوطان من حيث لا تسلو
سلام على شيخ الشعوب اذا ثوى ... سيرثيه حزناً بعدنا النسل فالنسل
سلام على العمران والعلم والحجى ... سلام على العدل الذي جاءه الثكل
سلام على عصر الرقى واهله ... وان لم يكن قط له أخ أو مثل (٣)

---

(١) الادب العصري ١/٢١٠
(٢) ذكرى الثورة العراقية ص ٢١
(٣) شعراء الثورة ص ١٣٤

وفي شعر الذكرى قصيدة لعدنان الراوي بعنوان (أمتي وقومي) كرر فيها المقطع (أمتي أمة الحياة) في القصيدة سبع مرات . (١)

لكن التكرار لا يعاب عليه ان احسن استعماله ، كالذي فعله الشرقي(٢) في قصيدته : (مع البلبل السجين) اذ كرر الشطر الاول من البيت (ايها البلبل المعلق في السجن) في كل مقطع من القصيدة .

واسنا هنا بصدد اعداد دراسة مستفيضة عن نقد شعر الثورة لان هذا يحتاج الى دراسة مستقلة عسى ان نوفق لبحثها في المستقبل .

وثمة شيء آخر نلحظه في شعر الثورة طابع السرعة والعجلة والارتجال في النظم لان المناسبة كانت تستدعي ذلك لذا لم يكن بالادب الرفيع من الناحية الفنية الا ما ذكرناه من شعر الجواهري و بعض شعراء النجف ، وقصائد من شعر البصير .

اما الرمز فقد تحدثنا عنه حين اتينا على مشاهد البؤس في شعر الثورة وربما كان في شعر الذكرى اكثر وضوحاً منه في وقت الثورة لان بعض الشعراء خافوا من أالجهر بآرائهم في الحكام في بداية عهد فيصل ، وقد بث اكثره في شعر الشكوى وذم الدهر . وخير قصيدة تعتبر رمزية معبرة عن الخيبة هي قصيدة البصير :

يا صبا هاك من دموعي طله ... فلعل الهوى يرق لعله

واستثيري كوامن الشوق اني ... لك رقرقت أدمعا مستهلة(٣)

---

(١) انظر القصيدة في ذكرى الثورة العراقية ص ١٠

(٢) عواطف وعواصف ص ٨ وما بعدها

(٣) انظر القصيدة : في (البركان) ص ١٣ وشعراء العراق ص٨٧

الوحـدة الموضوعية :

تتصف القصيدة الثورية بوحدة الموضوع وعدم وجود اغراض اخرى تمهد للغرض الاساس منها ، فلا تقليد في بدئها بذكر الاطلال والوقوف على الدمن وغيرها مما نجده في شعر القرن التاسع عشر . بل ولوج في الغرض بدون مقدمة او تمهيد كقول الجزائري :

مددنا بصائرنا لا العيونا وفزنا غداة عشقنا المنونا(١)

وقول ابي المحاسن في رثاء الشيرازي :

ياغلة الاحشاء غاض المورد يا أزمة الايام غاب المنجد(٢)

وقول البصير :

أعاد لنا السيف مجد العرب ففازت دمشق وعزت حلب(٣)

أو قول بحر العلوم :

ذكراك تحمل سيرة الاجداد سمراء تلهب ثورة الاحفاد(٤)

وقول الجواهري :

قبل ان تبكي النجيع المضاعا سب من جر هذه الاوضاعا(٥)

ومثل هذا ينطبق على معظم الشعراء الذين درسنا شعرهم ، وخرجنا بالصور السابقة منه .

---

(١) انظر القصيدة في شعراء الغرى ٧/ ٣٨٠

(٢) انظر القصيدة في ديوان ابي المحاسن ص ٤٠ـ٤٤

(٣) انظر القصيدة في الوقائع الحقيقية ص ٩٦

(٤) انظر ديوان بحر العلوم ـ المجموعة الثالثة ـ مخطوطة ص ١٣٩

(٥) انظر الشعر والشعراء ص ١٤

وجدير بالذكر هنا ان نقول ان الجواهري كان من أبرز الشعراء الذين ذكروا الثورة في شعرهم من الناحية الفنية رغم انه لم يقل فيها غير قصيدتين :

لعل الذي ولى من الدهر راجع فلا عيش ان لم تبق الا المطامع

والثانيـــة :

ان كان طـال الأمد فبعد ذا اليوم غد (١)

« فهو شاعر عبقري يملك بفنه ناحية اللغة التي اختزن منها فى صباه السهم الأوفر كما هو يتحكم بالاساليب التي اصبحت تتميز به فلشعره طابع خاص به وهو مدرسة بذاته »(٢) فقد نشأ مع الثورة شاباً وتعلق بها كهلا غير انه لم يقل فى ثورة العشرين بقدر ما قال بحر العلوم الذي كان لا يقل في براعة اسلوبه عن الجواهري كثيراً . وقد مثلنا لشعره في الثورة في مواضع متفرقة من البحث .

اما الآخرون فهم يجرون في الحلبة وفيهم المجلى وفيهم السكيت ، ومن خلال الامثلة التي اوردناها لشعرهم أو التي قرأناها لهم فيما يختص بالثورة لانعدم عنصر الجودة لدى البعض كالجزائري واليعقوبي وأبي المحاسن وغيرهم من شعراء مدرسة النجف والذين اشرقت الديباجة العباسية في اساليبهم ، كما لا يسلم بعضهم من الهنات والمآخذ كعيسى عبدالقادر الا اننا نجـــد في بعض تلك الاساليب بعض التجدد فى المعنى لا في المبنى لانهم لا زالوا يعيشون في اعقاب الفترة المظلمة .

وثمة صورة اخرى برزت فى الشعر العراقي بعيد الثورة ، نلمس فيها بصيصاً

---

(١) انظر الاولى في ديوانه جـ ٢ ص ٤٣٧ ط ٤ ـ م الرابطة ١٩٦١ بغـــداد . وانظر الثانية جـ ١ ص ٩٧ ط ١ م النجاح بغداد ١٩٢٨ « بين الشعور والعاطفة » .

(٢) محاضرات عن الشعر العراقي الحديث ص ١٩٩ ـ ٢٠٠

من روحها ، قد ينطفىء لدى بعض الشعراء نتيجة اليأس القاتل كقول عبدالحسين الازري من قصيدته « الطاغية » :

هذا العراق وكان في زمن من الازمان بحرا
سنن الوراثة كونت فى طبعه مداً وجزرا
متقلب كرياحه ما بين آونة واخرى
متحول كالرمل لا تدع الرياح له مقرا
كالشوك يسرع في اللهيب فان خبا لم يبق جمرا (١)

بينما يرتفع عند الشرقي فتجد فيه غمزاً ولمزاً واستخفافاً بالانكليز واجرائهم فى بغداد ساخراً من قوانين الانتخاب التي وضعت لصالحهم كي يضمنوا وصول انصارهم الى المجلس لنهب خيرات البلاد ، فيقول :

بالذي أملى على الامة صك الانتداب
والذي عدل فى بغداد مجرى الانتخاب
والذي ابقى له فى سورنا سبعين باب
علمونا كيف نوجو عمرانا من خراب ؟ (٢)

لكن تلك الصور الموجهة ضد الحكام تنتهي بانتهائهم وتدخل قصيدة الذكرى طوراً آخر بعد تحرر العراق من آخر شبح للاستعمار البريطاني ، وتكون انشودة جديدة موشاة بحاشية رقيقة ليس فيها ما يدعو الى الثورة لانتفاء الغرض ،

( ) انظر القصيدة في « مجلة عالم الغد » عدد ٣ السنة الاولى ك ٢ لسنة ١٩٤٥ .
(٢) انظر جريدة العراق عدد ١٨٥٣ في ٣ حزيران ١٩٦ وقد بين فيها رأيه فى الثورة .

ولا ما يثير الوجدان لتحقق الهدف . لكنها تبقى رمزاً للنضال الوطني الشريف واحياؤها تجديد له وقصة تروى .

هي ثورة العشرين أفخم قصة تتثال في لهب الضمير وطهره
قد صاغها وحي الزمان قلادة ذهبية تزهو بروضة صدره
فخراً بكل فضيلة قد صانها بلد الفضيلة مع مصائب دهره(١)

واخيراً ندرج هذه الملاحظات على شعر الثورة وهي : ـ

١ ـ ان شعر الثورة يقدم لنا مستنداً تاريخياً لاحداثها اذ رافقها في مختلف الميادين وبذلك يمكن الاستعانة بالشعر في دراسة تاريخ الثورة .

٢ ـ غلبة النزعة التقريرية والخطابية على معظم هذا الشعر .

٣ ـ ظهور الفكرة القومية بجلاء في معظم شعر الثورة .

٤ ـ وحدة الشعور الوطني وانهيار الفوارق الاجتماعية متجسدة لدى جميع شعراء الثورة .

٥ ـ كثرة النظام الذين انساقوا وراء عواطفهم واختفوا بعيد الثورة ، ولهذا وجدنا ركاكة وضعفاً في بعض القصائد .

---

(١) انظر جريدة « الجمهورية » العدد ٨٨٧ في ٣٠ حزيران ١٩٦٦ ، والقصيدة للشاعر « خلدون الموالى » من « جماعة النشء المعاصر » .

مراجع البحث

الكتب : ـ

١ ـ الاتجاهات الأدبية فى العالم العربي الحديث ج ٢ ، أنيس المقدسي
الطبعة الاولى . بيروت ١٩٥٢

٢ ـ الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ، عمر الدقاق
الطبعة الثانية . دار الشرق حلب ١٩٦٣

٣ ـ الأدب الجديد ، محمد الهاشمي ، المطبعة الحيدرية . النجف

٤ ـ الأدب العربي الحديث في معركة المقاومة والتجمع ، انور الجندي
مطبعة الرسالة . القاهرة ١٩٥٩

٥ ـ الأدب العصري في العراق العربي ج ١ — ٢ ، رفائيل بطي
المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٢ هـ ١٩٢٣ م

٦ ـ الاوشال ، جميل صدقي الزهاوي ، بغداد ١٩٣٤

٧ ـ ابو المحاسن الشاعر الوطني الخالد ، سلمان هادي الطعمة
الطبعة الاولى . مطبعة كربلاء — كربلاء ١٩٦٢

٨ ـ آراء في الادب العربي الحديث ، الدكتور يوسف عزالدين ، منشورات
مكتبة النهضة . مطبعة المعارف — بغداد ١٣٨١ هـ
١٩٦٢ م

٩ ـ أربعة قرون من تاريخ العراق ، لونكريك ت جعفر خياط
الطبعة الثانية . دار الكشاف — بيروت ١٩٤٩

١٠ـ أول الطريق ، صبيحة الشيخ داود . مطبعة الرابطة — بغداد ١٩٥٨

١١ـ البركان ، محمد مهدي البصير ، ملحق مجلة المعلم الجديد . المجلد الثاني والعشرون . مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٩

١٢ـ بغداد القديمة ، عبدالكريم العلاف
مطبعة المعارف ـ بغداد ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م

١٣ـ بغداد كما وصفها السواح الاجانب ، ترجمة سعاد العمري
دار المعرفة . بغداد ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م

١٤ـ بين الشعور والعاطفة ، محمد مهدي الجواهري
مطبعة النجاح . بغداد ١٩٢٨

١٥ـ البلاد العربية والدولة العثمانية ، ساطع الحصري

١٦ـ البطولة في ثورة العشرين ، عبدالشهيد الياسري
مطبعة النعمان . النجف ١٩٦٧

١٧ـ تاريخ الصحافة العراقية ج ١ ، عبدالرزاق الحسني
مطبعة الغري . النجف ١٣٥٣ هـ ١٩٣٥ م

١٨ـ تاريخ التعليم فى العراق ، عبدالرزاق الهلالي ط ١
شركة الطبع والنشر الاهلية . بغداد ١٩٥٩

١٩ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ط ٤ ، كارل بروكلمان ، ترجمة منير البعلبكي ورفيقه . بيروت ١٩٦٥

٢٠ـ تاريخ القضية العراقية ، محمد مهدى البصير ، بغداد ١٩٢٤

٢١ـ تاريخ الحلة ج ١ ـ ٢ يوسف كركوش
المطبعة الحيدرية . النجف ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م
٢٢ـ تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ، عباس العزاوي
٢٣ـ تذكرة الشعراء ، عبدالقادر الخطيبي الشهرباني . بغداد ١٩٣٥
٢٤ـ الترياق العاروقي ، عبدالباقي العمري ، مطبعة محمد افندي مصطفى ١٣١٦
٢٥ـ تطور الفكرة والاسلوب في الادب العراقي ، الدكتور داود سلوم
مطبعة المعارف . بغداد ١٩٥٩ م
٢٦ـ التطور الفكري في العراق ، محمد علي كمال الدين . بغداد ٩٦٠
٢٧ـ تكوين العراق الحديث ، هنري أ . فوستر . ترجمة عبدالمسيح جويدة
مطبعة الشعب . بغداد ١٩٣٨
٢٨ـ الثورة العربية الكبرى م٢ ، أمين سعيد
عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر
٢٩ـ الثورة العراقية الكبرى ، عبدالله الفياض ط ١
مطبعة الارشاد . بغداد ١٩٦٣
٣٠ـ الثورة العراقية الكبرى ، عبدالرزاق الحسني ط ٢
العرفان . صيدا ١٣٨٥ هـ ٩٦٥ م
٣١ـ ثورة العراق الكبرى (مسرحية شعرية) عبدالحميد الراضي
مطبعة الجزيرة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م
٣٢ـ ثورة العراق ١٩٢٠ ، الفريق سر المر هولدن . ت فؤاد جميل

٣٣ـ حركة البعث فى الشعر العربي الحديث ، الدكتور ماهر حسن فهمي
دار الطباعة الحديثة . القاهرة ١٩٦١
٣٤ـ حصاد السجن ، احمد الصافي النجفي ، منشورات مكتبة المعارف . بيروت
٣٥ـ الحصون المنيعة ج ٢ ، علي كاشف الغطاء . مخطوط .
٣٦ـ الحقائق الناصعة فى الثورة العراقية ، فريق المزهر آل فرعون ط ١
مطبعة النجاح . بغداد ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م
٣٧ـ خيري الهنداوي . الدكتور يوسف عزالدين
مطبعة لجنة البيان العربي . القاهرة ١٩٦٥
٣٨ـ خطرات . محمد مهدي البصير ط ١ مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٢
٣٩ـ دليل المملكة العراقية ، يعقوب الخوري
مطبعة الأمين . بغداد ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥ م
٤٠ـ ديوان ابي المحاسن . الشيخ محمد حسن المحاسني . نشر اليعقوبى ط ١
مطبعة الآداب . النجف ١٣٨٣ هـ
٤١ـ ديوان بحر العلوم . محمد صالح بحر العلوم . مخطوط في مكتبة الشاعر
٤٢ـ ديوان البناء أو (ذكرى استقلال العراق) ج ٢
مطبعة الفرات . بغداد ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م
٤٣ـ ديوان الرصافى . معروف الرصافي ط ٥
المكتبة التجارية . القاهرة ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦ م
٤٤ـ ديوان الزهاوي . جميل صدقي الزهاوي
المطبعة العربية بمصر ١٣٤٣ هـ ١٩٢٤ م

٤٥ـ ديوان الخضري ـ عبدالغني الخضري ـ
المطبعة الحيدرية ـ النجف ١٣٧١ـ١٩٥٢
٤٦ـ ديوان الجواهري ـ محمد مهدي الجواهري
ط ٥ ـ مطبعة الرابطة ـ بغداد
٤٧ـ ديوان الشبيبي ـ محمد رضا الشبيبي
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
القاهرة ـ ١٣٥٩ هـ ١٩٤٠م
٤٨ـ ديوان الفرطوسي ـ ج١ عبدالمنعم الفرطوسي
مطبعة الغري ـ النجف ١٣٧٦ـ١٩٥٧
٤٩ـ ديوان اليعقوبي ـ ج١ محمد علي اليعقوبي
مطبعة النعمان ـ النجف ١٣٧٦ـ١٩٥٧
٥٠ـ ديوان الكاظمي ـ ج٢ نشر حكمة الجادرجي
مطبعة دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة
٥١ـ ديوان السيد حيدر الحلي ج١
المطبعة الحيدرية ـ النجف ١٣٦٩ـ١٩٥٠
٥٢ـ ديوان العبيدي ـ محمد حبيب العبيدي
جمع وتحقيق أحمد الفخري
مطبعة الجمهورية ـ الموصل ـ ١٣٨٦ـ١٩٦٦
٥٣ـ ديوان رشيد الهاشمي ـ جمع وتعليق عبدالله الجبوري
مطبعة المعارف بغداد ١٣٨٤ـ١٩٦٤
٥٤ـ ديوان العلاف ـ عبدالكريم العلاف
مخطوط في مكتبه الشاعر

٥٥ـ ديوان الحبوبي ـ محمد سعيد الحبوبي
المطبعة الاهلية ـ بيروت ٣٣١
٥٦ـ ذكرى الخالصي ـ عبدالرزاق امين
مطبعة الاستقلال ـ بغداد ٣٤٣_٩٢٥
٥٧ـ ذكرى الثورة العراقية ـ منشورات حزب الاستقلال
دار دجلة للطباعة والنشر ـ بغداد ٩٤٧
٥٨ـ رباعيات بحر العلوم ـ محمد صالح بحر العلوم
مخطوط في مكتبة الشاعر
٥٩ـ رجل الشارع في بغداد ـ محمود العبطة المحامي
مطبعة الامـــة
٦٠ـ رحلة نيبور في القرن الثامن عشر
ترجمة سعاد العمري ـ دار المعارف بغداد
١٣٧٤_١٩٥٤
٦١ـ الروائع ـ بحر العلوم
مخطوط في مكتبة الشاعر
٦٢ـ الروض الأزهر ـ مصطفى الواعظ
مطبعة الاتحاد الموصل ٣٦٨_٩٤٨
٦٣ـ زعيم الثورة العراقية ـ عباس علي
مطبعة النجاح ـ بغداد ٣٦٩_٩٥٠
٦٤ـ الزهاوي ـ اسماعيل أحمد أدهم
مطبعة التعاون ـ الاسكندرية ١٩٣٧

٦٥ـ الزهاوي شاعر الحرية ـ انور الجندي
الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٠
٦٦ـ الزهاوي ـ الدكتور ماهر حسن فهمي ـ سلسلة اعلام العرب
مطبعة مصر ١٩٦٥
٦٧ـ الزهاوي بين الثورة والسكوت ـ عبدالرزاق الهلالي
مطبعة صميا ـ بيروت
٦٨ـ سحر بابل ـ جعفر الحلي
العرفان ـ صيدا ١٣٣١
٦٩ـ سعد صالح ـ محمد علي كمال الدين
مطبعة المعارف ـ بغدار ١٩٤٩ـ١٣٦٩
٧٠ـ الصحافة العراقية ـ فائق بطي
بغداد ١٩٦١
٧١ـ الشاعر الثائر محمد باقر الشبيبي ـ عبدالرزاق الهلالي
شركة الطبع والنشر الاهلية ـ بغداد
١٣٨٤-١٩٦٥
٧٢ـ شاعرية أبي المحاسن ـ خضر عباس الصالحي
ط١ مطبعة الآداب النجف ـ ١٣٨٥-١٩٦٥
٧٣ـ شخصيات عراقية ج١ خيري العمري
دار المعرفة ـ بغداد ١٩٥٥
٧٤ـ الشذرات (شعر) محمد مهدي البصير
المطبعة السريانية الكاثوليكية ـ بغداد
١٣٤٠-١٩٢٢

٧٥ـ شعراء الثورة العراقية ـ خضر العباسى
مطبعة دار المعرفة بغداد ١٩٥٧

٧٦ـ الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه
الدكتور يوسف عز الدين
الدار القومية ١٣٨٥-١٩٦٥

٧٧ـ الشعر السياسي العراقي فى القرن التاسع عشر ـ ابراهيم الوائلي
مطبعة العاني ـ بغداد ١٣٨١ـ١٩٦١

٧٨ـ شعراء الغري ج١ — ٩ علي الخاقاني
المطبعة الحيدرية ١٣٧٣ـ١٩٥٤، ١٣٧٦ـ١٩٦٥

٧٩ـ شعر العراق الاجتماعي ـ الدكتور يوسف عز الدين
بغداد مطبعة العاني ١٩٦٢

٨٠ـ شعراء العراق المعاصرون ج١ — ٢ غازي عبدالحميد الكنين
مطبعة الشباب ـ ١٩٥٧، ١٩٥٨

٨١ ـ الشعر والشعراء في العراق ـ احمد ابو السعد
دار المعارف ـ بيروت ١٩٥٩

٨٢ ـ شعبنا ـ يوسف العانى ط١
مطبعة شفيق ـ بغداد ١٩٦١

٨٣ ـ شعراء الحلة ـ البابليات ـ ج١ـ٥ علي الخاقانى
المطبعة الحيدرية ـ النجف ١٣٧٢ـ١٩٥٣

٨٤ ـ شعراء بغداد ج٢ ـ علي الخاقاني
مطبعة اسعد بغداد ١٣٨٢ـ١٩٦٢

٨٥ ـ شعراء من كربلاء ج٢ ـ سلمان هادي الطعمة
مطبعة الآداب ـ النجف ١٣٨٧ـ١٩٦٧
٨٦ ـ الشيخ عبدالكريم الجزائري ـ محمود المظفر
مخطوط
٨٧ ـ صدى السنين ـ محمد بديع الذويب ط١
مطبعة الايمان بغداد ١٣٨١ ـ ١٩٦١
٨٨ ـ العراق في دوري الاحتلال والانتداب ج١ عبدالرزاق الحسني
مطبعة العرفان ـ صيدا ١٣٥٤ـ١٩٣٥
٨٩ ـ العراق الثائر ـ منشورات الفرع العسكري الثقافي
مطبعة الحكومة بدمشق
٩٠ ـ العراقيات ج١ رضا وزاهر وزين
مطبعة العرفان ـ صيدا ١٣٣١
٩١ ـ العراق قديماً وحديثاً ـ عبدالرزاق الحسني
مطبعة العرفان ـ صيدا ١٣٦٧ ـ ١٩٤٨
٩٢ ـ العراق بين أمس واليوم د. فاضل الجمالي
بغداد ١٩٥٤
٩٣ ـ العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ـ توفيق علي برو
دار الهنا للطباعة ـ القاهرة ١٩٦٠
٩٤ ـ على هامش الثورة العراقية ـ فراتي
منشورات جريدة الهاتف ـ بغداد
٩٥ ـ العواطف ـ محمد صالح بحر العلوم
مطبعة الراعي ـ النجف

٩٦ ـ عواطف وعواصف ـ علي الشرقي
مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٥٣
٩٧ ـ العوامل الفعالة في الادب العربي ـ أنيس المقدسي
مطبعة المقتطف ١٩٢٩
٩٨ ـ فصول من تاريخ العراق القريب ـ مس بل ـ ترجمة جعفر خياط
دار المكشوف ـ بيروت ١٩٤٩
٩٩ ـ فنون الأدب الشعبي ـ الحلقة الرابعة ـ علي الخاقاني
منشورات دار البيان ـ بغداد ١٣٨١ـ١٩٦٢
١٠٠ ـ فيصل الاول ـ أمين الريحاني
مطبعة صادر ـ بيروت ١٩٣٤
١٠١ ـ في غمرة النضال ـ سليمان فيضي
شركة التجارة والطباعة بغداد ـ ١٩٥٢
١٠٢ ـ كربلاء في التاريخ ـ عبدالرزاق آل وهاب
مطبعة الشعب ـ بغداد ١٣٥٣ـ١٩٢٥
١٠٣ ـ الكلم المنظوم ـ الزهاوي
دار مصر للطباعة ـ القاهرة ١٩٥٥
١٠٤ ـ لب الالباب ـ محمد صالح السهروردي
مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٣٣
١٠٥ ـ اللباب ـ الزهاوي
مطبعة الفرات ـ بغداد ١٩٢٨
١٠٦ ـ لغة الشعر في القرن التاسع عشر ـ ابراهيم الوائلي
مطبعة الارشاد ـ بغداد ١٩٦٥

١٠٧ ـ لمحات من تاريخ العالم ـ جواهر لال نهرو
منشورات المكتب التجاري بيروت ١٩٥٧
١٠٨ ـ ماضي النجف وحاضرها ـ جعفر محبوبة
العرفان ـ صيدا ١٣٥٣
١٠٩ ـ مجموعة الاستاذ ابراهيم الوائلي (مجموعة شعرية لبعض شعراء العراق
بخط (استاذنا ابراهيم الوائلي)
١١٠ ـ مجموعة بيانات ونشرات الثورة العراقية ١٩٢٠ مصورة في المجمع
العلمي العراقي برقم ١٥٩
١١١ ـ محاضرات عن العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ـ عبدالرحمن البزاز
ط٢ الرسالة ـ القاهرة ١٩٦٠
١١٢ ـ محاضرات عن الشعر العراقي الحديث ـ عبدالكريم الدجيلي
جامعة الدول العربية ـ القاهرة ١٩٥٩
١١٣ ـ محاضرات عن جميل الزهاوي ـ الدكتور ناصر الحاني
مطبعة دار الهنا ـ مصر ١٩٥٤
١١٤ ـ مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ـ الدكتور احمد قدري
مطابع ابن زيدون ـ دمشق ١٣٧٥ـ١٩٥٦
١١٥ ـ مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية ج١ تحسين
العسكري ـ مطبعة المعهد ـ بغداد ١٣٤٥ـ١٩٣٦
ج٢ مطبعة الغري ـ النجف ١٣٥٧ـ١٩٣٨
١١٦ ـ مذكراتي في صميم الاحداث ـ محمد مهدي كبة
منشورات دار الطليعة ـ بيروت ١٩٦٥

١١٧ ـ المرأة فى حضارة العرب ـ محمد جميل بيهم ط١
شركة الطباعة الحديثة ـ بيروت ٩٦٢
١١٨ ـ المرأة في الشعر العراقي الحديث ـ احمد المفرجي ط١
مطبعة الجامعة ـ بغداد ٩٥٨
١١٩ ـ معجم رجال الفكر والأدب في النجف ـ محمد هادي الأميني ط١
مطبعة الآداب ـ النجف ٣٨٤ـ٩٦٤
١٢٠ ـ معروف الرصافى ـ حياته وأدبه السياسى ـ رؤوف الواعظ
١٢١ ـ مقالات ـ ج١ ـ فهمي المدرس
مطبعة الشعب بغداد ٣٤٩ـ٩٣٧
١٢٢ ـ مقالات ـ الدكتور علي جواد الطاهر
مطبعة اتحاد الادباء العراقيين بغداد ٩٦٢
١٢٣ ـ (الاحتلال والثورة العراقية واثرها في الشعر)
مقالة للاستاذ ابراهيم الوائلي ـ مخطوطة
١٢٤ ـ من شعرائنا المنسيين ـ عبدالله الجبوري
دار الجمهورية بغداد ٩٦٦
١٢٥ ـ مهرجان الرصافي ـ اتحاد الادباء العراقيين
مطبعة المعارف بغداد ٩٥٩
١٢٦ ـ موجز تاريخ العراق الحديث ـ الدكتور زكي صالح
مطبعة الرابطة ـ بغداد ٣٦٨ ـ ٩٤٩
١٢٧ ـ المواهب ـ عبدالكريم العلاف
مخطوط

١٢٨ ـ نظرات فى التيارات الادبية الحديثة في العراق ـ الدكتور جميل سعيد
مطبعة دار الهنا بمصر ٣٦٥ـ٩٦٤

١٢٩ ـ النفثات ـ محمد مهدي البصير
مطبعة الفلاح بغداد ٣٤٣ـ٩٢٥

١٣٠ ـ نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر ـ محمد مهدي البصير ط١
مطبعة المعارف بغداد ٣٦٥ـ٩٤٦

١٣١ ـ الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ـ علي آل بزركان
مطبعة أسعد بغداد ٩٥٤

الدوريات

١٣٢ ـ الأديب العراقي (مجلة) ـ اتحاد الادباء العراقيين
مطبعة اتحاد الادباء العراقيين بغداد ٩٦٢

١٣٣ ـ الاستقلال (جريدة) ـ محمد عبدالحسين ـ النجف
مصورة في المجمع العلمي العراقي ببغداد

١٣٤ ـ الاعتدال (مجلة) ـ محمد علي البلاغي
عدد ٢٢١ السنة الاولى النجف

١٣٥ ـ الأهرام (جريدة) ـ دار الكتب المصرية
عدد نوفمبر ٩٢٢

١٣٦ ـ الايمان (مجلة) ـ موسى اليعقوبي
عدد ٣.٤ لسنة ٩٦٥

١٣٧ ـ اتحاد الشعب (جريدة) ـ عبدالقادر اسماعيل
الرابطة ـ بغداد ٩٥٩
١٣٨ ـ اماسى الاتحاد ـ اتحاد الادباء العراقيين ج١
مطبعة النجوم بغداد ٩٦٠
١٣٩ ـ بغداد (مجلة) ـ مديرية الاذاعة والتلفزيون عدد يوليو ٩٦٥
مطابع شركة دار الجمهورية ـ بغداد
١٤٠ ـ البلد (جريدة) ـ العدد ٤٢٤ اكتوبر ٩٦٥ عبدالقادر البراك
١٤١ ـ تنوير الأفكار (مجلة) ـ عبدالهادي الاعظمي ج١
مطبعة الشابندر بغداد ١٣٢٨
١٤٢ ـ الجمهورية (جريدة) ـ دار الجمهورية ـ بغداد ـ حزيران ٩٦٦
١٤٣ ـ الرسالة (مجلة) ـ احمد حسن الزيات ج٤٥ ١٠ يناير ٩٦٤
١٤٤ ـ الزوراء (جريدة) ـ بغداد ١٨٦٨
١٤٥ ـ صدى الاسلام (مجلة) ـ عطاء الخطيب ٣٣١ـ٣٣٤
١٤٦ ـ الشعب (جريدة) ـ بغداد عدد ٢٥ السنة الاولى ٤ـ٤ـ٩٦٨
١٤٧ ـ عالم الغد (مجلة) ـ رفيق السيد عيسى ـ عدد ٣ السنة الاولى ٩٤٥
١٤٨ ـ العراق (جريدة) ـ رزوق غنام ـ اعداد متفرقة لعامى ٩٢٠،٩٢١
١٤٩ ـ العرب (جريدة) رسمية ـ اعداد متفرقة من عام ٩١٤ـ٩٢٠
١٥٠ ـ العرفان (مجلة) ـ احمد عارف الزين ج٧،٨،١٠ بيروت ٩٦٦
١٥١ ـ الفرات (جريدة) ـ محمد باقر الشبيبي (جميع أعدادها الصادرة خلال
الثورة عام ١٩٢٠) عن نسخة مصورة في المجمع العلمي العراقي
١٥٢ ـ الفضيلة (جريدة) ـ عبدالرزاق الحسنى ـ عدد ٥٤ لسنة ٩٢٦
١٥٣ ـ الفيحاء (جريدة) ـ عبدالرزاق الحسنى ـ عدد ١٣،٤ لسنة ٩٢٧

١٥٤ ـ الكاتب المصري (مجلة) ـ طه حسين ـ ديسمبر ٩٤٦
١٥٥ ـ الكتاب (مجلة) ـ جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين
مطبعة أسعد بغداد ٩٦١، ٩٦٣
١٥٦ ـ كل شيء (جريدة) ـ عبدالمنعم الجادر ـ بغداد ـ حزيران ٩٦٦
١٥٧ ـ اللسان (مجلة) ـ علي رزق الغزالي ج ١٠ سنة ١٣٣٨ هـ
١٥٨ ـ المنار (جريدة) ـ عدد ٣٤٣٢ ـ بغداد ـ حزيران ٩٦٦
١٥٩ ـ المناهل (مجلة) ـ عبدالرزاق بستانة ـ بغداد ٩٦٤

المراجع الاجنبية

160 — Iraq from Mandate to Imdependence
E - Main London 1935.

161 — Iraq 1900 - 1950 Stephen Hemsley Longrig
oxford university press 1953

162 — Letters of Gertrude Bell Vell -1-
London Benn limited 1927

163 — The Making of Modern Iraq H. A. Foster
London 1936

164 — Seven Pillars of wisdom T.E Lawrence
New Yourk 1938.

مسرد الاعلام

ابراهيم الوائلي ٥، ٩٢، ١٠٩، ١٣٣
ابراهيم الباچه چي ٢٨
ابراهيم الراوي ١٨٤
ابراهيم السماوي ١٣٤
احمد الصافي النجفي ٩٥، ١٥٩ ٢١٣، ٢١٥، ٢٢٢، ٢٢٣
ارنست مين ٨٠
احمد محمد عيش ١١١
ابن ماء السماء ٥٠
ابن الفراتين ٥٠، ٥٢
ابن اليراع ٥٠
ابن الرثاء ٥٠
ابن السليقه ٥٠، ٥٣
ابن العرب ٥٠
ابن الحارث ٥٠
ابن السلام ٥٠
ابن العراقين ٥٠
ابن بابل ٥٠

انور الجندي ٥٦
برق ٢٢٤
بوسى كوكس (المندوب السامى) ٧٧ ، ١٠٩ ، ١١٠
مس بل ٣٥ ، ٧٧
جعفر الخليلي ١١٢
جميل رمزي ٨٩
جميل صدقي الزهاوي ٢١ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٩٢ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ٢٢٦ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨
جعفر الحلي ٢٠ ، ٢٤
جواد الشبيبي ٢٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢
جواد السوداني ٢١٣ ، ٢١٤
حسين الدده ١٣٣
حسين العشاري ٢٥
حسن العذاري ٢٨
الحسين بن علي بن أبي طالب ٧٤ ، ١٤٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩
حسين كمال الدين ٢١٥
حمود آل ابو غانم ١٣٤
حميد النجار ٢٣٨
حيدر الحلي ٢٣ ، ٢٥
الحسين بن علي (الملك) ٢٥ ، ٣٢ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٨ ، ٩٧ ، ١٣١ ، ١٨٢

خادم الغازي ١٣٤
خضير العاصي ١
خليل عزمى ٨٩
خيري الهنداوي ٢٤١
دليم البراك ١٣٣
داود باشا ١٩ ، ٢٣
دايلي (الميجر) ١٠٥، ٢٢٧
داود صليوه ٥٧
دوهان الحسن ١٣٣
رايح العطية ٢١٠
الرسول ﷺ ١٥٩
رشيد الهاشمي ١٨٥
رحمة الله الظالمي ٩٩
سعد صالح ٩٥ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ، ١٩٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣١
سعيد كمال الدين ١٢٢
شخير البراك ١٣٣
شعلان الجبر ٩٩
شعلان ابو الجون ٩٦ ، ٨٠٥ ، ١٠٦ ، ١٤٨ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢
شيخ الشريعة ١ ١
صالح الحلي ٢٨
الشيخ ضاري ٢٠٩ ، ٢٢٠

ضياء شكارة ٢١٣، ٢١٤
طالب النقيب ٢٠، ١٠٨، ١٠٩، ١٧٨
عبدالرزاق آل وهاب ١٣٣
عبدالوهاب آل وهاب ١٣٣
عبدالرزاق الحسني ٧٧، ٧٨
عبدالرزاق بلال ٢٥٤
عبدالكريم الندواني ٢٥٣
عبدالرحمن البناء ٢٢، ٢٨، ٤١، ٤٣، ٥٠، ٥١، ٥٧، ٩١، ٩٢، ١١٩، ١٢٥، ١٦٤، ١٦٧، ١٩١، ١٩٣، ١٩٦، ٢١٣، ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٥١
عبدالمجيد البكري ٩٥، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠
عبدالكريم الجزائري ٤٧، ١٣١
عبدالعزيز الجواهري ٢٨
عبدالحسين الازري ٦١، ١٢٢، ٢٥٨
عبدالحسين الحويزي ٥٧
علي آل بزركان ٧٥
علي البازي ٧٩، ١١٦، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٨، ٢٢٠، ٢٢٨، ٢٤٠
عبدالمطلب الحلي ٢٨، ٧٣
علي الخاقاني ١١٢
عطا الله الخطيب ٧٣، ٩٥، ١٢٦
عطية الشملان ٢١٠
علي الشرقي ٢٨، ١١٢، ١٦١، ١٨٦، ١٨٧، ٢١٣، ٢١٥، ٣٢٦، ٢٤٠، ٢٤٦، ٢٥٥، ٢٥٨

عبدالواحد الحاج سكر ٤٢، ٩٦، ١٢٩، ١٣٣، ١٦٧، ١٧٥، ١٩٨، ٢١٠
عبدالكاظم الحاج سكر ٩٩
عبدالرحمن خضر ٩٩
عبدالرحيم آل عواد ١٣٤
عبدالجليل العواد ١٣٤
عبدالرسول تويج ١٣٤
عبود العنين ١٣٤
عبدالحميد الراضي ١٤١
عبدالقادر القط ٨
عبود العنين ١٣٤
عبادي آل حسين ١٣٤
عمران الحاج سعدون ١٣٤
عدنان الراوي ٢٥٥
علوان الشلال ١٣٤
علوان الياسري ٩٦، ٩٩
عبدالكريم العلاف ٢٨، ٧٣، ٨٥، ١١٢، ١٢٥، ١٣٠، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٦٤، ١٩٠، ١٩١، ١٩٥، ٢٤٣
عبدالحسين الملا احمد ١٦٥، ٢٥٠
عبدالمنعم الفرطوسي ١٥٠، ١٦٤، ٢٤٠
عبدالحميد (السلطان) ٢٠
عبدالباقي العمري ٢٤، ٢٥، ٦٢
علي رضا باشا ٢٤

عبدالرزاق الهاشمي ٧٣
عبدالرحمن النقيب ٧٧، ١٧٨
عبدالله (الامير) ٩٣، ٩٤، ١٧٧
علي المزعل ٩٩، ١٣٣
عبدالله الفياض ٧٤، ٧٦، ٧٧
عبدالمحسن الكاظم ٢٢، ٢٨، ٤٩٢
عبدالغني الخضري ١٥٦، ١٥٧، ١٦٤، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٥٣
عيسى عبدالقادر ٢٢٦، ٢٤٨، ٢٤٩
غثيث الحرجان ١٠٦، ١٧٦
فاضل الصيدلي ٩٥، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٤
فرحان الابي ١٣٤
فيصل بن الحسين (الملك) ١١، ٦٠، ٦١، ٧٩، ٨١، ٩١، ٩٧، ١١١، ١٧٤، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥
كاظم الدجيلي ٤٧، ١٨١، ٢٥٣
كرزن (اللورد) ٩١
كلوب ٢١١، ٢١٢
لونكريك ٧٩
الأموز ١٧
مدحت باشا ١٧
محمد الكشميري ١٣٣
محمد حسين القزويني ١٣٣

محمد الصدر ٦٤، ٩٦، ١٢٩، ١٣٩، ١٧٥، ١٩٥، ١٩٨
محمد رضا الصافي ٧٣، ١٥٩
محمد جعفر ابو الثمن ٩٦، ١٠٥، ١٠٦، ١٤٨، ١٦٧، ١٧٦
محمد حسن ابو المحاسن ٤١، ٤٤، ٤٦، ٤٩، ٧٣، ٩٠، ٩٥، ١١٦، ١١٧،
١١٩، ١٢٥، ١٣٠، ١٣٨، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٨،
١٥٤، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٦، ١٩١، ١٩٣، ٢٤٠،
٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٦
محمد حسين آل كاشف الغطاء ٢٨، ٤٧، ١٩١
محمد مهدي البصير (الدكتور) ٨، ٤١، ٤٤، ٤٧، ٦٠، ٦١، ٧٥، ٨٠،
٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٩٢ ٩٣، ٩٥، ٩٦،
١٢٥، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧،
١٣٨، ١٣٩، ١٤٣، ١٥٥، ١٦١، ١٦٤،
١٩٣، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٥
محمد صالح بحر العلوم ٨، ١١، ١٦٤، ١٨٥، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠١،
٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٣٦،
٢٤٣، ٢٤٩، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧
محمد جواد الجزائري ٣٨، ٧٣، ٩٦، ١٢٥، ١٣١، ١٥٨، ١٦٤،
محمد مهدي الجواهري ١١، ١٤٦، ١٥١، ١٥٣، ١٨٥، ٢٠٣، ٢٠٥،
٢٠٧، ٢١٨، ٢١٥، ٢٥٧
محمد باقر الحلي ٦١، ٧٣، ٩٣، ٩٥، ٩٩، ١٢٥، ١٣٨،
١٦٤، ١٦٥، ١٨٤، ١٩٣، ١٩٤
محمد سعيد الحبوبي ٢٣، ٤٧، ١٨٧، ٢١٥

محمد مهدي الخالصي ٤٧ ، ٩٦ ، ١٢٩ ، ١٦٧ ، ١٧٥ ، ١٨٥ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٦ ،
محمد بسيم الدويب ٩٢
محمد سعيد الراوي ٩٥ ، ٢٣١
محمد باقر الشبيبي ٩٦، ١٣٨، ١٢٥، ١١٦، ١٦٤، ١٧٦، ١٨٥، ١٨٧، ٢٠٢، ٢٤١، ٢٣٩، ٢٤٠
محمد رضا الشبيبي ٢٨، ٤١، ٤٨، ٧٨، ٧٩، ٩٥، ٩٦، ١١١ ، ١٣١، ١٦٧، ١٧٦، ١٨٧، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٠
محمد رضا الشيرازي ٩٩
محمد تقي الشيرازي ٧٦ ، ٧٧ ، ٩٨ ، ٩٩، ١١٨، ١٢٩، ٥٣، ١٦٧، ١٧٥، ١٩٥، ٢٠٤
محمد علي هبة الدين الشيرازي ١٣٣
محمد حبيب العبيدي ٩٥، ١٢٥ ، ٤٨ ، ١٦٤ ، ٢٢٦
منير القاضي ٦١
مصطفى علي ٦٠ ، ١٨٣
مصطفى جواد (الدكتور) ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ٢٤٩
محمد علي اليعقوبي ٢١، ٢٥، ٢٩، ٤١، ٤٧، ٦١، ٧٣، ٩٥، ١١٦، ١٢٥، ١٢٨ ١٢٩، ١٣٨، ١٦٤، ١٦٦، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣، ١٩٦، ٢٢٤، ٢٤٠، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٧
محمد الهاشمي ١٤٤
مود (الجنرال) ٤٠ ، ٩٧
محسن آل عباس ١٣٣

مرزوك العواد ٢١٠
معروف الرصافي ٢١، ٢٢، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٥، ٤١، ٤٢، ٥٦، ٦٠، ٧٣، ١١١، ١٤٣، ١٤٤. ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٩١، ١٩٥، ٢١٥، ٢٢٦ ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٣٥، ٢٣٦
محسن ابو طبيخ ٨٩، ٩٩، ١٣٣
محمود الحبوبي ٢٤٩
المهدي المنتظر ٢٣٩
ناجي القشطيني ٧٣، ٩٥، ٢٤١
نجم العبود ١٣٤
نهرو (جواهر لال) ١٧٤
نوربري (الميجر) ٩٩
هادي المكبوطر ٩٣
هارون الرشيد ١٧
هادي زوين ١٣٣
هنين (الشيخ) ٩٩
هيات ١٠٦
الهنداوي ٢٨، ٤١، ٩٥، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٨، ١٦٤
ولسن ٩٧، ٢٠٤
يوسف عزالدين (الدكتور) ١٧٤، ١٨٦
يوسف السويدي ١٩٨

المحتوى

الاهداء		٣
شكر وتقدير		٥
المقدمة		٧
الفصل الاول :	أحوال العراق قبيل الثورة	١٣ - ٣٦
	١ ـ في العهد العثماني	١٥
	٢ ـ بعد الاحتلال البريطاني	٣١
الفصل الثاني :	دور الشعر في الاعداد للثورة	٣٧ - ١٠١
	١ ـ اتجاهات الشعر	٣٩
	٢ ـ الثورة العربية ١٩١٦	٥٩
	٣ ـ ثورة النجف ١٩١٨	٦٧
	٤ ـ الاستفتاء ١٩١٩	٧٦
الفصل الثالث :	الثورة في الشعر	١٠٣ ـ ١٦٩
	١ ـ موقف الشعراء من الثورة	١٠٧

٢ ـ استمرار المضمون الاسلامي والقومي في الشعر ١١٣

٣ ـ البطولة في شعر الثورة ١٤٧

الفصل الرابع : ذكريات الثورة وامتدادها في الشعر ١٧٣ـ٢٤٤

١ ـ اتجاهات الشعر ١٧٦

٢ ـ موقف الشعر من حكومة فيصل ١٧٧

٣ ـ الحملة على النظام السياسي ١٩٠

٤ ـ الشعر في رجال الثورة وذكرياتها ١٩٥

٥ ـ الفلاح والثورة ٢٠٩

٦ ـ مشاهد البؤس في شعر الذكرى ٢٢٩

الخاتمة ٢٤٥

مراجع البحث ٢٦١

مسرد الاعلام ٢٧٧

المحتوى ٢٨٧

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 099746479